christianlib.com

دراسات لاهوتيّة

www.christianlib.com

# عِلم اللاهوت الأديان

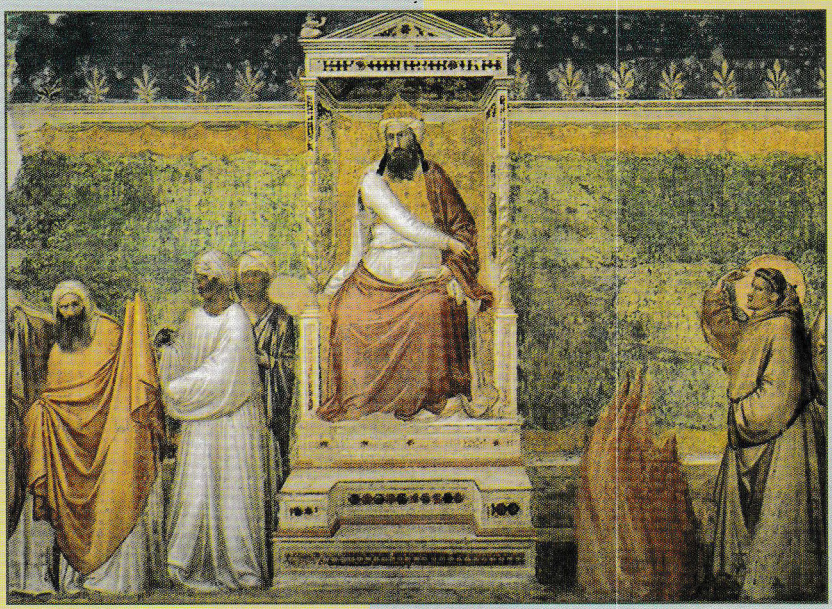

الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

دار المشرق

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صورة الغلاف: **لقاء القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ بالملك كامل**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# عِلم لاهوت الأديان

الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

دار المشرق

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لا مانع من طبعه

**بولس دحدح**
النائب الرسوليّ للّاتين في لبنان
جعيتا، ٢٠١٢/٨/٢٩

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٣
**دار المشرق ش م م،**
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5446-3

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.**
الجسر الواطي - سنّ الفيل
ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان
تلفون: ٤٨٥٧٩٣ (٠١)
فاكس: ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢ (٠١)
Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
E-mail: libor@cyberia.net.lb



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# المُقدِّمة العامّة

إنّ «عِلم لاهوت الأديان» (Théologie des Religions) **عِلم قديم / حديث.** إنّه قديم إذا اعتبرنا أنّ آباءنا الأقدمين قد جادلوا غيرَ المسيحيّين، مُنذ القُرون الأُولى (كما سنراه في الفصل الثاني). وهو حديث إذا اعتبرنا أنّ المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني قد دفعه اندفاعًا جديدًا إلى الأمام، وذلك مُنذ ما يقرب من خمسين عامًا (كما سنراه في الفصل الثالث)، فعرف انطلاقة لا مثيل لها من بين الخِطابات اللاهوتيّة المسيحيّة المُعاصرة (كما سنراه في سائر الفُصول).

وقد جذب الموضوعُ بالغ اهتمامنا الشخصيّ، نظرًا إلى **أوضاعنا العربيّة الراهنة،** حيث وُجود الدِّيانات الثلاث المُوحِّدة، اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة، وما يتسبّب منه تارةً من تعايُش سِلميٍّ، وطورًا من توتُّر عنيف. وفي كنف تلك الظُّروف، لابُدّ من تعدّي الأوضاع الواقعيّة **بتفكير عميق** في طُرق تجاوُز الصِّعاب، وفي توطيد علاقات الحِوار.

فمِن مُنطلق مُزدوج إذًا - قضيّة لاهوتيّة / أوضاع سياسيّة طائفيّة -، اشتركنا في تنظيم مؤتمرات، وقرأنا كُتبًا ومقالات حول الموضوع، ما أجّج فينا الرغبة في الإحاطة بالموضوع، بل والعزمَ على طرح القضيّة طرحًا فِكريًّا سديدًا سليمًا يتجاوز مُجرّد اهتمام عابر عرضيٍّ بأُمور لاهوتيّة وثقافيّة، وطائفيّة ودينيّة. وإنّ ذلك



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الكِتاب ثمرة هذا الغليان الفِكريِّ واللاهوتيِّ الذي شغلنا أكثر من خمسة عشر عامًا[١].

## الطرح اللاهوتيّ والثقافيّ

يتناول «عِلم لاهوت الأديان» **قضيّتين جوهريّتين مُتكاملتين**، إحداهما تتعلّق **بالأشخاص**: هل مِن خلاص لغير المسيحيّين؟، والأُخرى تختصُّ **بالأديان**: ما وضعُ الأديان غير المسيحيّة مِن خلاص مؤمنيها؟ سيتضمّن خِطابنا اللاهوتيُّ إذًا تلك القضيّتين، ولكُلٍّ منهما مُعالجتها الخاصّة.

كيف تُطرَح تلك القضيّتان **طرحًا لاهوتيًّا**؟ إنّ بُشرى العهد الجديد تُصرِّح بتحقيق يسوع المسيح نبوءات العهد القديم، وذلك **بفرادتِه / شُموليّته**[٢]، **كونه وحدَه «الطريق والحقّ والحياة»** (يو ١٤/

---

(١) إنّ هذا الكِتاب ثمرة
* اشتراكِنا في مؤتمر بلُبنان، العام ١٩٩٥، وقد نشرْنا مضمونه في مجلّة المشرق الصادرة عن دار المشرق التابعة للآباء اليسوعيّين، العام ١٩٩٦ (راجع البيبْليوغرافيا)؛
* نشرِنا مقالات في مجلّة صديق الكاهن الصادرة عن المعهد الإكليريكيِّ للأقباط الكاثوليك في المعادي - القاهرة، الأعوام ٢٠٠٩ و٢٠١٠ و٢٠١١؛
* تنظيمِنا مؤتمرًا في كُلّيّة العُلوم الدينيّة بالسكاكيني - القاهرة، العام ٢٠١٠؛
* قِيامِنا بحلقة دِراسيّة مع طلبة اللاهوت في كُلّيّة العُلوم الإنسانيّة واللاهوتيّة بالمعادي - القاهرة، العام الأكاديميّ ٢٠١٠-٢٠١١.

(٢) باختصار شديد: 'فرادة' المسيح تعني أنّه هو وحده المُخلِّص والوسيط... 'شُموليّة' المسيح تعني أنّ عمله الخلاصيّ يشمل البشريّة كُلّها. سنعود مِرارًا إلى هذين المُصطلحين اللاهوتيّين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٦)، ما لا يقبل على الإطلاق وُجود أيِّ «مُخلِّص» غيره (رُسل ٤/ ١٢/ /)، ولا أيِّ «وسيط» آخر (عِبر ٨/ ٦/ /).

ومع ذلك، فإنّ الإيمان الراسخ **بفرادة/ شُموليّة شخص يسوع المسيح** قد يتنافي، في نظر بعض الناس، والاهتمام **بالتفاعل الإيجابيِّ مع الأديان المُختلفة والحِوار الصادق معها**، كما يحثُّنا إليه المجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني، وكما تدفعنا إليه حضارتُنا المُعاصرة - حضارة التعدُّديّة والعوْلمة والانفتاح - التي تُنادي بحِوار - لا بصِراع - الثقافات والدِّيانات. ولمّا كانت الأوضاعُ الدينيّة والثقافيّة السائدة في أسفار العهد الجديد تختلف اختلافًا كبيرًا عن عقليّتنا المُعاصرة، فقد تظهر صُعوبةٌ حقيقيّة في تبرير تفاعل الدين المسيحيِّ الجديد بسائر الأديان، خاصّة وأنّ عددًا من النُّصوص الكِتابيّة، إذا قُرئت قِراءةً حرْفيّة سطحيّة، قد توحي بأنّ ما مِن حِوار جائز ولا مِن تفاعل مُمكن؛ هذه هي قِراءة المُتشدِّدين من حَرْفيّين وأُصوليّين. وأمّا النظرة المُنفتحة، فهي لا تتجاهل النُّصوص الكِتابيّة التي تُمثِّل صُعوبة في هذا الشأن، ولكنّها ترى أنّ ثمّة جوًّا عامًّا سائدًا يُظهر قصدَ الله الشامل في حُبِّ جميع الأشخاص والشُّعوب وخلاصهم، تلك النظرة الإلهيّة التي تحثُّ المسيحيّين على الرجاء بخلاص جميع البشر، وتحضُّهم على الحِوار مع 'الآخر المُختلف'، والسعي وراء صِياغة خِطاب لاهوتيٍّ مسيحيٍّ يتضمّن خلاصَ غير المسيحيّين من جِهة، ووضعَ الأديان غير المسيحيّة مِن تاريخ الخلاص. تجمع إذًا دِراستنا اللاهوتيّة هذه قُطبين من الإيمان المسيحيِّ لا يقبلان الانفصال: قُطب فرادة/ شُموليّة يسوع المسيح، ما يُعبِّر عن **هُويّة المسيحيّة** مِن جِهة، وقُطب **غيريّة تفاعل المؤمنين مع سائر الأديان** مِن جِهة أُخرى.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## المنهج والتصميم

ومن مُنطلق الإشكاليّة كما عرضناها، سنتتبّع **المسيرة المنهجيّة** الآتية:

١- سننطلق، بطبيعة الحال، مِن **الكِتاب المُقدّس**، ولا سِيّما من العهد الجديد، بصِفته مرجعيّة أيِّ خِطاب لاهوتيّ، وسنُركِّز على بعض النُّصوص التي تهمُّ قضيّتنا مُباشرةً وتحديدًا.

٢- وستدفعنا تلك الجولة الكِتابيّة إلى إلقاء نظرة على **القُرون المسيحيّة الأُولى** التي صاغت، عن يد آباء الكنيسة، الصرح العقائديّ، وقد احتكّت بأديان وثقافات أُخرى، ما يهمُّ موضوعَنا بالدرجة الأُولى، لنستشفّ طريقة تفكيرهم ومُعاملتهم، لا لنُقلِّدها، بل لنستلهمها، ولا سِيّما في طريقة إبداعهم اللاهوتيّ، حتّى نُبدع نحن أيضًا في ظُروفنا وأوضاعنا ومواقفنا.

٣- وبِناء على هاتين الركيزتين، سنُوضِّح مُكتسبات **المجمع الفاتيكانيّ الثاني** الذي مثّل نظرة مُجدّدة في طرح القضيّة اللاهوتيّة الخاصّة بوضع غير المسيحيّين ووضع دِياناتهم، كما وفي طريقة مُعاملتهم.

٤- واعتمادًا على ما سبق، سنُوضِّح ما نجم عن المجمع من تعمُّق في **الخِطاب اللاهوتيّ** الحاليّ، وذلك على أصعدة خمسة مُتكاملة: ما يختصُّ **بمشيئة الآب الشاملة** خلاص جميع البشر؛ و**بتحقيق يسوع المسيح** تلك المشيئة وحده تحقيقًا فريدًا / شُموليًّا؛ و**بعمل الروح القُدس** في المسيحيّين من جهة، وغير المسيحيّين ودِياناتهم من جهة أُخرى؛ و**بدور الكنيسة في إعلان البُشرى والشهادة** لجميع البشر بصِفتها «آية» شاملة للخلاص؛ و**بعلاقة**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**المسيحيّة بأديان مُختلفة** ومُعتقدات وفلسفات وثقافات مُتباينة. وسنُولي أهمِّيّة خاصّة، في ذلك الخِطاب اللاهوتيِّ المُتعدِّد الجوانب، لقداسة البابا يوحنّا بولس الثاني طوال تولّيه سُدّة القِدّيس بُطرس، سواء أكان في رسائله وتعاليمه، أم في علاقاته واستقبالاته، أم في لِقاءاته ومُبادراته؛ وقد ركّز بوجه خاصٍّ على دور الروح القُدس في الأديان غير المسيحيّة، دورًا مُرتبطًا ارتباطًا عُضويًّا وثيقًا بشخص يسوع المسيح، وذلك عبر الكنيسة.

يُفيدنا هذا العرض السريع لما سنقوم به، في أنّ نعتبر أنّ مسيرتنا ستكون **لاهوتيّة مُتناسقة**. إنّها لاهوتيّة لأنّها تستهدف بالتحديد **خِطابًا لاهوتيًّا** حول مضامين قضيّة عِلم لاهوت الأديان: كيف تُطرح القضيّة، وما هي مُقوِّماتها، ومَن هم الفاعلون، وكيف يعملون ولا سِيّما في تضافر بينهم...؟ كما أنّ مسيرتنا **مُتناسقة** بمعنى أنّها تتوخّى نظرة إجماليّة تُحيط بالموضوع إحاطة شاملة، بقدر ما نستطيع أن نقوم بها في ظُروف نعتبرها جديدة إذا تذكّرنا أن ذلك العِلم - من بين الخِطابات اللاهوتيّة المُختلفة - لم يتجاوز بعد الخمسين عامًا، فأمامه أشواط ومجالات واسعة عليه أن يجتازها ويتعمّق فيها ويكتشف دومًا الجديد.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الأوّل

# مرجعيّة الكِتاب المُقدّس

## المُقدِّمة

بعد عرضنا **الإشكاليّةَ** الكِتابيّة المُتعلِّقة بموضوعنا، سندرس بعض النُّصوص الكِتابيّة على ثلاثة أصعدة: **إسرائيل والأُمم، علاقة الكنيسة بالخارج غير المسيحيّ، وخلاص الأشخاص غير المسيحيّين،** بحثًا مِنّا عن نُصوص كِتابيّة تُصبح مرجعيّة لنا في مسيرة فِكرنا اللاهوتيّ القادم.

## أوّلًا - الإشكاليّة

كيف نطرح السؤال؟ لو بحثنا في الكِتاب المُقدّس عن الحُجج التي تؤيِّد أو ترفض حِوار المسيحيّة مع سائر الأديان، لطرحنا سؤالًا لم يطرحه الكِتاب نفسه، كون هذا السؤال يتعلّق بعصرنا لا بعصره، وبإشكاليّتنا لا بإشكاليّته. فقضيّتنا قضيّة **تأويليّة** (Herméneutique)، بمعنى أنّنا نطرح على الكِتاب المُقدّس تساؤلاتنا المُعاصرة، لنستشفّ مِنه الأجوبة المُفيدة التي نعتبرها مرجعًا أساسيًّا لفِكرنا اللاهوتيّ. وأمّا سؤالنا التأويليُّ الصائب، فنُعبِّر عنه على هذا المِنوال: **ما كان موقف إسرائيل من الأُمم** المُجاورة له؟ **وما كان موقف يسوع مِن دينه اليهوديِّ** ومُمارساته وطُقوسه، ومِن غيره مِثل



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**السامريّين والوثنيّين؟** الأمر الذي يطرح سؤالًا مُرتبطًا به ارتباطًا وثيقًا: **كيف فهِم إسرائيل علاقته المُميَّزة بالله** الذي اختاره وقطع عهدًا معه، مُقارنةً بالأُمم؟ **وكيف شهدت الكنيسة الناشئة للإنجيل**، وذلك إزاء سائر الأديان من يهود وأُمم، وما كان موقفها مِنها؟ إنّ تلك التساؤلات تخصُّ عالمنا المُعاصر، عالم العوْلمة، والتعدُّديّة، وحِوار الأديان والثقافات؛ وهو يطرحها على الكِتاب المُقدّس بصِفته مرجع الإيمان القويم (Orthodoxia) والعمل القويم (Orthopraxis).

**لنتجوّل إذًا في أسفار الكِتاب المُقدّس**، بُغية توضيح تساؤلاتنا وإشكاليّاتنا واهتماماتنا المُعاصرة، لنجد فيها ما يُجيب عنها إجابة مُستقيمة تُفيد علاقاتنا بغير المسيحيّين، لأنّ تلك العلاقة هي موضوعنا وهدفنا. وسنكتفي بعرض بعض النُّصوص التي تُفيد مُباشرةً موضوعنا المُزدوج: **وضع الأديان غير المسيحيّة** مِن جِهة، **وخلاص غير المسيحيّين** مِن جِهة أُخرى. وبتعبير آخر، هُناك وضع الأديان بصِفتها أديانًا، وهُناك الأشخاص بصِفتهم أشخاصًا. فسنعتمد على هذين الصعيدين المُختلفين المُتكاملين في تحاليلنا اللاهوتيّة اللاحقة.

## ثانيًا - علاقة إسرائيل بالأُمم[1]

إنّ **نظرة إسرائيل إلى ذاته**، شعبِ الله المُختار، و**نظرته إلى الأُمم** من مُنطلق الاختيار، قد تطوّر على مرِّ العُصور وفي ضوء خِبرته معها وتعمُّقه في فهم الاختيار الإلهيّ. حتّى إنّ أسفار

(١) نعتمد في هذا العرض على كِتاب ويسْلي أرْياراجيا، **الكِتاب المُقدّس ومؤمنو الدِّيانات الأُخرى** (راجع البيبْليوغافيا).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الحِكمة، بوجه خاصّ، تُعبِّر عن نُضوج في النظرة إلى الآخرين المُختلفين، وفي العلاقات بهم، وذلك بفضل خِبرة فريدة عاشها في السبي إلى بابل، حيث الاحتكاك المُباشر الوثيق بشعب آخر ودِيانة أُخرى.

فإنّ **رِوايتي الخلق**، وتدوينهما مُتأخِّران (تك ١: ما بين القرنين ٥ و٤ قبل الميلاد - تك ٢: ما بين القرنين ٩ و٦ قبل الميلاد) تُعبِّران عن الإيمان بأنّ الله، خالق السماوات والأرض، هو خالق كُلّ الخليقة، ولا سِيّما الإنسان، فما من شيء خارج عن عِناية الله وضبطه. ومِمّا يلفت النظر، أن لا ذِكر لشُعوب بشريّة مُختلفة، بل هُناك آدم وحوّاء والابنان والأحفاد...، عِلمًا أنّ آدم وحوّاء يرمزان إلى **كُلِّ إنسان** و**كُلِّ البشريّة** المخلوقة على صورة الله كمِثاله، بدون أيِّ نظرة عرَقيّة أو دينيّة التي ستظهر في أثناء بِناء بُرج بابل. وما يُقال في الخلق، يُقال أيضًا في **الخطيئة** التي تشمل الإنسانيّة كُلّها بدون تمييز، وكذلك في **عهد الله مع نوح** والخليقة كُلِّها.

وستظهر الشُّعوب المُختلفة مع '**أبرام**'، وقد تحوّل اسمه إلى صيغة الجمع 'إبراهيم'، إشارةً إلى دوره تُجاه شُعوب مُختلفة، **مُمثِّلًا شعبًا واحدًا ضِمن شُعوب غفيرة**، وقد اختاره الله، وقطع معه عهدًا، ووعده بأرض وذُرِّيّة. فمُنذ ذلك الحين وقد ظهرت علاقة **شعب الله المُختار** الذي له إلهُه ودِيانته/**سائر الشُّعوب** التي لها آلهتُها ودِياناتها.

ومع **موسى**[٢] ظهرت تدخُّلات الله في تاريخ شعب إسرائيل

(٢) أمانةً للتاريخ، يجب اعتبار بِداية **وعي / اختبار إسرائيل أنّه شعب الله المُختار** عِند الخُروج من مِصر واجتياز برِّيّة سيناء، حيث كان موسى يُعلِّمهم=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وشعب فرعون، وقد ناصر الله شعبه، وجدّد عهده معهم، ومنحهم شريعة، مِثل غيرهم من الشُّعوب، تتضمّن وصاياه التي تُنظِّم تعاملهم معه وفي ما بينهم ومع سائر الشُّعوب - البيبليوغرافيا.

ومع استقرار الشعب في **أرض الميعاد**، احتكّوا بالشُّعوب والدِّيانات المُجاورة، وتأثّروا بها، حتّى إنّهم نظّموا حياتهم وجيشهم، وطالبوا الله بملِك. وصار الله يُناصرهم أو يُعاقبهم بحسب أمانتهم أو خِيانتهم العهد. وكان يُرسل إليهم أنبياء يُذكِّرونهم بالعهد والأمانة لله، في حين أنّهم كانوا يزنون مع آلهة أُخرى، آلهة جيرانهم.

ولمّا تفاقمت خِيانة شعب الله، **سُبي إلى بابل**، واحتكّ بغير اليهود احتكاكًا عن كثب ولمُدّة طويلة. ولمّا أعاده الله إلى الأرض، حدث تغيير جذريٌّ إذ اختبر الشعبُ أنّ الله قد اختاره، من أيّام إبراهيم، مُرورًا بموسى وداود، لا من أجله فحسب، بل **من أجل الشُّعوب الأُخرى** أيضًا. وها هو أشعيا مثلًا يُنبئ بأنّ الشُّعوب ستأتي إلى أورشليم، وهي نور للأُمم (٦٠)، وبأنّ الله سيُبارك سائر الشُّعوب، تلك التي كانت في عداوة مع شعبه، لأنّه إله جميع الأُمم. حتّى إنّ أشعيا ١٩ مثلًا يُبيِّن أنّ الله إله مصر بغضِّ النظر عن ارتباطها بإسرائيل.

**ولسِفر يونان** دلالة عظيمة، إذ إنّه يصف لنا:

* من جِهة، **رغبةَ الله في خلاص مدينة نينوى الوثنيّة**، لأنّه إله جميع الأُمم فيهتمُّ بها، كما يهتمُّ بإسرائيل، اهتمامًا مِلؤه الحُبِّ

=تاريخهم مُنذ الآباء - إبراهيم وإسحق ويعقوب -، وقد اختارهم الله وقطع معهم عهدًا ووعدهم بأرض وذُرِّيّة، وذهابَهم إلى مصر وخُروجهم منها.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والرحمة والحنان، حتّى إنّه استجاب لتوبتها؛ وفي سبيل ذلك، اختار يهوديًّا وسيطًا بينه وبين المدينة العُظمى.

* ومن جِهة أخرى، **رفْضَ يونان أن يتضمّن خلاصُ الله الوثنيّين**، رفضًا من البِداية (حيث عدم الإبحار نحو نينوى، بل إلى ترشيش)، وحتّى النِّهاية (حُزنه على اهتداء أهل نينوى).

## نظرة إيمانيّة

ما الذي يُمكننا **استخلاصه لاهوتيًّا** من تلك الجولة السريعة في علاقة إسرائيل بالأُمم؟

* **إن الله إله الكون كُلِّه والبشر أجمعين**، وذلك مُنذ الخلق، وفي أثناء تاريخ شعب إسرائيل كُلِّه. وقد ترنّم به مُختلفُ مُرنِّمي المزامير.

* **كُلُّ توق بشريٍّ إلى الله**، أيًّا كان ومِن أين يأتي، لا سِيّما من خارج إسرائيل، **يحدث في كنف عِناية الله** لأنّ جميع البشر أبناؤه: «مِن مشرق الشمس إلى مغربها، اسمي عظيم في الأُمم، قال ربُّ القُوّات» (ملا ١/ ١١).

* **تدرُّج إسرائيل في اكتشاف دعوته تُجاه غيره من الشُّعوب والأديان**، تدرُّجًا عرف رفضًا (مِثل رفض يونان). ولقد ركّز الأنبياءُ على وجه الله هذا، لا سِيّما بعد السبي، وساعدوهم على نُضوج إيمانهم في هذا الاتِّجاه.

وستكتمل تلك النظرة الإيمانيّة في العهد الجديد الذي يُظهر لنا **شُموليّة** حُبِّ الله وخلاصه الذي يكشفه الروح القُدس للمؤمنين، و**فرادة** شخص يسوع المسيح الذي يُحقِّقه.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## ثالثًا - نُصوص عن علاقة الكنيسة بالخارج غير المسيحيّ

لقد اخترنا بعض النُّصوص الكِتابيّة من العهد الجديد التي تُفيد مُباشرةً موضوع **الخلاص الشامل**.

*** «قال يهوذا غير الإسخريوطيّ: 'يا ربّ، ما الأمر حتّى إنّك تُظهر نفسك لنا ولا تُظهرها للعالم؟'. أجابه يسوع: 'إذا أحبّني أحد حفِظ كلامي، فأَحبّه أبي، ونأتي إليه فنجعل لنا عِنده مُقامًا'» (يو ١٤/ ٢٢-٢٣).**

ما الذي يُمكننا استخلاصه من هذا الحِوار البسيط بين يسوع وتلاميذه؟ أوّلًا أنّه يُعبِّر عن **رغبة التلاميذ**، ورُبّما غيرهم، في أنّ **يسوع يُعلن نفسه للجميع**، فلا تقتصر معرفته على الذين تعرّفوا إليه في فلسطين وارتبطوا به مِثل التلاميذ أنفسهم. إنّ سؤال يهوذا في حدِّ ذاته سؤال مشروع، غير أنّه يحمل في طيّاته خطرًا مُتستِّرًا قد يُهدِّده أو يُهدِّد الكنيسة مِن بعده، وهو فرض السيطرة على الآخرين، بفرض المسيحيّة دينًا للعالم. الحقّ يُقال، إنّ السُّؤال لا نزال نطرحه نحن، كما أنّ رغبة يهوذا لا تزال رغبتنا نحن في أن يعرف العالم كُلُّه يسوع المسيح ويؤمن به؛ وذلك أمر مشروع، ولكنّه مُلتبس في آن واحد.

ولذا، فلم يُجاوب يسوع، على عادته، إجابةً مُباشرة، بل حوّل الموضوع من الاهتمام المُلتبس بالعالم إلى ضرورة الاهتمام أوّلًا **بحياة الكنيسة الداخليّة**، وهي الجوهر والأساس: حبُّها ربَّها، وحِفظُها كلمتَه، وتحقيقُها وصيّتَه في المحبّة. وسينجم عن ذلك أنّ حياة الكنيسة هذه ستُعلِن من جرّاء نفسها الربّ، وقد قبلتْه خاصّتُه، كما جاء في سِفر أعمال الرُّسل الذي وصف حياة الجماعة المسيحيّة



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الناشئة، ما كان يجذب الغُرباء إلى الانضمام إليها (رُسل ٢، ٤، ٥).

هكذا فإنّ **يسوع يُحمِّل تلاميذه مسؤوليّة الشهادة له** عبر حياتهم، بدون أيِّ ضغط خارجيٍّ على الغُرباء، بل إشعاعًا مِنهم بصفاء حياتهم، وشفافيّة أمانتهم على وصيّة ربِّها. الأمر الذي لا يُحدُّ الربَّ في أن يُعلن ذاته بطُرق أُخرى، ولكنّ السؤال الحقيقيّ الجوهريّ هو **شهادة** جماعة يسوع **لسيِّدها، ولا سياستها** تُجاه **الديانة** المسيحيّة وإمكانيّة فرضها على الآخرين بطُرق غير التي وضّحها الربُّ نفسه.

وإذا عُدنا إلى بعض **شُهود عالمنا المُعاصر**، جنينا أقوالًا تحثُّ على هذه الشهادة المسيحيّة الحقيقيّة من بِداية المسيحيّة إلى نِهايتها:

«العالم بحاجة إلى شُهود أكثر منه إلى مُعلِّمين.
وإن احتاج إلى مُعلِّمين، فبقدر ما هُم شُهود» (البابا بولس السادس).

«إنّ الإنجيل الوحيد الذي يستطيع العديد من إخوتك أن يقرؤوه هو حياتك» (دون هِلْدِرْ كَمارا).

«لا تتكلّم في المسيح إلّا لِمَن يسألك.
ولكن عِشْ بطريقة تحثُّ على السؤال» (الأخ روجيه شوتْز).

*** «إذا قُضِّبتْ بعضُ الفُروع، وكنتَ أنت زيتونةً برِّيّة فطُعِّمتَ مكانَها، فأصبحتَ شريكًا لها في خصب أصل الزيتونة، فلا تفتخر عن الفُروع. وإذا افتخرتَ، فاذكر أنّك لا تحمل الأصل، بل الأصل يحملك. ولا شكّ أنّك تقول: 'قُضِّبتْ فروعٌ لأُطَعَّم أنا'. أحسنتَ! إنّها قُضِّبت لعدم إيمانها، وأنت**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**باقٍ لإيمانك، فلا تتكبّر بل خَفْ. فإذا لم يُبقِ اللهُ على الفُروع الطبيعيّة، فلن يُبقى عليك»** (روم ١١/ ١٧-٢١).

يتعلّق هذا النصُّ بقبول الوثنيّين البُشرى المسيحيّة، وقد رفضها الشعبُ اليهوديُّ المُختار. لذا وجّه بولس كلامه إلى هؤلاء الوثنيّين الذين أصبحوا مسيحيّين ووقعوا في فخِّ الافتخار باهتدائهم إلى المسيح؛ لذا شدّ انتباهَهم إلى خطر الوُقوع في **العُجب والاعتزاز بالنفس والكِبرياء**، على حساب الشعب اليهوديِّ الأصليّ.

ويُمكننا تطبيق ذلك الوضع على سائر الأديان، لا إلى دين وثنيِّي العهد الجديد فقط، ذلك بأنّ التميُّز بالمسيحيّة نعمةٌ مجّانيّةٌ من الله، فلا يجوز إطلاقًا العُجب بالذات، بل ينبغي الوعي أنّ التميُّز هذا مسؤوليّةٌ تقع على عاتق المسيحيّين، على مِقدار نِعمة الله الموهوبة لهم مجّانيًّا، مِن غير استحقاق مِنهم، وذلك سواء أكانت الكنيسة في موضع أغلبيّة أم أقلّيّة. ما لا يمنع **الجماعات الكنسيّة مِن أن تُحقِّق وصيّة الربِّ في أن تُعلنه للخلق أجمعين**، كما هو وارد في خِتام الأناجيل بعد قِيامة يسوع المسيح، وفي بِداية أعمال الرُّسل عِند صُعوده. وذلك ما يظهر بوُضوح في النصِّ الكتابيِّ الآتي:

*** خُطبة بولس في آثينة أمام الأرْيوباغُس** (رُسل ١٧/ ١٦-٣٤)

في بِداية الخُطبة، مدح بولس إيمان الأثينيّين الدينيّ:
«أراكم شديدي التديُّن مِن كُلِّ وجه».

ثمّ اعتمد على ما رآه من هيكل «إلى الإله المجهول» أملًا مِنهم أن ينالوا رِضا الآلهة المنسيّة أو المجهولة، ما جعل بولس يجرؤ أن يُصرِّح لهم:
«ما تعبدونه وأنتم تجهلونه، فذاك ما أُبشِّركم به».



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي سبيل ذلك، وجد قاسمًا مُشتركًا بينه وبين مُستمعيه، فمدح ما يؤمنون به، لا سِيّما إيمانهم بالإله الخالق والقريب مِن البشر، وهُم مِن سُلالته. وبعد ذلك نقد تمثيلهم اللهَ بـ«الذهب أو الفِضّة أو الحجر»، فدعاهم إلى التوبة، وقد

«حدّد الله يومًا يدين فيه العالم دينونة عدل عن يد رجل أقامه».

وعِندما سمعوا بالقِيامة، أخذ بعضُ مُستمعيه يهزأون به، وبعضهم ينضمّون إليه ويؤمنون.

وتظلُّ هذه الخُطبة نموذجًا لجميع الأجيال لأنّها تُبيِّن مِن جِهة **ما في الدِّيانات مِن مَحاسن وحقيقة** (ما ركّز عليه المجمع الفاتيكانيُّ الثاني في كلامه على علاقة المسيحيّين بالأديان، كما سنراه لاحقًا)، ومِن جِهة أُخرى **اختلافها عن المسيحيّة**، وذلك بكُلِّ وُضوح لا يقبل أيّ التباس (ما سبّب رفض بعض المُستمعين، وإيمان بعضهم). غير أنّ تعبير بولس اتّسم بكُلِّ رزانة واحترام لمُستمعيه (ما ينبغي مُراعاته في الحِوار وإعلان البُشرى). وبهذا المعنى نعتبر خُطبته هذه نموذجًا ومِعيارًا، كما سيتّضح لنا في سِياق تحاليلنا.

نستنتج من هذه المرجعيّة الكِتابيّة الثلاثيّة مِقياس **الشهادة** للمسيح، و**عدم الافتخار** بالانتماء إلى المسيحيّة، و**الاعتراف** المُزدوج بما تتضمّنه الأديان مِن صلاح ومِن نُقصان.

* نُضيف إلى ذلك أنّ **منطق العهد الجديد**، في ما نحن بصدده، قد تطوّر **من الخاصِّ إلى الشامل**، و**من الضيِّق إلى الواسع**. فنرى يسوع يوصي تلاميذه الاثني عشر، في رِسالتهم الأُولى، بألّا يدخلوا مدينة سامريّة، بل إلى الخِراف الضالّة من بني إسرائيل (متّى



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٩/ ٥ ت)، وذلك إذ اعتبر أنّ الآب لم يُرسله بعد إلى غير اليهود؛ ولكنّه، بفضل تعرُّفه إلى أُناس غير يهود قد مدح إيمانهم - مِثل المرأة الكنعانيّة (مر ٨/ ١ ت/ /)، وقائد المائة (متّى ٨/ ٥ ت/ /)، والمرأة السامريّة (يو ٤)... -، اكتشف تدريجًا بُعد رِسالته الشُّموليَّ التي تتجاوز شعب عهد الله، لينطلق إلى جميع الأديان والثقافات، حتّى إنّ وصاياه الأخيرة لتلاميذه عند صُعوده اتّسمت بالشُّموليّة الكاملة:

«ستكونون لي شُهودًا في أورشليم، واليهوديّة كُلِّها والسامرة، حتّى أقاصي الأرض»

(رُسل ١/ ٨ - راجع مُر ١٦/ ١٥: «إلى الخلق أجمعين»، متّى ٢٨/ ١٩: «إلى جميع الأُمم»).

إنّنا نُلاحظ توسُّع الدائرة: من مدينة أورشليم، عاصمةِ اليهوديّة، إلى منطقة اليهوديّة الأوسع، إلى السامرة التي كانت في عداء مع اليهود، حتّى أقاصي الأرض، بلا حُدود، لأنّ قلب الآب يشمل بلا حُدود جميع البشر، أيًّا كان إيمانهم ومُعتقدهم الدينيّ[٣].

ونجد في أسفار العهد الجديد تطوُّرًا آخر، من **العامّ إلى**

(٣) اتّبعت الكنيسة الناشئة التدرُّج عينه، ذلك بأنّ سِفر أعمال الرُّسل يبدأ بأورشليم مع شخصيّة بُطرس، لينفتح على الأُمم الوثنيّة، من يونانيّين وروم، مع شخصيّة بولس 'رسولِ الأُمم'. ويروي سِفر أعمال الرُّسل 'عنصرة اليهود' (٢) وكذلك 'عنصرة الوثنيّين' (١٠/ ٤٤ ت)، في تدرُّج يعبِّر عن انفتاح الكنيسة على كافّة الشُّعوب. ولقد عرف الشعب اليهوديّ، هو أيضًا، انفتاحًا بعد السبي، حيث تركّزت نُبوءاته على أنّ الشُّعوب ستأتي إلى أورشليم التي عليها أن تُوسِّع خيمتها لاستقبالها (أش ٥٢، ٥٤/ ٢ ت). والفرق بين العهدين واضح: في ما 'تأتي' الشُّعوب إلى شعب الله المُختار في أورشليم، 'تذهب' كنيسة المسيح إلى جميع الشُّعوب من أورشليم.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**الخاصّ**: أي من **إعلان ملكوت الآب** (وقد يكون إعلانه قد استغرق من يسوع حوالى سنتين ونِصف السنة) إلى **إعلان شخص يسوع** (حوالى سِتّة أشهر). ودلالة ذلك أنّ الإيمان والخلاص يُمثِّلان مسيرة مُتزمِّنة: لم يُعلن يسوع ذاته إلّا بعد أن أعلن الملكوت، في تدرُّج يأخذ بالاعتبار قُدرة مُستمعيه على استيعاب قصد الله والإيمان به. وإنّ ذلك التدرُّج يهمُّنا في احتكاكنا ببشر لا يُشاركوننا في إيماننا، وهُم بعيدون أو قريبون منّا.

## رابعًا - نُصوص عن مصير غير المؤمنين بيسوع المسيح

بعد عرض مرجعيّة النُّصوص الأربعة السابقة، نتساءل: **وما مصير هؤلاء الذين لا يؤمنون بالمسيح ولا يعتمدون باسمه ولا ينتمون إلى كنيسته؟** إن كان الخلاص معروضًا على جميع البشر، فما مصير الذين لا تعرضه عليهم الكنيسة أو الذين لا يقبلونه؟ أسئلة شائكة حول موضوع حسّاس في كنائسنا العربيّة التي تعيش في وسط أُناس لا يؤمنون بيسوع المسيح ربًّا وإلهًا ومُخلِّصًا، ولا ينتمون إلى كنيسته.

لذلك سنُخصِّص فقرة لطرح هذه القضيّة، ولمُحاولة إلقاء الضوء عليها. ففي مرحلة أُولى، سنُوضِّح **إشكاليّة قصد الله** بين شُموليّة الخلاص وخُصوصيّة الإيمان بالمسيح والانتماء إلى الكنيسة. الأمر الذي سيؤدّي بنا، في مرحلة ثانية، إلى إظهار **وسائل الخلاص** لغير المُعمَّدين غير المُنتمين إلى الكنيسة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**بين شُموليّة الخلاص، وخُصوصيّة الإيمان بالمسيح والانتماء إلى الكنيسة:**

إنّ **الإشكالية المطروحة** تتلخّص في **قصد الله الشُّموليّ**

* في أن **يُشرك جميعَ البشر في خلاصه** من جِهة؛
* وفي **قصره على مَن يعتمدون** - في بعض النُّصوص الكِتابيّة - من جِهة أُخرى؛
* **وفي حصره في مَن يحيون اعتمادهم فِعليًّا** من جِهة ثالثة؛
* وفي اعتماده **مقاييس ومعايير خلاصيّة** إلهيّة لا بشريّة من جِهة رابعة.

وقد يبدو لبعضهم أنّ هُناك تناقضًا بين النُّصوص الكِتابيّة، كما أنّ هذا الموضوع قد يُثير تساؤلًا طرحه بالفِعل معاصرو يسوع عليه:

«من يقدر إذًا أن يخلص؟»

فكيف نطرح القضيّة طرحًا صائبًا يحترم مرجعيّة المُعطيات الكِتابيّة، ويُعضِّد إيماننا المسيحيّ، ويُرضي فِكرنا البشريّ؟

* ما لا شكّ فيه، أنّ قصد الله هو **خلاص البشر أجمعهم**، وهو لَمِن بديهيّات العهد الجديد، ولا داع لإثباته لكثرة وُضوح هذا المعتقَد. حسبُنا أن نذكر أنّ دم يسوع المسيح قد سُفك للجميع، وأنّ حياته وتعاليمه كانت بحثًا عن الخروف الضالّ والابن الضالّ، وعن العشّارين والزانيات، وعن عُمّال الساعة الحادية عشرة ولِصّ اليمين. . . ، فقد أتى للخاطئين ومات من أجل البشر الخاطئين وهُم في خطيئتهم. . .

* وثمّة بعض النُّصوص الكِتابيّة التي توحي **بضرورة الإيمان لنيل الخلاص**:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«**مَن آمن واعتمد يخلص،**
**ومَن لم يؤمن** يُحكَم عليه» (مر ١٦/ ١٦).

فتُعلن كلمةُ يسوع هذه **ارتباطَ الخلاص بالإيمان (بِه) والاعتماد**، في حين أنّها تُعلن **حصر الدينونة على عدم الإيمان**، ولا على عدم الاعتماد.

وتوحي نُصوص كِتابيّة أُخرى **بضرورة الاعتماد** أيضًا لنيل الخلاص:

«ما مِن أحد يُمكنه أن يدخل ملكوت الله
إلّا إذا كان ولا يزال **مولودًا من الماء** والروح» (يو٣/ ٥).

فتُعلن كلمةُ يسوع هذه صراحةً **ارتباط الخلاص بالاعتماد**.

وهُناك نُصوص كِتابيّة أُخرى تُدلي بالمعنى نفسه من **حصر الخلاص** في المؤمنين به والمُعتمدين في الكنيسة. إلّا أنّنا نُقدِّر أنّها قليلة، مُقارنةً بالنُّصوص الكثيرة التي تُعلن الخلاص لجميع البشر.

* وإذا نظرنا إلى **المُؤمنين بالمسيح** أنفسهم، وجدنا أنّ يسوع يضع بعض الحُدود لخلاصهم بمُقتضى **مُتطلّبات الحياة المسيحيّة**، فمِنها قوله:

«إن لم ترجعوا فتصيروا مِثل **الأطفال**،
لا تدخلوا ملكوت السموات» (متّى ١٨/ ٣).

فالعودة إلى الطُّفولة - إلى «الفقر الروحيّ» بحسب تطويبة يسوع الأُولى في رِواية متّى ٥/ ٣ - ضروريّة للخلاص.

ومِن مُتطلّبات الخلاص الأُخرى **عدم الغِنى**:

«يعسر على الغنيّ أن يدخل ملكوت السماوات.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لَأن يمرَّ الجمل من ثقب الإبرة
أيسر من أن يدخل الغنيُّ ملكوت الله» (متّى ١٩/ ٢٣-٢٦).

وثمّة أيضًا **العمل بمشيئة الله** لنيل الخلاص:
«ليس مَن يقول لي: 'يا ربّ، يا ربّ' يدخل ملكوت السموات بل مَن يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات» (متّى ٧/ ٢١-٢٣).

فنستخلص من هذه النُّصوص وغيرها(٤)، أنّ الخلاص لا يشترطه الإيمان بيسوع السميح ونيل المعموديّة والانتماء إلى الكنيسة فحسب، بل **مُتطلّبات مسيحيّة حياتيّة** أُخرى.

* فنحن في **حيرة** مُزدوجة: مِن جِهة، ثمّة **تناقض ظاهريٌّ** بين قصد الله الخلاصيِّ الشامل جميع البشر - وهذا هو الجوُّ العامُّ السائد في الكِتاب المُقدّس -، وبين حصر الخلاص في مَن يؤمنون ويعتمدون. ومِن جِهة أُخرى، هُناك **تضييق في الخلاص** - والنُّصوص غير كثيرة -، وقد تكلّم يسوع نفسه على «الباب الضيِّق»، وعلى أنّ «الذين يهتدون إليه قليلون» (متّى ٧/ ١٣-١٤). ما يجعلنا نندهش مع مُعاصري يسوع، فنسأله معهم:
«مَن يقدر أن يخلص؟»

فكيف يُمكننا الخُروج من هذين المأزقين؟

* إنّنا، بشأن **التناقض بين النُّصوص الكِتابيّة**، نُقرُّ بأنّ **التناقض ظاهريّ**، لأنّه لا يُمكن البتّة أنّ كِتابًا قد ألهمه الروحُ القدس،

(٤) وهي واردة في تعليم متّى الإنجيليِّ بوجه خاصّ: «مَن قال لأخيه: يا أحمق...» (٥/ ٢٢)؛ «مَن نظر إلى امرأة بشهوة...» (٥/ ٢٨)؛ مَن لا يغفر للناس...» (٦/ ١٥، ١٨/ ٣٥)...، استوجب جهنّم.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يتضمّن تناقضات. فإذا بدا لنا أنّ هُناك تناقضًا، استدعى الأمرُ تحليلًا أدقّ من النظرة السطحيّة التي تجد تناقضًا، وما أكثر الناظرين - مِن بين المسيحيّين وغير المسيحيّين - نظرة سطحيّة. فتتطلّب الأقوال المُتناقضة ظاهريًّا تفسيرًا أعمق. وفي ما نحن بصدده، علينا أن نُفسِّر النُّصوص التي تحصر الخلاص في مَن يؤمنون أو يعتمدون، وهي نُصوص قليلة نادرة، كما قُلنا؛ علينا أن نُفسِّرها في ضوء الجوِّ العامِّ السائد، ألا وهو الخلاص المعروض على جميع البشر، مؤمنين بيسوع المسيح كانوا أو غير مؤمنين به، مُعمَّدين أو غير مُعمَّدين، مُنتمين إلى الكنيسة أو غير مُنتمين.

فكيف يُمكننا فهم النُّصوص القليلة التي تشترط الإيمان بالمسيح والاعتماد والانتماء إلى الكنيسة لنيل الخلاص؟ ثمّة اتِّجاهان لمُحاولة فهمها:

+ إنّ النِّداء **بواجب الإيمان والاعتماد والانتماء** إلى الكنيسة مُوجَّه إلى مَن **وصلَتهم البُشرى ورفضوها**، وهذا ما يُقرُّه المجمع الفاتيكانيُّ الثاني، كما سنراه في حينه.

والسؤال المُلحُّ هو أنّ ما يقرب من ثلاثة أرباع البشريّة لم تصلهم البُشرى، فهل هُم يهلكون؟ هل يُهلكهم الله؟ خاصّة وأنّ **المسؤوليّة** لا تعود إليهم، بل إلى أبناء الكنيسة المُقصِّرين في إعلان البُشرى. فيتردّد فينا صدى صرخة بولس:

«كيف يؤمنون بمَن لم يسمعوه؟
وكيف يسمعونه من غير مُبشِّر؟
وكيف يُبشِّرون إن لم يُرسَلوا؟» (روم ١٠/ ١٤-١٥).

تقع المسؤوليّة، في نِهاية الأمر، على عاتق المؤمنين بيسوع المسيح، لا غير المؤمنين به.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

+ إنّ كلام يسوع على ضرورة الإيمان به والاعتماد يندرج في سِياق **صيغة أدبيّة** لا تقصد **الحكم بالدينونة الفِعليّة**، بقدر ما هي **حثٌّ** على الإيمان والاعتماد، **وتحذير** لِمَن لا يؤمن ولا يعتمد. هكذا علينا أن نفهم كلامه على مَن لا يرجعون كالأطفال، ومَن يمتلكون الأموال، ومَن لا يعملون بمشيئة الله. . . ، وكذلك مَن لا يؤمنون به ولا يعتمدون ولا ينتمون إلى الكنيسة. إنّ كلامه من باب الحثِّ أو التحذير، **لا الحُكم والقضاء**، لأنّه تعالى يُريد خلاص البشر أجمعهم.

فأمّا **الطريق العاديُّ** الذي قصده يسوع للخلاص، فإنّما هو الإيمان به والاعتماد والانتماء إلى كنيسته مِن جِهة، والعمل بموجب ذلك مِن جِهة أُخرى[٥]. غير أنّه قصد **طُرقًا أُخرى**، لِشِدّة حبِّ الآب للعالم (يو ٣/ ١٦) ولِشِدّة حُبِّه للبشر (يو ١٥/ ١٣)، فلم يأت ليدين العالم بل ليُخلِّصه، وإنّما العالم هو الذي يدين نفسه إذا رفضه (يو ٣/ ١٧-٢١).

ونُوضِّح الآن تلك الطُّرق الأُخرى:

## ١- خلاص الإنسان بحسب شريعته أو ضميره

بالرغم من وُجود تصريحات ليسوع قد يخال للبعض أنّها تتعلّق بالدينونة، غير أنّ الوحي الإلهيّ يُقرُّ بأنّ الإيمان - لغير المؤمنين

(٥) لذلك قال أوغسطينس:
«كثيرون هُم من الكنيسة وليسوا من الملكوت».
ويُصرِّح المجمع الفاتيكانيُّ الثاني:
«لا يخلص - وإن انتمى إلى الكنيسة - مَن لا يثبت في المحبّة فإنّه يبقى في أحضان الكنيسة قالبًا لا قلبًا» (نور الأُمم، ١٤).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بيسوع المسيح - يكمن في شريعتهم أو ضميرهم. وقد تنبّه بولس إلى ذلك عِندما كتب:

«العاملون بالشريعة [الموسويّة] هُم الذين ينالون البِرّ. الوثنيّون الذين بلا شريعة، إذا عملوا **بالفِطرة** ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، مع أنّهم بلا شريعة، فيدلّون على أنّ ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في **قلوبهم** وتشهد لهم **ضمائرهم وأفكارهم**، فهي تارة تشكوهم وتارة تُدافع عنهم» (روم ٢/ ١٣-١٦).

فكلام بولس واضح وُضوحًا لا يحتمل الدينونة لِمَن يعمل بموجب **شريعته** - إن كانت له شريعة -، أو بموجب **ضميره وفطرته، وقلبه وعقله** - وقد خلقها الله، ويعمل فيها الروح القُدس -.

## ٢- خلاص الإنسان بحسب محبّته

وإذا اعتمدنا على كلام يسوع في الدينونة العُظمى، وجدناه يدين البشر، لا على حسب إيمانهم واعتمادهم وانتمائهم إلى الكنيسة، بل على **حسب محبّتهم أو عدم محبّتهم للبشر**. فيقول بصريح العِبارة:

«كُلّ ما فعلتموه لإخوتي هؤلاء الصِّغار،
فبي قد فعلتموه» (متّى ٢٥/ ٤٠، ٤٥).

ومِن هُنا يأتي عُنصر المُفاجأة للجميع:

«متى رأيناك...؟»

أضِف إلى ذلك كلام بُطرس إلى بيت كورْنيليوس بالمعنى ذاته:

«أرى أنّ الله في الحقيقة لا يُفضِّل أحدًا على أحد



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**فمَن خافه مِن أيّة أُمّة كانت، وعمل الخير**
كان مقبولًا لديه» (رُسل ١٠/ ٣٤-٣٥).

فالذين يعتقدون أنّ الخلاص محصور على المؤمنين المسيحيّين أو المُعمّدين أو المُنتمين إلى الكنيسة، سوف يُفاجأون يوم الدينونة بأنّ حُكم الربِّ سيدور حول المحبّة أكثر منه حول الانتماء إلى دين مُعيّن. وإنّ أفعال المحبّة هذه تُعوِّض عدم الإيمان بيسوع المسيح وعدم المعموديّة وعدم الانتماء إلى الكنيسة، وضعُها وضعُ العمل بموجب الشريعة غير المسيحيّة أو الضمير غير المسيحيّ.

ولقد قالت تريزا الآبليّة، المُتصوِّفة المعروفة:

«في نِهاية حياتنا، سنُدان على المحبّة».

## ٣- خلاص الإنسان بحسب معايير إلهيّة مُفاجئة

وعِندما سُئل يسوع:

«مَن يقدر أن يخلص؟»،

أجاب بوُضوح أنّ ما يُعجز الإنسان لا يُعجز الله القدير على كُلِّ شيء (مر١٠/ ٢٧)، القادر على خلاص جميع البشر حتّى وإن لم يؤمنوا بابنه يسوع المسيح ولم يعتمدوا باسمه ولم ينتموا إلى كنيسته. بل لقد سبق أن غيّر يسوع **معايير الخلاص** تغييرًا جذريًّا، إذ سأله رجل:

«يا ربّ، هل الذين يخلصون قليلون؟»

فأجابه:

«أقول لكم: إنّ كثيرًا من الناس سيُحاولون الدُّخول ولا يستطيعون».

فهؤلاء سيقولون له:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«يا ربّ، اِفتحْ لنا [. . .]
لقد أكلنا وشربنا أمامك، ولقد علّمتَ في ساحاتنا».

فيحكم حينئذ عليهم:

«لا أعرف مِن أين أنتم.
إليكم عنّي، يا فاعلي السوء جميعًا».

فالذين كانوا يظنّون أنّهم من أهل الخلاص - أي المؤمنون بيسوع المسيح والمُعمَّدون باسمه والمُنتمون إلى كنيسته - سوف يُفاجأون أنّهم ليسوا أهلًا للملكوت. وأمّا الذين كان المؤمنون يستبعدونهم عن الملكوت - أي غير المؤمنين غير المُعمَّدين وغير المُنتمين إلى الكنيسة - فأُولئك سوف يتنعّمون بالملكوت:

«سوف يأتي الناس من المشرق والمغرب
ومن الشمال والجنوب
فيجلسون على المائدة في ملكوت الله».

ويختم يسوع تعليمه بقوله الذي يُغيِّر المقاييس البشريّة تمام التغيير:

«هُناك آخرون يصيرون أوّلين
وأوّلون يصيرون آخرين» (لو١٣/ ٢٢-٣٠).

فهذا النصُّ غايةٌ في الأهمِّيّة بشأن الخلاص، وإنّه يُطابق تعليم يسوع طوال حياته التعليميّة، حيث أعلن:

«إنّ العشّارين والبغايا يتقدّمونكم إلى ملكوت الله»
(متّى ٢١/ ٣١).

فعكَس يسوع معايير الخلاص ودُخول الملكوت، ليُبيِّن فائق رحمة الله وشديد رغبته في خلاص البشر أجمعهم، على نقيض الذين يحصرونه على فئة مُعيّنة ويعتبرون أنفسهم مُخلَّصين بمنطقٍ دينيٍّ بشريٍّ هو بالفِعل منطق الفِرّيسيّين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

### تشبيه مُعبِّر

لقد استخدم يسوع تشبيهات في تعليمه تُعبِّر عن عُمق ما يُريد توصيله للبشر، حتّى يفهم مَن يُريد أو يستطيع أن يفهم. فإن اعتبر أنّه هو «الكرمة» وأنّ المؤمنين به هم «الأغصان» الذين يتغذّون منه في علاقة حميمة (يو ١٥/ ١ ت)؛ إلّا أنّه، في الوقت عينه، عِندما حدَّث بالملكوت وشبَّهه بحبّة الخردل، أصغرِ البُقول التي تكبر فتُصبح شجرة تأتي إليها طُيور السماء وتُعشِّش في أغصانها (متّى ١٣/ ٣١-٣٢)، إنّما تلك الطُّيور الغريبة عن الشجرة - لا مَثل أغصان الكرمة - تستظلُّ فيها، ما يرمز إلى الملكوت التي يستضيف الغُرباء، لا أبناء الملكوت فقط.

### علامة خلاص جميع البشر

ومِمّا يلفت النظر في إنجيل طُفولة يسوع بحسب رِواية لوقا، أنّ الملاك جُبرائيل قد بشّر مريم بالخلاص في داخل الشعب المُختار: يعقوب، داود؛ وأنّ خِتام نشيد مريم يذكر العهد مع إبراهيم وذُرِّيّته. غير أنّ نُبوءة سِمعان خصّت بِالذِّكر خلاص جميع الشُّعوب والأُمم، ومعنى ذلك أنّ الإنجيل كُلّه هو بمثابة **رجاء خلاص جميع البشر** (مِن مُنطلق الشعب المُختار)، ذلك بأنّ البُشرى مُوجَّهة إليهم شُموليًّا، وهُم يتقبّلونها شُموليًّا: فقبول الوثنيّين إيّاها، كما ذكرتْه جميعُ أسفار العهد الجديد ولا سِيّما رسائل بولس وأعمال الرُّسل، **عُربون** قبول جميع البشر إيّاها على مرِّ الأجيال والعُصور، وما تبشير شُعوب إفريقيا وآسيا في القرنين التاسع عشر والعِشرين مثلًا، إلّا تحقيقًا عمليًّا ملموسًا مُحدّدًا للخلاص الشامل في مجرى تاريخ البشريّة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# الخُلاصة

تحقّقْنا، عبر عرضنا هذه النُّصوصَ الكِتابيّة، مِن صِحّة افتراضنا المُسبق، وهو

* **فرادة/ شُموليّة شخص يسوع المسيح**، بلا أيِّ مُساومة أو تردُّد: ما يُظهر أهمِّيّة الشهادة الحياتيّة لشخصه، وضرورة إعلانه، وذلك بتواضع مَن نالوا مجّانيًّا نِعمة الاهتداء إليه بدون أيِّ استحقاق منهم؛

* **الانفتاحَ على سائر الأديان**، منه الاعتراف بما هو صالح وخير في حياة البشر غير المسيحيّين. كما أنّنا تبحّرنا في النُّصوص التي تُفيد **بخلاص غير المسيحيّين**، وذلك بموجب شريعتهم أو ضميرهم أو أفعالهم.

* **المقاييس والمعايير الإلهيّة للخلاص** تختلف كُلّ الاختلاف عن التي يتبنّاها الإنسان، أو يُنادي بها، أو يعتمد عليها من قِراءته الكِتاب المُقدّس.

على هذا الأساس وفي ضوئه، يُمكننا إلقاء نظرة إلى **آباء كنيسة القُرون الأُولى** لنرى كيف طبّقوا ذلك في عصرهم، علّ موقفهم يُفيدنا اليوم في تعرُّضنا للقضيّة عينها.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثاني

# كنيسة القُرون الأُولى

## المُقدِّمة

سنعرض أوّلًا **الإشكاليّة الآبائيّة**، ما سيسمح لنا بدِراسة عِدّة **أنماط** من الخِطاب اللاهوتيّ المُتعلِّق بموضوعنا: الخِطاب الدِّفاعيّ، والعقائديّ، والروحيّ، والأساسيّ.

## أوّلًا - الإشكاليّة

تعود ميزةُ الاعتماد على **القُرون الأُولى مِن المسيحيّة** إلى أهمِّيّة عصر آباء الكنيسة الذين يُمثِّلون مرجعًا مضمونًا لخِطابنا اللاهوتيّ المُعاصر، وإلى أنّ عصرهم قد واجه - قبل عصرنا - العديد من المُعتقدات والمُمارسات والروحانيّات. ثُمّ إنّ المسيحيّين في القُرون الأُولى كانوا يُمثِّلون أقلِّيّة في داخل الإمبراطوريّة (حتّى الاعتراف الرسميّ التي تمّ عن يد قُسطنطين)، وقد عانت الشدائد والمُعاكسات والاضطهادات، ما جعلهم يُدافعون عن إيمانهم إزاء الخارج العدائيّ. ففي سبيل شهادتهم الإيمانيّة، قد أطلقوا تفكيرهم في مُختلف المُعتقدات المُنتشرة حولهم، فتعدّدت نظرتهم بِحسب الأماكن والظُّروف والمؤلِّفين.

ولا ينبغي طرح السؤال: هل كانوا **مُنفتحين أم مُنغلقين على**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**الخارج**؟ إذ لم يكن ذلك هاجسَهم، بل هو هاجسُنا نحن؛ لكن يجب التساؤل: كيف **نظروا إلى الخارج وتفاعلوا معه** وهم يشهدون للمسيح؟ وثمّة فُنون أدبيّة مُتعدِّدة قد استعملوها في سبيل ذلك، نُدقِّق النظر في ثلاثة مِنها: الفنِّ الدِّفاعيِّ والعقائديِّ والروحيِّ، فضلًا عن الخِطاب اللاهوتيِّ الأساسيِّ الذي يسمح لنا بمعرفة نظرة الآباء إلى الإنسان والعقل.

## ثانيًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الدِّفاعيّ

استُعمل هذا الخِطاب إذ دافع المسيحيّون عن إيمانهم أمام مُعارضين دينيّين وسياسيّين ومُفكِّرين. وما يشدُّ الانتباه أنّهم أبدعوا في ذلك الفنِّ إذ **استعانوا بتقاليد العالم الوثنيّ**. نذكر على سبيل المِثال لا الحصر:

* **إيريناوس أُسقف ليون** الذي اعتبر أنّ **ابن الله أعلن الآب لكُلِّ الخليقة**، وذلك مُنذ البدء، وبطريقة أكثر أو أقلّ خفاء (الردّ على الهراطقة).

* **هيلاريون أُسقف بُواتييه** الذي نظر إلى كلمة الله على أنّه يُشرق كالشمس على جميع الناس (الآباء اليونانيّون).

* **أكليمَنْدُس الإسكندريّ** الذي أسهب في ذِكر الفلاسفة والشُّعراء اليونانيّين، وعبّر عن «**بعض شرارات اللوغُس الإلهيّ**» (باليونانيّة: Spinthires tou Logou tou Théou، وبالفرنسيّة: Etincelles du Logos divin)، اعتمادًا مِنه على أنّه «نور» العالم كما بيّنه إنجيل يوحنّا. غير أنّ تِلك «الشرارات» هي «أشلاء مُبعثَرة» و«جُزئيّة»، ذلك لأنّ الشيطان منع الوثنيّين من الوُصول إلى الحقيقة



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الكاملة المُتجلِّية في يسوع المسيح، إلّا أنّه لا يولَج إنسان بدون المسيح (الكنز).

* **أوريجينُس الإسكندريُّ** الذي اعتمد على سِفر العدد حيث إنّ المُنجِّم الوثنيّ بلْعام قد بارك إسرائيل، لا لأنّ الله يقبل التنجيم، بل لأنّه «يحضر لِمَن يأتي إليه، فيكشف له كلمته»، ما يُنبئ بالمجوس الذين قدِموا مِن بعيد - جُغرافيًّا وثقافيًّا ودينيًّا - ليسجدوا للطِّفل يسوع، وقد كشفت لهم النجمةُ طريق بيت لحم...

* **تَرْتُليانُس**، بالرغم مِن جِداله الشهير ضِدّ آثينة وأورشليم، إلّا أنّه كان يستند إلى الثقافة القديمة بِقدر ما كانت تُفيد إعلان البُشرى المسيحيّة.

* **يوسْتينُس**، فقد اعتبر، مع العديد من الآباء مِن بعده، أنّ الله قد أعلن ذاته بطُرق مُختلفة، فأبدع صيغة أخذت رواجًا عظيمًا إلى اليوم، وهي «**بُذور الكلمة**» (باللاتينيّة: Semini Verbi، وبالفرنسيّة: Semences du Verbe)، أو، بتعبيرنا المُعاصر، «آثار الله»، إذ بذَر اللهُ كلمتَه بين مُختلف الشُّعوب والحضارات قبل تجسُّد ابنه الكلمة؛ وقد فرض هذا التعبير نفسه بفضل نظرته الإيجابيّة إلى الأُمم غير المسيحيّة[1].

* **يوحنّا ذهبيُّ الفم** الذي آمن بأنّ النِّعمة تُمنح لصانعي الخير، وإن كانوا لا يعرفون الشريعة والأنبياء (عِظة في الرِّسالة إلى العِبرانيّين).

---

(١) سنتعمّق في مُصطلحي أكليمندُس («شرارات الكلمة الإلهيّ») ويوسْتينُس («بُذور الكلمة») اللاهوتيّين في تحليلنا الكريسْتولوجيّ، نظرًا إلى مِحوريّتهما في خِطاب لاهوت الأديان.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* **هيرونيمس** الذي يدعو الذين يعيشون «بدون الإيمان وبدون إنجيل المسيح» «حاملين بُذور الله» (في الرِّسالة إلى الغلاطيّين).

* **أمْبروسيوس** الذي قال إنّ «شمس البِرِّ السِّرِّيّة» قد طلع «وظهر للجميع، وتألّم من أجل الجميع» (مز ١١٨).

* **أوغسطينس** الذي تكلّم على عون الله العامل في جميع الشُّعوب (في الكهنوت)، وعلى مشيئة الله الخلاصيّة الممنوحة للصِّدّيقين من مُختلف الشُّعوب (الرسائل...)؛ كما أنّه اعترف بأنّ للوثنيّين أيضًا «قِدّيسيهم المحجوبين» (في التعليم المسيحيّ للبُسطاء)، ولهم أنبياؤهم (الردُّ على فاوُسْتوس).

عبر تِلك الأمثلة النُّموذجيّة، نُدرك أنّ مسيحيّي القُرون الأُولى لم يكتفوا بالدِّفاع عن إيمانهم، بل **أخذوا بالاعتبار وضعَ غير المسيحيّين**، لا سِيّما ما تتضمّن عقائدُهم مِن حقيقة، إذ قد بذل يسوع المسيح حياته لأجلهم أيضًا. إنّ الآباء نظروا إليهم بكُلِّ تواضع وجُرأة في آن واحد، من مُنطلق محبّتهم الباطنيّة المُتّجهة نحو الخارج، كما ذكرناه في النُّصوص الكِتابيّة.

## ثالثًا - الخِطاب اللاهوتيُّ العقائديّ

ما لا ريب فيه أنّ الخِطاب اللاهوتيّ العقائديّ قد نشأ في داخل الجماعات المسيحيّة، لا سِيّما في إطار طُقوسها وتعاليمها المسيحيّة، وذلك من مُنطلق الكِتاب المُقدّس. غير أنّ ما ساعدها على التعمُّق في مضمون إيمانها وفي تحديد معالمه، **احتكاكُها الثقافيُّ** بالخارج المُختلف عنها، عبر المُناظرات والمُناقشات والمُواجهات. فعلى سبيل المثال، إنّ جِدال **إيريناوس** مع



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الغنوصيّين ولا سِيّما مَرْقيون، جعله يتعمّق في مفهوم المسيح الذي «يجمع تحت رأسه ويدمج في شخصه» (باللاتينيّة: Recapitulatio) الجميعَ وكُلّ شيء، اعتمادًا مِنه على ما قاله بولس في أفسس ١/ ١٠ (باليونانيّة: Anakèphalaioô). وكذلك، أمام سِلْسِيوس الذي، اعتمادًا مِنه على تقاليد بعض الأبطال الوثنيّين الذين اختفوا ثُمّ عادوا، نقد قيامةَ المسيح، ما أدّى **بأوريجينس** إلى شرح معنى قِيامة المسيح الحقيقيّ والتعمُّق فيه. وكذلك الأمر في ما يتعلّق ببعض المُمارسات الوثنيّة التي سمحت لسائر الآباء بشرح **الأسرار والطُّقوس والعقائد المسيحيّة** على حقيقتها. وخُلاصة القول أنّ الصرح العقائديّ المسيحيّ لم يتشيّد بفضل الداخل فحسب - مِن بِدع وهرطقات -، بل بفضل **تفاعل الآباء مع الخارج و'الآخَر المُختلف'**، وإن كان مُعاكِسًا، مُناهضًا، أو عدائيًّا[٢].

## رابعًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الروحيّ

لم يقتصر الإيمان المسيحيُّ على الدِّفاع والعقائد، بل نما الخِطاب الروحيُّ أيضًا وهو يُعبِّر عن **نمط الحياة بالروح**، ذلك النمط الذي يقتدي بالمسيح ويعتمد على الكُتب المُقدّسة ويتغذّى بالأسرار، وكلُّ ذلك في داخل الجماعة الكنسيّة. غير أنّ ذلك الفنّ الأدبيّ نشأ هو الآخر بفضل **تفاعله مع مُختلف الظُّروف الثقافيّة والدينيّة والسياسيّة** التي أحاطت بالمسيحيّين. ففي ظُروف الاضطهادات، نما خِطاب **الاستشهاد**. وفي ظُروف التعايش

(٢) سنتعمّق في ثمرة الاحتكاك بالخارج والمُعاملة معهم في كلامنا على 'الحِوار' وعلى 'الخِطاب اللاهوتيّ بالمُقارنة'، حيث إنّهما فرصة للتعمُّق في الإيمان الشخصيّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

السِّلميّ، تحدّدت معالم **مُفارَقة الحياة المسيحيّة** «في العالم»/ «لا مِن العالم»، وذلك في وسط الآخرين المُختلفين. وفي ظُروف التأثُّر بالفلسفة الأفلاطونيّة، ظهر **التصوُّف** وتحدّدت تعبيراته الروحيّة. وفي ظُروف الرخاء القُسطنطينيّ بعد عصر الاضطهادات، نشأت **الحياة الرهبانيّة** وهي نمط آخر من الاستشهاد لأنّها موت يوميٌّ عن الذات، عُبِّر عنها اليوم بتشبيه «الخيط الأبيض»، في حين أنّ الاستشهاد هو «الخيط القرمزيّ»...

نجد في ذلك المجال أيضًا أنّ الحياة المسيحيّة لم تكن حياة كنسيّة مُنطوية على ذاتها وعلى أبنائها، بل هي **تفاعلت مع كُلِّ ما كان يحدث حولها**، وإن كان لا يمتُّ إليها بصِلة مُباشرة، لا بل وكان أحيانًا مُعاديًا لها، وتأثّرت به إذ صبغته صبغتها المسيحيّة الخالصة.

## خامسًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الأساسيّ

إذا ألقينا نظرة نقديّة على ما قاله الآباء، وجدنا أنّ خِطابهم اللاهوتيّ الأساسيّ (Théologie fondamentale) كان يعتمد على ما يُمكننا أن نُطلق عليه تسمية **'الخِطاب اللاهوتيّ الطبيعيّ'** (Théologie naturelle) الذي تبنّاه مُعظمهم - مِثل أكليمَنْدُس الإسكندريّ، ويوسْتينُس، وترتُلْيانُس... -، حيث اعترافهم بأنّ الإنسان، كُلّ إنسان، يتميّز في علاقته بالله، بـ«حِسٍّ فِطريّ»، و«شُعور داخليّ»، و«معرفة طبيعيّة»، وهو «حِسُّ الله» الذي لا يُحرَم منه أيُّ إنسان، لأنّ ذلك الحِسّ دفين في الطبيعة البشريّة، وتؤكِّده النفسُ البشريّة. بل ذهب بعضهم إلى اعتبار النفس «مسيحيّة بُحكم الطبيعة» (ترتُليانُس)، فالإقرار بـ«استعدادها الإنجيليّ»، وما الفلسفة اليونانيّة سِوى «ثقافة تمهيديّة» في سبيل ذلك (أكليمنْدُس).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويعود ذلك الاستعداد البشريُّ الفِطريُّ إلى **مصدر «العِناية الإلهيّة»** (يوسْتينُس). وتحديدًا، لقد اعتبر أوغسطينُس أنّ «الإنسان الإله» يُرشد الإنسان إلى «إله الإنسان». حتّى إنّ أكليمَنْدُس الإسكندريّ تجاسر أن يعتبر ذلك «عهدًا» من الله، مِثل العهد القديم والعهد الجديد، مُتَّجهًا نحو العهد الجديد.

ومع عمل الله هذا، هُناك **تعاضد الإنسان**، حيث إنّ «أشعّة الآب مُستعدّة، مُنذ الأزل، للسُّطوع حيث تنفتح نوافذ النفس» (هيلارِيون البُواتِيانيّ).

وقد حدّد أكْليمَنْدُس الإسكندريّ ذلك التعاضد على أنّه يتمُّ بين «اللوغُس الإلهيّ» و«العقل البشريّ».

## الخُلاصة

ما سبق أن اكتشفناه في الكِتاب المُقدّس مِن **ازدواج شهادة الإيمان المسيحيّ / التفاعل مع الخارج وهو موضوع اهتمام الله**، قد وجدناه هُنا أيضًا في قراءتنا السريعة في العُصور الأُولى مِن المسيحيّة. كان بوُسعنا أن نقرأ في سائر العُصور المسيحيّة، لا سِيّما في ما بعد الاعتراف الرسميّ بالمسيحيّة، ولكنّنا نكتفي بهذا القدر وهو نُموذجيّ[٣].

ونُصوِّب نظرنا الآن، من مُنطلق القراءتين السابقتين، الكِتابيّة والآبائيّة، وهُما قِراءتان نُموذجيّتان إذ إنّهما مرجعان تقليديّان في

(٣) للمزيد من التعمُّق في خِطاب الآباء، راجع مقال الأب جو بوحجر اليسوعيّ، «آباء الكنيسة والوثنيّون والوثنيّة»، الوارد في مجلّة **المشرق**، ص٢٩١-٣١٥ (راجع البيبْليوغرافيا).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الكنيسة، إلى **نظرة المسيحيّة المُعاصرة إلى سائر الأديان، وتعاملها معها**، ونخصُّ بالذِّكر المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثالث

# كنيسة المجمع الفاتيكانيّ الثاني

## المُقدِّمة

لقد أحرز **المجمع الفاتيكانيُّ الثاني** تغييرًا عميقًا في مفهوم العلاقة بين المسيحيّة وسائر الأديان من جِهة، وفي قضيّة خلاص غير المسيحيّين من جِهة أُخرى[1]. فكيف يُمكننا تقييم هذه النُّصوص المجمعيّة، وقد مرّ على صُدورها ما يقرب من خمسين سنة: هل دمجها الفكر اللاهوتيُّ في بيئتنا المسيحيّة العربيّة؟ وهل عاشها المسيحيّون وحقّقوها؟

سنذكر سريعًا أهمّ **المُكتسَبات** المجمعيّة مِن الزاويتين اللتين نتحرّى عنهما: خلاص غير المسيحيّين، ووضع الأديان اللاهوتيُّ في الخلاص. ثُمّ سنتساءل: كيف **قُبلت** تلك المُكتسبات في العالم المسيحيِّ بوجه عامّ. وبِناء على ما سنتوصّل إليه، سنعرض قضيّتين لاهوتيّتين حيويّتين: **حوار الأديان** من جِهة، وعلاقة الحِوار **بالاعتراف الإيمانيِّ بيسوع المسيح** من جِهة أخرى.

(١) أُنظر إلى النُّصوص التي تناولت الموضوع في البيبْليوغرافيا، خُصوصًا الوثائق الكنسيّة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## أوّلًا - قضيّتا دور الأديان ووضعِها اللاهوتيِّ في الخلاص

كان مشروع التصريح علاقة الكنيسة بالدِّيانات غير المسيحيّة في أصله يقتصر على العلاقة **باليهود**، لا سِيّما بسبب الروابط الروحيّة العميقة الوثيقة بهذا الشعب، والمُناشِدة بمُناهضة جميع ألوان النزعة المُعادية للساميَّة. إلّا أنّ التصريح، أثناء صياغته، لم ينحصر في اليهود، بل تجاوزهم ليشمل **سائر الأديان**، وقد نالت العلاقة **بالمُسلمين** مكانة مرموقة، نظرًا إلى توحيدهم مِثل اليهود والمسيحيّين (٣ و٤).

ويُمكننا تلخيص **التعليم المجمعيِّ** في هذه الفكرة المُزدوجة الجوهريّة:

«**لا تنبذ الكنيسة الكاثوليكيّة شيئًا مِمّا هو حقٌّ ومُقدَّس في هذه الدِّيانات**، وتُقدِّر، باحترام صادق، مبادئ العمل والحياة والتعاليم، تلك التي تحمل **قبسًا من شُعاع الحقيقة** التي تُنير جميع الناس، وإن اختلفت في أُمور كثيرة عمّا تقول به وتُعلِّمه تلك الدِّيانات.

**غير أنّها تكرز**، وينبغي لها أن تكرز بلا انقطاع، بالمسيح «الطريق والحقِّ والحياة» (يو ١٤/ ٦)، وفيه يجد الناس مِلء حياة الإيمان، وبه صالح اللهُ مع نفسه جميعَ الأشياء (٢ قور ٥/ ٩)» (٢).

هُناك إذًا تطلُّبان قد يبدو لأوّل وهلة أنّهما مُتعارضان، غير أنّنا سنُبيِّن كيف التوفيق بينهما، وهما: **الاعتراف بما هو صالح في مُختلف الأديان** - وقد وجدناه في فِكر الآباء -، ما يفتح الباب للحِوار/ **واجب الكِرازة بيسوع المسيح**، وبرِسالته الشاملة البشريّة جمعاء.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أضف إلى ذلك، مُناشدة الكنيسة، من مُنطلق هذين التطلُّبين، بـ«**الأُخوّة الشاملة**» المبنيّة على أنّ جميع البشر هُم «مخلوقون على صورة الله»، وأنّ معرفة الله تُترجَم في محبّة البشر، ما يُحتِّم التنديد «بأُسس كُلِّ نظريّة أو سُلوك يُفرِّق بين الإنسان والإنسان، وبين أُمّة وأُمّة، في ما يتعلّق بالكرامة الإنسانيّة والحُقوق المُنبثقة مِنها. لذا، فإنّ الكنيسة تستنكر كُلّ تفرقة وكُلّ عنف يقع على الناس بسبب الجِنس أو اللون أو الطبقة أو الدين، لأنّ ذلك يُخالف روح المسيح» (٥).

فالكنيسة تتمسّك باحترام الإنسان تمسُّك الله تعالى به. وعليه، فإنّها تُقرُّ **بحقِّ كُلِّ شخص في اعتناق دينه**، انطلاقًا من اقتناعها بحُرِّيّته البشريّة، المبنيّة على الوحي المسيحيِّ نفسه الذي يُؤسِّس إيمان الإنسان على حُرِّيّته الشخصيّة، ذلك بأنّ الله يعرض ولا يفرض عليه الإيمان، فكم بالحريِّ على الإنسان أن يحترم قُدسيّة الاختيار الإيمانيِّ الشخصيِّ بدون أن يُمارس أيّ لون من ألوان الضغط أو الإجبار أو القهر أو القسر أو الإكراه (راجع كرامة الإنسان، ١٠-١١).

## ثانيًا - قضيّة خلاص غير المؤمنين بيسوع المسيح

وإذا صوّبنا نظرنا نحو **البشر** بصِفتهم أشخاصًا، لا نحو الكنيسة التي تؤمن بيسوع المسيح وتُعلنه، أمكننا أن نُلخِّص موقف المجمع في العِبارات الآتية:

«لا يستطيع أن يخلص أولئك الذين **يعلمون** أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة قد أسّسها الله بواسطة المسيح **واسطة ضروريّة**، وبالرغم من ذلك **يرفضون** دُخولها أو البقاء فيها» (نور الأُمم، ١٤).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأمّا غير المؤمنين الآخرون، فيقول فيهم المجمع في فرح ورجاء:

«... أمّا الذين لم يقبلوا الإنجيل بعد، فإنهم مُتّجهون نحو شعب الله بطُرق مُختلفة، وأوّلهم ذلك الشعب الذي أُعطي **العُهود والمواعيد** وكان مِنه المسيح بحسب الجسد [...]. وتدبير الخلاص يشمل أيضًا الذين يعترفون بالخالق وفي طليعتهم **المُسلمون** الذين يُعلنون تمسُّكهم بإيمان إبراهيم، ويعبدون معنا الإله الأوحد، الرحيم، الذي سيدين البشر في اليوم الأخير [...].

فالله [...] يُريد أنّ **جميع البشر يخلصون** (١ طيم ٢/ ٤). فالذين **يجهلون بلا ذنب منهم إنجيلَ المسيح وكنيسته، ويبحثون عن الله بقلب مُخلص، ويسعون بأعمالهم** - تحت تأثير النِّعمة - إلى إتمام مشيئته الظاهرة لهم في ما يُمليه عليهم ضميرهم، يستطيعون أن يصلوا إلى الخلاص الأبديّ. والعِناية الإلهيّة لا تحرم من العون الضروريِّ للخلاص الذين لم يبلغوا بعد - **بلا ذنب مِنهم** - إلى معرفة الله معرفة واضحة، ويسعون بنعمة إلهيّة إلى **حياة قويمة**. فكُلُّ ما كان عِندهم من **خير وحقّ**، تعتبره الكنيسة بمثابة **تمهيدٍ للإنجيل** (راجع يوسابيوس القيصريّ: الإعداد الإنجيليّ، ١/ ١) **وهِبةٍ** مِن لدن مَن يُنير كُلّ إنسان حتّى ينال الحياة أخيرًا. لكنّ البشر، وقد خدعهم إبليس، كثيرًا ما سفهوا في أفكارهم وأبلوا حقيقة الله بالباطل، إذ عاشوا وماتوا في هذا العالم بدون الله. ولذلك، فالكنيسة - إذ تهتمُّ بمجد الله وخلاص كُلِّ البشر، وتتذكّر وصيّة الرب: 'أعلنوا البِشارة إلى الخلق أجمعين' (مر١٦/ ١٥) - تعمل بهِمّة في سبيل تشجيع الإرساليّات ومُساندتها» (١٦).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ هذا النصّ المجمعيّ يؤكّد ما قاله الآباء من إمكانيّة خلاص غير المسيحيّين[٢].

## ثالثًا - إشكاليّة حِوار الأديان

يجب الإشارة بادئ ذي بدء إلى اعتبار الحِوار **ظاهرة حضاريّة في عالمنا اليوم**، حيث اكتساح **التعدُّديّة** (Pluralisme) جميعَ مجالات العالم السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والدينيّ والثقافيّ...، وذلك في ثقافة **العَوْلَمة** (Mondialisation-Globalisation) التي تجمع شمل جميع الشُّعوب والأُمم والأديان في بوتقة مُوحّدة... وما يُقال على مُستوى العالم، يُقال أيضًا على مُستوى كُلِّ جماعةٍ ودولة ودين... فأصبح الحِوار ضرورة مُلحّة للسماح بالتفاهم والوحدة، لا سِيّما حيث النِّزاعات على اختلاف أنواعها. وقد عبّر المجمع عن اقتناعه هذا بقوله:

«إنّ الجِنس البشريّ يزداد تقاربًا يومًا بعد يوم. وإنّ العلاقات بين الشُّعوب تزداد توثُّقًا».

وفي غُضون ذلك الواقع العالميّ، تقوم الكنيسة بدورها:

«وفقًا لمُهمّتها في أن تدعم الوحدة والمحبّة بين البشر، والشُّعوب، تنظر [الكنيسة] قبل كُلِّ شيء إلى ما هو مُشترك بين الناس، وما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى الشركة بعضهم مع بعض» (في عصرنا، ١).

---

(٢) ليتسنّى لنا تقدير ما أحرزه المجمع من تقدُّم ملموس حقَّ تقدير، خصّصنا فقرة كاملة في الفصل السابع عن الإكليزيولوجيا، للصيغة التقليديّة: «لا خلاص خارج الكنيسة». بين هذه الصيغة وما أقرّ به المجمع تطوُّر هائل يُذكر. في سبيل المُقارنة، يُمكن قِراءة المُلحق ٤ ثانيًا، الذي يعرض وِجهة نظر إسلاميّة عن خلاص غير المُسلمين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فمن الواضح أنّ الكنيسة واعية لرِسالة الوحدة والمحبّة والشركة، وجميعُها من مُقوِّمات شخصيّتها المُميّزة.

أمانةً لذلك، أولى المجمع للحِوار أهمِّيّة بالغة واهتمامًا عظيمًا، وكان بولس قد أبدع فيه في مُحادثاته وحِواراته وجِدالاته مع مُعاصرين اليهود والوثنيّين. فيتحتّم علينا أن نفهم معنى الحِوار حقّ فهم. وسنتناوله من زوايا خمس مُتكاملة: **الأُسُس** التي يعتمد عليها الحِوار؛ **والأهداف** المرجوّة **والثِّمار** المُنتظرة؛ **والمُتطلِّبات والشُّروط** الواجب توافرها حتّى يتمّ حِوار حقيقيّ؛ **ونماذج** من الحِوار؛ **والأنماط** المُختلفة في الحِوار[٣].

## ١- الحِوار وأُسُسُه

إنّ جُذور أيِّ حِوار تتأسّس أوّلًا على **الخِبرة الإنسانيّة** التي يعيشها كُلّ إنسان، فيُعبِّر عنها ليُشارك الآخرين في ما يعيشه.

ولدى المسيحيّين، ينطلق الحِوار من إيمانهم بالله، وهو **علاقة بين الآب والابن والروح**. وإنّ يسوع المسيح، الابن الأزليّ، هو **كلمة الآب**: Logos، فالحِوار، باللغة اليونانيّة، هو Dialogos، أي أنّ الحِوار البشريّ الحقيقيّ يتأسّس على يسوع المسيح الكلمة الحقيقيّة الكاملة، وهو مبنيٌّ عليه، وقد محور حياته كُلّها حول العلاقة بالآب والعلاقة بالبشر في الروح الواحد. وكما أنّ الروح القُدس هو **علاقة الحُبِّ** بين الآب والابن، كذلك هو العلاقة التي تربط المُتحاورين بعضهم ببعض.

(٣) لحديثنا هذا تكملة في «الخِطاب اللاهوتيّ بالمُقارنة» الوارد في إشكاليّة الفصل الثامن.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبناء على ذلك، تعتبر الكنيسة **الحِوار تطلُّبًا أساسيًّا** يُعبِّر عن **ما في المسيحيِّ من بُعد علائقيٍّ يتجسّد في الحِوار**، وقد ناشد البابا بولس السادس المسيحيّين في رِسالته كنيسة الله أن يتحاوروا مع الإنسانيّة، وسائر الأديان، وسائر المسيحيّين، وفي داخل الكنيسة الكاثوليكيّة، وذلك لأنّ الحِوار رُكن رئيس من الحياة المسيحيّة.

## ٢ - الحِوار وأهدافه وثِماره

واعتمادًا على ما سبق، اعتبر البابا بِندكتس السادس عشر أنّ الحِوار

«**ضرورة حيويّة** يتوقّف عليه مُستقبلُنا، إلى درجة كبيرة»

(إلى مُمثّلي المُسلمين، في كولونيا).

ويتحقّق الحِوار على أصعدة مُختلفة مُتكاملة: صعيد شخصانيّ، وصعيد سوسيولوجيّ، وصعيد جماعيّ، وصعيد إيمانيّ:

### * البُعد الشخصانيّ

**إنّ الاعتراف بقيمة الشخص** كما ينظر إليه الإنجيل هو كُنه الحِوار. فالمُتحاورون يُغيِّرون نظرتهم بعضهم إلى بعض، وخِبرتهم الإنسانيّة تغتني. فما يهمُّ المُتحاورين هو الشخص البشريّ، أيًّا كانت مُعتقداته وانتماءاته وارتباطاته، لأنّه مِحور الحِوار.

### * البُعد الجماعيّ

لا يبغي حِوار الأديان وحدتها في دِيانة واحدة توفيقيّة[٤]، على

(٤) بهذا المعنى، يُمثِّل الحِوار الدينيُّ مع المُسلمين صُعوبة حقيقيّة، بقدر ما هم يعتبرون دينهم جامعًا اليهوديّةَ والمسيحيّة؛ لذا فإنّ خطر نظرتهم 'التوفيقيّة'=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خِلاف الحِوار الكنسيِّ المسكونيِّ الذي يبغي وحدةَ الكنائس، بل هو يبغي **وحدة بين البشر والشُّعوب**، في وِفاق ووِئام بينهم، بمنأى عن أيِّ خِصام أو عداوة باسم الله، بلا **أيِّ** روح 'صليبيّة' أو 'جِهاديّة'. وكم بالأحرى لا يصبو الحِوار الدينيُّ إلى ضمِّ الآخر أو احتوائه، بل يهدف **الإشراك في أفضل ما يعيشه المُتحاوران**، بموجب المحبّة التي تُريد للآخر ما تُريده مِن خير لنفسها، ولكن بدون أيِّ إجبار أو ضغط من أيِّ نوع كان؛ وبهذه الروح، وبهذه الروح فقط، إنّ 'الكِرازة' ('التبشير' المسيحيّ) و'الدعوة' (الإسلاميّة) أمر حميد تُحتِّمه شُموليّة هذين الدينين، ولا يُعاب عليها مادامت غير مُتستِّرة وغير مُلتوية؛ دافعُها محبّةُ الآخر التي تُولِّد الرغبة في إشراك الآخر في أفضل ما عِند المُتحاور، أي الله، وذلك بكُلِّ احترام وبدون ضغط أو مُمارسات إغرائيّة. وفي نِهاية الأمر، ثمّة «تبشير مُتبادل» بين المُتحاوريْن، و«إنّما الله هو المُبشِّر» (جاكْ دوبويه اليسوعيّ)[٥]

### * البُعد الإيمانيّ

لا يخلو الإيمان من **تأدية دوره في الحِوار** ومن **تأثُّره به**:

---

=و'الاحتوائيّة' غير وهميّ، لذا فالحِوار يُحتِّم شرطًا توضيحًا منهجيًّا بدون أدنى التباس في هذا الشأن.

(٥) إنّ العلاقة بين 'الحِوار' و'الإعلان' علاقة وثيقة، وهي قابلة للتعمُّق: هل الحِوار هدفٌ بحدِّ ذاته، أم هو طريق ووسيلة للإعلان؟ هل هو جُزء مِنه؟ على كُلِّ حال، إنّ الحِوار والإعلان لا يقبلان التبادل، فهُما حقيقتان مُختلفتان. وأمّا مفهوم 'الإعلان' نفسه، فقد تطوّر: فيما كان يعني في أثناء انعقاد المجمع إعلان شخص المسيح ورِسالته، وهو معنى حصريّ، أصبح نِطاقه لاحقًا أوسع: الشهادة الحياتيّة لله، عبر الالتزام والخِدمة، والعلاقة نفسها بالله.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«إنّ مِلء الحقيقة الممنوحة في يسوع المسيح لا تضمن للمسيحيِّ أنّه قد استوعب كاملًا تلك الحقيقة. في نِهاية الأمر، ليست الحقيقة شيئًا نمتلكه، بل هي شخص علينا أن ندعه يمتلكنا. تِلك عمليّة بلا نِهاية. على المسيحيّين، إذ يحتفظون بهُويّتهم كاملًا، أن يكونوا مُستعدّين أن يتقبّلوا من الآخرين وعن طريقهم قِيَمَهم الإيجابيّة الكامنة في تقاليدهم. قد يؤدّي بهم الحِوار إلى أن يتغلّبوا على أحكامهم المُسبقة الراسخة، وإلى الشكِّ في آرائهم المُسبقة، بل وإلى قبول تطهير إيمانهم» (حِوار وإعلان).

هكذا، فإنّ الحِوار الصادق الصريح يؤثِّر بدون شكٍّ في المُتحاورين، بل ويُساعد على تغيير النظر إلى الآخر، ما لم يكن في الحُسبان قبل الحِوار. بل إنّ إيمانهم قد يتعمّق، وتقدُّمهم في البحث عن الله قد يزداد، وانتماءهم الجماعيّ قد يرسخ.

## ٣- الحِوار ومُتطلِّباته وشُروطه

يجب توضيح **ما ليس الحِوار** أوّلًا، لتحديد **ما هو الحِوار** ثانيًا:

**+ ما ليس الحِوار**

إنّ مُمارسة الحِوار قد تُؤدّي إلى سُوء تفاهم، بل وإلى انحرافات، إن لم يتمّ توضيح بعض النِّقاط القابلة للالتباس:

* ليست **الأديان هي التي تتحاور**، بل **المؤمنون** هم المُتحاورون. فالدين مؤسَّسة واقعُها العينيُّ يظهر في المؤمنين المُنتمين إليه. ويُصبح الحِوار حقيقيًّا إذا التقى مُؤمنون عينيّون.

* ليس الحِوار **رغبة في الوُصول إلى اتِّفاق مُشترك** بين



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الطرفيْن، كما سبق أن أشرنا إليه. قد يكون ذلك موضوع الحِوار المسكونيّ لبُلوغ اتِّحاد الكنائس، لا حِوار الأديان الذي يشترط تمسُّك كُلِّ مُحاور بدينه.

* ليست روح الحِوار **تكفير الآخر المُختلف**، فذلك أمر مرفوض بوجه مُطلق، لأنّه يُنافي إمكانيّة الدُّخول في أيِّ حِوار. وقد ينجم تكفير الآخر من الخوف مِنه، أو من خوف فُقدان التفوُّق عليه ففُقدان الطُّمأنينة.

* عِندما **يُغَضُّ النظر عن الاختلافات بين الأديان** لحِساب إرضاء المُتحاورين ومُجاملتهم؛ أو إذا نقص الصِّدق بين المُتحاورين؛ أو لمّا يفرض أحد الأطراف نظرته على الآخرين بنظرة فوقيّة...؛ فذلك كُلُّه يجعل الحِوار مُستحيلًا.

**+ ما هو الحِوار**

يجب أن تتوافر إيجابيًّا بعض **المُتطلّبات والشُّروط** بالرغم مِن وُجود بعض الشوائب والمُغالاة، فهي لا تُمثِّل سببًا كافيًا لمنع انعقاد الحِوار، بل تستدعي تبنّي بعض **الاستعدادات الأدبيّة**، مِنها:

* **موقف باطنيٌّ من الاعتراف بالآخر** المُختلف، وبما يعيشه مِن حقيقة واقتناع والتزام، واحترام شخصه، والانفتاح عليه واستقباله والترحيب به، والإصغاء إليه وتقدير ما يقوله هو عن نفسه ولا ما يقوله الآخرون عليه ويتصوّرونه، قبول التبايُن، وتطلُّب التبادل الحقيقيّ بين الأطراف المُتحاورة بقبول تبايُن وِجهات النظر، وعدم الرغبة في احتواء الآخر وإقناعه وضمِّه... وذلك لا يلغي شيئًا من الهُويّة الخاصّة والاقتناع الشخصيّ. ومِمّا ينبغي قبوله احتمال رفض المُحاور الحِوار أو شُروط الحِوار إذا اعترض على



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مضمونه، كما حدث لبولس مع الوثنيّين؛ وفي هذه الحالة، لا ينبغي اليأس، بل المُحاولة تلو الأُخرى حتّى التأكُّد من إصرار رفض الآخر التحاور.

* إعادة النظر في الذات و**النقد الذاتيّ**، بصِدق مع الذات، تحاشيًا لامتلاك الحقيقة، إذ إنّ الله هو الحقيقة التي تمتلك وهي لا تُمتلَك، كما قال القِدّيس أوغسطينس؛ وهي تدعو إلى السير نحوها مع الآخرين - عن طريق الحِوار - لأنّها تتجاوز الإنسان المحدود، وتجمع المُتحاورين في البحث عنها. هذا وقد أكّد البابا بِندِكْتُس السادس عشر هذا الاقتناع:

«إنّ الحقيقة تجمع الأرواح بعضها ببعض
وتجعلها تُفكِّر بانسجام
إذ تجذبها نحوها وتُوحِّدها بها» (المحبّة في الحقيقة، ٥٤).

فضلًا عن أنّ كُلّ شيء قابل للتحسُّن في حياة المُتحاورين؛ لذلك يتطلّب الحِوار الحقيقيُّ توبة واهتداء. وعليه، فإنّ جوّ التعدُّديّة الدينيّة المُعاصرة فُرصة لخوض مسيرة إيمانيّة شخصيّة، إذ تغتني الهُويّةُ بالغيريّة.

* **واجب الكلام والإفصاح عن الذات** بكُلِّ وُضوح ونزاهة وتواضع، والتعبير عن الإيمان الشخصيِّ مع احترام إيمان الآخر المُختلف، ومُراعاة عدم إقناع الآخر السالف الذِّكر. فلا يُمكن أن يتخلّى المؤمن عن **شهادته لقِيَمة الإيمانيّة**، ولا عن **تعبير عن الرجاء الذي يسكن فيه**. وتُمثِّل تلك النُّقطة مُشكلة حقيقيّة، إذ يتساءل بعض الناس: ألا يتعارض الإيمان اليقينيُّ مع الحِوار؟ الحقُّ يُقال إن كان المُتحاوران صادقيْن (لا مُنافقيْن)، ومُتواضعيْن (لا مُتكبِّريْن)،



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ومُنفتحيْن (لا مُتعصِّبين)، فلا تعارض بين الإيمان والحِوار، لأنّه يقع على عاتقهما أن يشهدا للحقيقة التي ينتميان إليها، والتي تولِّد فيهما روح الإصغاء (لا الانغلاق المُتشدِّد) والاحترام (لا الإدانة)، ذلك لأنّ الله نفسه هو الحقيقة، فلا يُمكنه إلّا أن يجمع أبناءه، لا أن يُفرِّقهم، خُصوصًا إذا اختاروا الحِوار سبيلًا حقيقيًّا للتقارُب والتفاهم.

* **الرغبة في التعمُّق في الإيمان الشخصيّ عن طريق الحِوار.** فالكِتاب المُقدّس يسهب في الإقرار بأنّ «عِلمنا ناقص» (١ قور ١٣/ ٩)، وبأنّ المؤمن «لا يعلم بعد كما ينبغي أن يعلم» (١ قور ٨/ ٢)؛ وبالتالي، فعلى المؤمنين أن «ينموا في معرفة الله» (قول ١/ ١٠)، و«المسيح ربِّنا معرفة أعمق» (٢ بُط ١/ ٨، ٣/ ١٨). إذن، ليست القضيّة أنّ الحقيقة التي يؤمن بها ناقصة، بل أنّ إدراكه إيّاها هو الناقص، ولذا فالحِوار وسيلة، من بين وسائل كثيرة أُخرى، قد تُساعده على التعمُّق في إيمانه الشخصيّ، وفي اكتشاف عمل الله في الآخر وفي العالم وفي التاريخ...، وعلى تقدير مجّانيّة نِعمة الإيمان بدون أيِّ استحقاق بشريّ؛ كما وأنّ الحقيقة سِرٌّ لامُتناهٍ، كُلّما بحث فيه الإنسان وتعمّق فيه، اكتشف أغواره وخفاياه بلا توقُّف، كما يؤكِّده أوغسطينس.

* **الروح الواقعيّة** هي من مُقوِّمات الحِوار الحقيقي، ذلك بأنّ هُناك **صُعوبات تاريخيّة** تحول دون الحِوار: يأتي إلى ذاكرتنا التعصُّب الدينيُّ والحُروب الدينيّة في تاريخ البشريّة باسم الدين الحقِّ الوحيد، وكذلك الأحكام المُسبقة والقاسية تُجاه الآخر... ولذلك بالتمام أكّد المجمع أنّ الانتماء إلى دين مُعيَّن لا يُبرِّر بأيِّ حال من الأحوال العُنف وعدم التسامح والتمسُّك الدينيّ الأعمى،



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ما يؤدّي في نِهاية الأمر إلى التقليل من أهمِّيّة الحِوار وعدم الانتظار منه نفعًا يُذكَر سِوى تقوية أواصر العلاقات، لا أكثر.

## ٤- نُموذج كِتابيٌّ ونُموذج تاريخيٌّ للحِوار

* لقد شبّه الكاردينال جونْ نِيومَن، في السنة ١٨٤١، وضعَ الكنيسة بوضع يسوع الصبيِّ الذي كان «في الهيكل، جالسًا بين العُلماء، **يستمع إليهم ويسألهم**» (لو ٢/ ٤٦). إنّ الكنيسة تنظر دائمًا إلى العقائد مِن حولها، وتتفحّصها، مُعترفةً بما فيها مِن صواب، ومُصحِّحة ما فيها مِن خطأ، ما يسمح لها بأن تفتح نظرها على الآخرين، وتُوسِّع آفاقها، وتُطهِّر تعليمها مِن بعض الشوائب. إنّ الحِوار المرجوّ، في المنظور المسيحيّ، لا يعني إطلاقًا إعادة النظر في الهُويّة الدينيّة، بل إنّ دافعه هو أنّ المسيحيّ لا يستطيع، باسم البُشرى الخلاصيّة، ألّا يُبالي بالآخرين. والحِوار المرجوُّ يتطلّب من جميع المُتحاورين «الاستماع» إلى 'الآخر المُختلف' وإلى «سؤاله»، بروح مُنفتحة تعترف بما هو خير، ذلك بأنّ الله «لم يَفُتْه أن يؤدّي الشهادة لنفسه بما يعمل من خير» (رُسل ١٤/ ١٧)؛ كما أنّ الحِوار قد يُثير لدى الآخر ما يستدعي السؤال. وإنّ هذا الثُّنائيّ 'الاستماع' / 'السُّؤال' الصادق والمُتبادل بين الأطراف المُتحاورة، إنّما يُلهمه الله نفسه بابنه (الكلمة) وفي روحه (روح المحبّة).

* تظهر لنا قِصّة فرنسيس الأسّيزيُّ التاريخيّة قِصّة نُموذجيّة للحِوار، ذلك أنّه صمّم النِّيّة على مُقابلة السُّلطان الكامل في مصر، السنة ١٢١٩، في غُضون الحُروب الصليبيّة، وكان قصده إمّا أن يُقنع السُّلطان بالدين المسيحيّ، وإمّا أن يستشهد أمانةً لإيمانه. وفي نِهاية الأمر، لم يتحقّق لا هذا ولا ذاك، بل أثمرت مُقابلتهما بأنّ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كليهما قد بدّل مفهومه الخطأ عن الآخر: فلم يجد السُّلطان أمامه رجلًا صليبيًّا، بل رجل الله؛ ولم يجد فرنسيس أمامه المُضطهِد الذي كان يتوقّعه، بل حاكمًا مُتفهِّمًا. فحسْبُ الحِوار أن يُثمر مِثل هذا الثمر من التآخي والتفاهم وتصحيح المفاهيم الخاطئة[٦].

## ٥ - الحِوار واختلاف أنماطه

وعِندما يشتدُّ جوُّ التعصُّب أو عدم التسامح، ويتعذّر الحِوار الحقيقيُّ الراشد، ينبغي البحث عن طُرق حِوار مُناسبة، نذكر منها:

أ - '**الحِوار الحياتيّ**': إن كانت الأديان تفصل البشر في ما بينهم، إلّا أنّ الحِوار الحياتيّ يجمعهم، ليتشاركوا ويتعايشوا في أفراح حياتهم وأتراحها... وذلك، بحدِّ ذاته، يكفي ليُبرِّر اللقاء الحِواريّ، بل ويُعضِّد الوحدة والأُخوّة على أساس البشريّة المُشتركة، لا الدين، ما يُغني الجميع، وما يُفضي بهم، على مدى بعيد، إلى تقاربهم بمنأى عن الحذر أو التعصُّب أو الظُّلم. فحيث إزالة الحواجز وهدم الأسوار والسعي نحو التفاهم، هُناك الله. وحيث التضامن مع الفُقراء والمُعوزّين والمُهمَّشين والمنبوذين والمظلومين، هُناك يسوع المسيح. وحيث العلاقات البشريّة المجّانيّة، هُناك روح الله.

ب - '**الحِوار الروحيّ**': يكفي أن يُركِّز الحِوار على **التقارب في الإيمان**، دون التطرُّق إلى الفُروق التي تفصل، والله يجمع أبناءه عِندما يُصلّون معًا ويُشاركون بعضهم بعضًا في حياتهم الإيمانيّة والروحيّة. ومِمّا هو جدير بالذِّكر، تصرُّف يسوع مع غير اليهود،

(٦) أُنظر إلى المُلحق ٣ المُختصرِّ بلِقاء الشخصيّتين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عِندما مدح إيمانهم: فقد قال في قائد المائة الوثنيّ:

«لم أجد مِثل هذا الإيمان حتّى في إسرائيل» (لو ٧/ ٩).

وقال للمرأة الكنعانيّة الوثنيّة:

«ما أعظم إيمانكِ أيّتها المرأة» (متّى ١٥/ ٢٨).

فإن كان يسوع نفسه قد قدّر إيمان غير اليهود، ولم يدْعُهم إلى أن يعتنقوا اليهوديّة، فكم بالأحرى على تلاميذه أن يتمثّلوا به، فيبحثون عن إيمان غير المسيحيّين ويمتدحونه. ففي عالم يسوده الشكُّ والتردُّد واليأس، إنّ تعضيد الآخر في إيمانه الشخصيِّ هُو بمثابة اعتراف بعمل الله في البشر أجمع، أيًّا كان مُعتقدهم. والله يُخاطب البشر ويدعوهم بعضهم عن طريق بعض، أيًّا كان مُعتقدهم الدينيّ. ويجب ذِكر خُصوبة الحِوار مع المُتصوِّفين إذ إنّهم يبحثون عن عُمق العلاقة بالله بكُلِّ صِدق وإخلاص، ويتذوّقون حلاوته: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ»، كما يُرنِّم المُرنِّم؛ هُنا يتمُّ لقاء حقيقيّ. وذلك كان تحديدًا هدف البابا يوحنّا بولس الثاني عِندما دعا مُمثّلين من جميع أديان العالم، في مدينة أسِّيزيِّ النُموذجيّة، للِقاء روحيّ يجمعهم في كنف الله ورِعايته.

ج - **'الحِوار الفِكريّ'**: إنّ التفكير المُشترك في **القضايا الإنسانيّة العُظمى المُشتركة**، مِنها حُقوق الإنسان وحُقوق الأقلِّيّات والحُرِّيّة (لا سِيّما حُرِّيّة العقيدة وحُرِّيّة الضمير) والتنمية والعدالة والسلام والأخلاقيّات بوجه عامّ...، دون طرح القضايا العقائديّة التي عادةً ما تُفرِّق، يُمثِّل أرضيّة سويّة تجمع ولا تُفرِّق، تُفيد ولا تظلُّ عقيمة.

د - **'حِوار الأعمال'** أو **'الحِوار الخِدَميّ'**: يقع على عاتق



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

جميع الأديان أن تتضافر جُهودها البشريّة والروحيّة **لمُواجهة مشاكل العصر العويصة**: الحُروب والمجاعات والكوارث الطبيعيّة والفقر والجهل والأُمّيّة ومُستقبل بيئة الكُرة الأرضيّة. . . ، وذلك في صالح البشريّة، وفي سبيل عالَم أكثر عدالة ومُساواة وتكافؤًا، وفي نِهاية المطاف أكثر إنسانيّة. ولقد تعدّدت النُّصوص التي نادت بهذا الحِوار، نذكر على سبيل المِثال:

«حيث يكون تعاون من أجل نُموِّ الإنسان الكامل وتحريره التامّ» (حِوار وإعلان، ٤٢).

«علينا أن نشهد لبحثنا المُتواضع عن مشيئته تعالى. فهُو الذي يجب أن يُلهم التزامنا من أجل عالم أكثر عدالة وأشدّ اتِّحادًا» (البابا يوحنّا بولس الثاني، لِقاء الشباب بدار البيضاء).

**هـ - 'الحِوار الدينيّ'**: إنّ هدفه تذليل عقبات عدم **فهم الآخر على حقيقته**. فمن المُفيد أن يعرض كُلُّ طرف بوُضوح ما يؤمن به: فيستمع الطرف الأوّل باحترام إلى ما يقوله الطرف الآخر عن نفسه، ما مِن شأنه أن يُصحِّح الآراء المُسبقة والمفاهيم الخاطئة، وهي عادّةً كثيرةٌ ومُتأصِّلة وغير واعية. أضف إلى ذلك أنّ ما قد يُبرِّر مِثل هذا الحِوار كلام بُطرس:

«كونوا دائمًا مُستعدّين لأن تردّوا على مَن يطلب مِنكم **ما أنتم عليه من الرجاء** ولكن ليكن ذلك بوداعة ووقار، وليكن ضميركم صالحًا» (١ بُط ٣/ ١٥-١٦).

والحقُّ يُقال إنّ هذا النوع من الحِوار صعب التحقيق، لأنّه يتطلّب درجة عالية من النُّضوج والرُّشد التي تفتقر إليها مُجتمعات كثيرة، لا سِيّما تِلك التي تحتضن أغلبيّة وأقلّيّة أو أقلّيّات.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ فهم الحِوار على هذا الجانب من **الصِّدق والشفافيّة، والاحترام والانفتاح التعدُّديِّ المُتبادل**، لَمِن ضروريّات عالمنا المُعاصر التعدُّديِّ المُعَوْلَم، في سبيل تشييد عالَم أكثر إنسانيّة وأُخوّة وتفاهمًا. وإنّ الكلمة الأخيرة التي نستخلصها من جولتنا في عالم الحِوار بين الأديان، أنّه **نمط في التعامل** بين المؤمنين من دِيانات مُختلفة، بل هو **نمط حياتيٌّ** يُعبِّر عن عُمق الشخص وجماعته(٧).

## الخُلاصة

يُمكننا **تلخيص** مُكتسبات المجمع الفاتيكانيِّ الثاني في موقف البابا بولس السادس، أثناء انعقاده، عِندما اعتبر، في إرشاد رسوليّ، أنّ الأديان غير المسيحيّة

«تحمل في طيّاتها صدى أُلوف السنين من التماس وجه الله [. . .]

والتي زُرع فيها عددٌ لا يُحصى له مِن بُذور الكلمة»،

وفي الوقت عينه وضّح واجب الإعلان:

«ليس احترام هذه الأديان وتقديرها، ولا تشعُّب المسائل المطروحة

مِمّا يدعو الكنيسة إلى السُّكوت، أمام غير المسيحيّين، عن إعلان يسوع المسيح» (إعلان البُشرى، ٥٣).

نجد البابا يُردِّد تعليم المجمع مِن الانفتاح على غير المسيحيّين ودينهم/ ومِن ضرورة إعلان يسوع المسيح - «الوسيط المُطلق»،

(٧) على سبيل المُقارنة، يُمكن قِراءة المُلحق ٤ أوّلًا الذي يعرض وِجهة نظر إسلاميّة عن حِوار الأديان.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بحسب تعبير اللاهوتيّ الألمانيّ كارْل راهْنِر اليسوعيّ الذي اشترك في المجمع الفاتيكانيّ الثاني بصِفته خبيرًا، وقد أثّر فيه تأثيرًا بالغًا -، وذلك بدون تضحية أحد القُطبين لصالح القُطب الآخر.

وتعود هذه **النظرة الإيجابيّة** إلى إيمان الكنيسة بأنّ
«الإنسان هو طريق الكنيسة» (يوحنّا بولس الثاني، فادي البشر، ١٣).

بعد أن أظهرنا أهمّ ملامح مُعتقد المجمع الفاتيكانيّ الثاني حول قضيّتي خلاص غير المسيحيّين والوضع اللاهوتيّ الذي تتميّز به الأديان غير المسيحيّة، نبحث عن **امتداد الموقف المجمعيّ في الخِطاب اللاهوتيّ المُعاصر**.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الرابع

# ما بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني

## المُقدِّمة

امتدادًا للمجمع الفاتيكانيّ الثاني، سنُميِّز ثلاثة رُدود أفعال:

**أوّلًا - ردُّ فِعل من عامّة المؤمنين**، في ما يتعلّق بخلاص غير المسيحيّين، وبحِوار الأديان، إذ إنّ القضيّتين أثارتا ولا تزالان تُثيران رُدود أفعال مُتباينة.

**ثانيًا - ردُّ فِعل لاهوتيٌّ** يُكمِّل ما بدأه المجمع من طرح قضايا لاهوتيّة مُعاصرة لها أهمّيّة كُبرى.

**ثالثًا - ردُّ فِعل عمليٌّ** يرسم الخُطوط العريضة التي على الكنيسة أن تعيشها عمليًّا مع سائر الأديان والمُعتقدات والتقاليد.

لنشرح ذلك بالتسلسل في هذا الفصل الذي يحكم **مسيرتنا في الفُصول القادمة**:

## أوّلًا - رُدود فِعل المسيحيّين في خلاص غير المسيحيّين

نورد **ثلاثة مواقف مُختلفة في الكنيسة المُعاصرة إزاء قضيّة خلاص غير المسيحيّين**:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١- فهُناك **فِئة تدين** مَن هم في خارج الكنيسة ولا يعتمدون ولا يؤمنون بيسوع المسيح، فتجعلهم يستوجبون النار.

إنّ هذا الموقف لمُخطئ كُلّ الخطأ، وهو مُنافٍ تمامًا **لقصد الله الخلاصيّ** الشاملِ البشرَ أجمعهم، **ولمُعاملة يسوع مع الخطأة** وبحثه عنهم، **ولدور الشرائع غير المسيحيّة** في مُقاربتها للإله الحقيقيّ - وإن كانت مُقاربتها غير كاملة -، ولقيمة **ضمائر غير المسيحيّين وأعمال محبّتهم**. ثمّ إنّ **روح الإدانة** هذه لَمُنافية تمامًا للمحبّة الأخويّة. فمِن الأسلم ترك الدينونة لرحمة الله المُحِبّة والمُخلِّصة، خاصّة وقول يسوع صريح:

«لا تدينوا لئلا تُدانوا، فكما تدينون تُدانون» (متّى ٧/ ١-٥).

وإنّ هؤلاء الذين يدينون، سيُفاجأون يوم الدينونة عندما يرون ابن الإنسان يدين البشر، لا بحسب انتمائهم الدينيّ، بل بحسب أعمال المحبّة أساسًا، خاصّة وقد كتب أوغسطينس لهؤلاء قوله المشهور:

«كثيرون هُم مِن الملكوت وليسوا مِن الكنيسة.
وكثيرون هُم مِن الكنيسة وليسوا مِن الملكوت».

وهو، في ذلك، أمين لكلام يسوع نفسه الذي أعلن أنّ البشر سيدخلون في الملكوت مِن المشارق والمغارب، ومِن الشمال والجنوب، في حين أنّ الذين يُخرجونهم مِنه لا يستحقّون هُم أن يدخلوه.

٢- وثمّة **فِئة تتساهل** في الإيمان والمعموديّة والانتماء إلى الكنيسة، فلا تجد لها ضرورة بما أنّ الجميع سيخلصون[١].

(١) في ندوة حول لاهوت الأديان نظّمتْها كُلِّيّة العُلوم الدينيّة بالسكاكيني - =



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ هذا الموقف أيضًا لَمُخطئ كُلّ الخطأ، لأنّه نابع من روح نفعيّة لا تؤمن إلّا بما هو نفعيّ ومُفيد، وملموس ومحسوس؛ مِن **روح مسيحيّة فاترة** فقدت معنى الرِّسالة ولا سِيّما ضرورة إعلان البُشرى والشهادة ليسوع المسيح أمام الجميع. إنّ الإيمان بيسوع المسيح والاعتماد امتيازٌ وحقّ، وإنّ الاعتماد في الروح امتياز لسُكناه في القلب، وإنّ الاعتماد باسم الآب امتياز للبنوّة الإلهيّة. وإنّ هذا الامتياز هو في الوقت نفسه مسؤوليّة رهيبة لتوصيل **الخلاص إلى غير المُعمَّدين**. ولقد عبّر يسوع مِرارًا عن ذلك الامتياز عِندما صرّح أنّ الحياة المسيحيّة «كنز» (متّى ١٣/ ٤٤) و«لؤلؤة» (متّى ١٣/ ٤٥-٤٦). فليست المسيحيّة واجبًا وتوصيات يجب تحقيقها لنيل تأشيرة الدُّخول في الحياة الأبديّة، بل هي نِعمة استباق الملكوت على وجه الأرض، ورِسالة حيّة دافعة نحو الآخرين.

٣- يتميّز **الموقف الذي نعتبره السليم** بأنّه يتحاشى الموقفين المُتطرِّفين السابقين، آخذًا بمحمل الجدِّ قصد الله في خلاص جميع البشر، وفي الآن نفسه ضرورةَ الإيمان بيسوع المسيح والمعموديّة والانتماء إلى الكنيسة (وذلك امتياز ورسالة)، تاركًا لرحمة الله مصير غير المؤمنين، وفي الوقت نفسه ساعيًا إلى إعلان البُشرى لجميع البشر وإلى الشهادة ليسوع المسيح أمام الجميع، مُعتبرًا الكنيسة عُربونًا للخلاص وباكورة للمُخلَّصين؛ وفي الوقت عينه مُتقبِّلة من الله الاشتراك معه في خلاص جميع البشر، مُعتبرةً أنّ مِلء قامة المسيح يتحقّق في الكنيسة من أجل الخليقة جمعاء، وأنّ الأزمنة الأخيرة تتمُّ في داخل الكنيسة من أجل البشريّة أجمعها، وأنّ الآب آب للبشر

=القاهرة، في مارس / آذار ٢٠١٠، وجّه الحاضرون العديد من الأسئلة والتساؤلات حول هذا الاعتراض.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أجمعين؛ وإنّما الكنيسة «آية» تحقيق ذلك كُلِّه، كما سنراه في كلامنا عليها.

هذا هو - كما يخال لنا - الموقف السليم تُجاه قضيّة بل وسِرِّ خلاص البشر، مِن مؤمنين بيسوع المسيح وغير مؤمنين به، مِن مُعمَّدين باسم الآب والابن والروح وغير مُعمَّدين باسمهم، مِن مُنتمين إلى الكنيسة وغير مُنتمين إليها[٢].

## ثانيًا - رُدود فِعل المسيحيّين في حِوار الأديان

نورد، هنا أيضًا، **رُدود فِعل مُتباينة** على حِوار الأديان، تصدر عن مسيحيّين:

١- **هناك مَن يرفضون الحِوار**، خوفًا من أن تتلاشى الفَرادة المسيحيّة في الحِوار، وأن تفتر رِسالة الكِرازة؛ وفي الغرب، لقد اشتهر الأُسقف لُوفِفْر الذي رفض المجمع مُجملًا. كما أنّ البِلاد حيث المسيحيّة تُمثِّل أقلِّيّة دينيّة أو ثقافيّة أو عدديّة، اتّخذت موقفًا حذرًا غير مُشجِّع للحِوار بسبب عدم اعتراف الأغلبيّة اعترافًا صادقًا بـ'الآخر المُختلف'، وعدم احترام حُقوقه احترامًا كاملًا.

٢- **هناك مَن يعترفون بتعدُّديّة مُعتقدات الأديان**، ويعتبرون أنّ النُّصوص المجمعيّة لا تزال غير مُنفتحة على الأديان بالقدر

(٢) للمزيد من التعمُّق في نظرة المجمع إلى قضيّة الأديان غير المسيحيّة، راجع في مجلّة **المشرق** مقال الأب لويس بواسِّيه اليسوعيّ، «الأديان في نظر المجمع الفاتيكانيّ الثاني - نُصوص وقِراءات جديدة»، ص٣١٧-٣٢٨ (أُنظر إلى البيبْليوغرافيا).
راجع أيضًا، في شأن خلاص غير المسيحيّين، المُلحق ١ (آراء أُرثوذكسيّة غير خلقيدونيّة) والمُلحق ٢ (آراء كُتّاب أُرثوذكس وكاثوليك).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المرجوّ، ما يُفضي بهم إلى اعتبار الأديان مُتساوية، نِسبيّة، لا تتّسم بصِفة المُطلقيّة.

٣- لذا، فإزاء هذين الموقفين المُتشدِّدين، ارتأت **وثيقة الربّ يسوع** أن تُعيد الأُمور إلى نِصابها، فشدّدت على

«الفرادة والشُّموليّة المُتعلِّقتين بيسوع المسيح والكنيسة»،

حتّى لا تُبتَر الحقيقة ولا تُشوَّه في الحِوار، وقد أقرّت في نِهاية الأمر بضرورة ازدواج **الحِوار / الفرادة المسيحيّة معًا**، دون التضحية بأحد العُنصرين اللذين أكّدهما المجمع، وذلك بالرغم من صُعوبة بُلوغ ذلك التواصل المُزدوج[٣].

٤- هُناك مَن هم **اقتفوا طريق الحِوار**، لا سِيّما الدينيّ منه، وذلك باعتدال في المواقف والآراء، وأحيانًا بحماسة في المُبادرات[٤].

---

(٣) وأمّا **المؤمنون غير المسيحيّين**، فتباينت مواقفهم، هُم أيضًا، إزاء **مبدإ الحِوار** كما تفهمه الكنيسة، بين مُرحِّبين وناقدين:

* فبعضهم امتدحوا موقف الكنيسة، وقد اعتبروه جريئًا، مُشجِّعًا علاقات جديدة بينها وبينهم. تلك حال اليهود بوجه خاصّ.
* وبعضهم استشعروا أنّ الحِوار نوع من 'التبشير الجديد'، وهو تبشير ثقافيّ؛ نذكر على سبيل المِثال ردّ فِعل المُفكِّر مُحمّد الطالبيّ، وقد انتقد بوجه خاصٍّ وثيقة حِوار وإعلان الفاتيكانيّة على مُخادعتها المُتستِّرة.

(٤) نذكر على سبيل المِثال لا الحصر:

* اليسوعيّون: أكثر من عِشرين مؤلَّفًا في الموضوع صادر عن دار المشرق وحدها، وجميعها نابعة من لِقاءات حِواريّة؛ معهد الدِّراسات الإسلاميّة المسيحيّة في جامعة القِدّيس يوسف اليسوعيّة، لُبنان.
* البولسيّون: سِلسلة في عُلوم الأديان الصادرة عن المكتبة البولسيّة، جونية، لُبنان؛ مركز الأبحاث في الحِوار المسيحيّ الإسلاميّ، حريصا، لُبنان. =



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**إنّ** هذه **المواقف المُتباينة** فُرصة لتوضيح قضيّتين مُلحّتين: الأُولى **ضرورة الحِوار** في عالمنا المُعاصر، وما يُمكننا الانتظار منه؛ والثانية أهمّيّة التوفيق والتناغم بين **فرادة المسيحيّة وشُموليّتها / الانفتاح على سائر الأديان**، مع احترام كِلا العُنصرين احترامًا كاملًا.

## ثالثًا - مُقاربات لاهوتيّة

تطوَّرت تعاليم المجمع في اتّجاهات مُختلفة وخِطابات لاهوتيّة مُتعدِّدة. ونُريد أن نتناول تحليل رُباعيّة جوهريّة: ما يتعلّق بشخص **يسوع المسيح**، وبأُقنوم **الروح القُدس**، وبكيان **الكنيسة**، وبخلاص **غير المسيحيّين**. وسنُظهر ترابطها العُضويّ المُتكامل، ذلك بأنّ الكلام على أحدها على حِدة لا يُعبِّر عن غِنى الخِطاب اللاهوتيّ في ما نحن بصدده. ونعتبر تلك الرُّباعيّة عصب عِلم لاهوت الأديان كُلِّه وتحاليلنا اللاهوتيّة جميعها، كما سيتبيّن لنا ذلك في أثناء عرضنا القضايا المطروحة، تحرِّيًا منّا عن الإيمان القويم (Orthodoxia).

إنّ نُقطة انطلاق ذلك الخِطاب اللاهوتيّ الرُّباعيّ الجوانب **تتأصّل في مشيئة الآب الذي يُريد خلاص جميع أبنائه البشر**:

---

= * فضلًا عن الإخاء الدينيّ في مصر؛ مجموعة البحث الإسلاميّة المسيحيّة في تونس...

* وفي الغرب: مجموعة سان إيجيديو في روما؛ اللقاءات الدُّوليّة بَشَر ودِيانات في فلورنْسا...

* كما أنّ العديد من المُناسبات الدينيّة قد كلّلت الجُهود الحِواريّة، نذكر منها لِقاء الأديان العالميّ في أسّيزي (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦)، بدافع من البابا يوحنّا بولس الثاني، انفتاحًا منه على مؤمني مُختلف الأديان.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«يشاء أن يخلص جميعُ البشر ويبلغوا إلى معرفة الحقّ
لأنّ الله واحد
ولأنّ الوسيط بين الله والناس واحد، هو المسيح يسوع الإنسان
الذي ضحّى بنفسه فِداءً لجميع الناس» (١ طيم ٢/ ٤-٦).

إنّ تلك الآية تُلخِّص العديد من الآيات التي تُفيد بالمعنى عينه، وهو قصد اللهِ خلاصَ جميع البشر عن طريق يسوع المسيح الوسيط الوحيد. فذلك بمثابة لازمة ديناميّة تُحرِّك فِكرنا اللاهوتيّ:

١- **يسوع المسيح**، الوسيط الوحيد، الذي يُحقِّق قصد الآب هذا. وله مُبادرة خاصّة به، وقد قال لتلاميذه:

«ما اخترتموني أنتم
بل **أنا اخترتُكم** وأقمتُكم...» (يو ١٥/ ١٦)

وقد أوصى الملاكُ النِّساء:

«اِذهبنَ وقُلنا لتلاميذه ولبُطرس
هو **يسبقُكم** في الجليل وهُناك ترونه» (مر ١٦/ ٧).

فله المُبادرة دائمًا في كُلِّ شيء.

٢- **الروح القُدس** الذي يهبُّ حيثما يشاء بين أبناء الآب. وهو يُفاجئ المؤمنين، مثلًا بحُلوله على الوثنيّين قبل أن ينالوا المعموديّة، ما عُرف بـ'عنصرة الأُمم' (رُسل ١٠/ ٤٤ ت).

٣- **الكنيسة** التي تهتمُّ برِسالة ملكوت الآب حتّى نِهاية التاريخ البشريّ، لأنّها «نور الأُمم»، مُستقيةً نورها من نور يسوع المسيح نفسه مِثل القمر الذي يستقي نوره من الشمس؛ ولأنّها جامعة جميع البشر أبناء الآب. وعليه، فإنّها «آية» للخلاص الشامل.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٤- **الأديان غير المسيحيّة** التي تدخل في قصد الآب الخلاصيّ الشامل الذي يتحقّق إذ

«لا يقتصر على المؤمنين بالمسيح فقط
**بل يشمل جميع ذوي الإرادة الصالحة**
التي تعمل النِّعمةُ في خفاء قُلوبهم»،

عِلمًا أنّ

«الروح القُدس يُقدِّم للجميع
بطريقة يعلمها الله
وسيلة الاشتراك في سِرِّ الفِصح» (فرح ورجاء، ٢٢).

ولا غرابة في ذلك، فعِندما صعد المسيح إلى يمين الآب، أراد الرُّسل أن يعرفوا زمن إعادة المُلك إلى إسرائيل، فأجابهم يسوع بكُلِّ وُضوح:

«ما لكم أن تعرفوا الأوقات والأزمنة التي حدّدها الآب بسُلطانه» (رُسل ١/٦-٧).

فالله وحده سيِّد التاريخ البشريِّ وهو الذي يُسيِّر الأحداث لمِلء تحقيقها بالطُّرق التي يُريدها هو. فالله يُحقِّق مشيئته الخلاصيّة الشاملة، وهو الوحيد الذي يعلم كيف.

وإنّ مسيرتنا هذه فِكريّة، نظريّة، لاهوتيّة. ونُطلق عليها تسمية **'مُقاربات'** لأنّ الخِطاب اللاهوتيّ في هذا المِضمار لا يزال في خطواته الأُولى، فهو لا يزال يبحث عن مفاهيمه وآليّاته ومضامينه وأساليبه ومنهجيّته، حيث إنّنا في بِداية الطريق، خُصوصًا في شرقنا العربيِّ المسيحيّ. إن كانت الكنيسة في آسيا قد خاضت أشواطًا في الفِكر اللاهوتيِّ المُتحاور مع أديان الشرق الأقصى، إلّا أنّ **كنائسنا**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**العربيّة** لم تخطُ بعد إلّا خطواتها الأُولى في هذا المِضار، ما يُمثِّل خُسارة فادحة لها وللكنيسة الجامعة وللأُمّة الإسلاميّة، بالرغم من تعايُش تاريخيٍّ تجاوز خمسة عشر قرنًا[٥]. إنّ ذلك يُلزمنا بالتواضع في كُلِّ ما نعرضه من أفكار وتحاليل وإجابات.

في مسيرتنا اللاهوتيّة هذه، سنُركِّز على مرجعيّة **البابا يوحنّا بولس الثاني** الذي نفّذ وطبّق تعاليم المجمع، عبر تعليمه وتعامله. وقد صدرت عنه مُبادرات وتعاليم أمينة للمجمع، ومُبدعة في الآن ذاته، بل وسبّاقة على عصره. ونُقدِّم هُنا باختصار ذلك الوجه المُشرق العظيم:

كان البابا رحّالًا سائحًا لا يهدأ ولا يكلّ، وقد ذهب **للِقاء البشر** من جميع الأديان في جميع قارات العالم، مِثلما بحث يسوع نفسه عن الجميع، بلا أيِّ استثناء. كما أنّه استقبلهم دائمًا بصدر رحب، بلا انقطاع، استقبالَ يسوع نفسه كُلَّ إنسان التقاه، مؤمنًا كان، أم غريبًا، أم خاطئًا. كما أنّه كان المُبادر في تجميع البشر، لا سِيّما عِندما التقى شباب المغرب في دار البيضاء، بِناء على دعوة الملك حسن الخامس؛ وكذلك عِندما بادر فدعا أصحاب مُختلف الأديان في لِقاء أسّيزيِّ العالميّ.

---

(٥) للمزيد من التعمُّق في ما بعد المجمع، راجع مقال الأب عزيز الحلّاق اليسوعيّ، «التعدُّديّة الدينيّة وعِلم لاهوت الأديان»، ص٣٣٩-٣٦٢، في ملفّ مجلّة **المشرق** (أُنظر إلى البيبْليوغرافيا).
راجع أيضًا ما كتبناه في:
* سِرّا المعموديّة والتثبيت، سِلسلة «الأسرار والحياة»، مطبوعات الآباء اليسوعيّين في مصر، ١٩٩٣.
* مَن أنتِ أيّتها الكنيسة؟، سِلسلة «دِراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٥.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وكان **رجل صلاة** أيضًا، قد استغواه **سِرُّ الله الحاضر والعامل** في كُلِّ إنسان؛ وكان شاهدًا أمينًا على عمل الروح عملًا يشمل جميع البشر. وقد ناشد المسيحيّين الفاترين بقوله:

«ألا يحدث أحيانًا أنّ ثبات مُعتقَد أعضاء دِيانات غير مسيحيّة - وهو أيضًا تأثير من روح الحقِّ العامل ما وراء حُدود الجسد السِّريِّ المرئيّة - قد يُخجل المسيحيّين، إذ يميلون إلى الشكِّ في الحقائق التي يوحيها الله وتُعلنها الكنيسة...؟» (فادي البشر، ٦).

وبكلامه هذا، أوضح ما تضمّنته نُصوص المجمع، من اقتناع بأنّ **الروح يعمل**، لا في حياة غير المسيحيِّين فحسب، بل في دينهم أيضًا، وإن أكّد دائمًا وبوُضوح تامّ، لا يقبل أيّ التباس أو شكٍّ أو تساهل، **فرادةَ وساطة يسوع المسيح المُطلقة وشُموليّته**، كما سنراه مِرارًا وتِكرارًا في تحاليلنا، منعًا لأيِّ التباس في التعبير، أو أيِّ سوء تفسير في فهم فِكره اللاهوتيّ، وذلك **بواسطة الكنيسة**، جسدِه السِّرِّيّ.

هذا وقد تطوّر فِكر هذا **العالِم اللاهوتيّ**، الذي حمل، في قلبه وإيمانه ورِعايته الشاملة جميعَ البشر، قضيّةَ الخلاص الشامل، وذلك مُنذ رِسالته الأُولى المذكورة، حيث التركيز على عمل الروح في **الأشخاص** بوجه خاصّ، حتّى التساؤل، في ما بعد، بشأن **الأديان** ذاتها بوجه عامّ، ولا سِيّما بشأن **وضعها اللاهوتيّ** إزاء تاريخ الخلاص: هل بوُسع الأديان غير المسيحيّة أن تؤدّي، بقُوّة الروح القُدس، إلى قبول خلاص يسوع المسيح؟ وعليه، فكان قد وضع ثقته الكاملة في عمل الروح في حياة الأشخاص الدينيّة، كما وفي الأديان التي ينتمون إليها، ذلك العملِ المُرتبط بالخلاص الذي



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حقّقه يسوع المسيح للبشر أجمعين، والفاعلِ في خارج حُدود الكنيسة المرئيّة، وإن كان ذلك العمل بواسطة الكنيسة لأنّها «آية الخلاص»، بحسب عِبارة المجمع، كما سيأتي ذِكره لاحقًا.

## رابعًا - تفاعل الكنيسة مع مُختلف الأديان والمُعتقدات والتقاليد

إلى جانب الحِوار الذي أعطاه المجمع دفعةً قويّة إلى الأمام، وإلى جانب الخِطابات اللاهوتيّة التي نمت وترعرعت في كنف تعاليم المجمع، هُناك **تفاعل الكنيسة مع مُختلف الأديان والمُعتقدات والفلسفات والإيديولوجيّات والتقاليد**. فسنتساءل كيف يجب أن تتعامل معها الكنيسة، بحثًا منّا عن 'العمل القويم' (Orthopraxis)، علّنا نستدلُّ من ذلك ما يُفيدنا في مُعاملات عصرنا الذي يولي أهمّيّة بالغة للعلاقات الوطيدة والحِوار على اختلاف أنماطه، وللانفتاح على الآخر المُختلف، على تنوُّع انتماءاته، وعلى التعدُّديّة الدينيّة والثقافيّة. فلا تنحصر رِسالة الكنيسة في حياتها الداخليّة، ولا في خِطاباتها اللاهوتيّة، بل تتجاوزها في علاقاتها بالخارج، وقد أرسلها المسيح إلى الخلق أجمعين، وأرسل إليها الروح القُدس في سبيل تحقيق ذلك.

## الخُلاصة

عن طريق رُدود الفِعل الأربعة السابقة، يخال لنا أنّنا وصفنا بأمانة **حالة الكنيسة ما بعد المجمع** في مُنعطف مُهمٍّ من تاريخها، لا سِيّما في علاقتها بالأديان غير المسيحيّة. بوُسعنا الآن أن نتعمّق في كُلِّ جانب من الجوانب التي ذكرناها هنا باختصار.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الخامس

# المُقاربة اللاهوتيّة الكريستولوجيّة

## المُقدِّمة

إنّ **الخِطاب اللاهوتيّ المُختصّ بالمسيح** (Christologia) هو أساس كُلِّ خِطاب لاهوتيٍّ مسيحيّ. ولذا، فسنطرح أوّلًا **إشكاليّة** ذلك الخِطاب؛ ما سيؤول بنا إلى الاعتراف **بشُموليّة حياة يسوع** العلنيّة والفِصحيّة؛ وبالرغم من ذلك، سيؤدّي بِنا هذا إلى طرح سؤال مدى إمكانيّة **وُجود وساطات أُخرى** خارج شخصه ورِسالته.

## أوّلًا - إشكاليّة الاعتراف الإيمانيّ بفرادة/ شُموليّة يسوع المسيح

يطرح الحِوار بين الأديان على المؤمن بوجه عامٍّ سؤالًا جوهريًّا: **كيف الاستفادة مِن خِبرة الآخر بدون المساس بالإيمان الشخصيّ**؟ وعلى المسيحيّ بوجه خاصّ: كيف التوفيق بين الحِوار من جِهة، ومن جِهة أُخرى الإيمان الراسخ بأنّ يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر، ومُخلِّص جميع البشر (١ طيم ٢/ ٤-٧، طيط ٢/ ١١)، والطريق والحقُّ والحياة لهم جميعًا (يو ١٤/ ٦)؟ أو، بعِبارة أُخرى، كيف التوفيق بين الإيمان بفرادة/ شُموليّة شخص يسوع المسيح من جِهة، والنظرة الإيجابيّة إلى سائر الأديان؟



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لقد أجاب الخِطاب اللاهوتيُّ المسيحيُّ بعد المجمع عن تِلك التساؤلات الإيمانيّة والفِكريّة **بطُرق ومُقاربات مُختلفة**، مُعتمدًا على **مُقاربات لاهوتيّة** مبنيّة على يسوع المسيح، وعلى الروح القُدس، وعلى الكنيسة، كما سنراه؛ آخذًا بالاعتبار **غيريّة الأديان** مُقابل **هُويّة جور المسيح**.

نعود إلى نصِّ المجمع الذي وجّه فِكرنا اللاهوتيّ، فنتساءل كيف **التوفيق بين** تطلُّبي المجمع المُتلازمين: **الانفتاح على الأديان**، لا سِيّما على ما هو «حقٌّ ومُقدَّس» فيها، / **فرادة المسيح وشُموليّته**، وهو المُخلِّص والوسيط الوحيد الشامل، والطريق والحقُّ والحياة؟

لقد أجاب آباء الكنيسة عن هذا التساؤل في ما يتعلّق **بالأديان قبل التجسُّد الإلهيّ**، عِندما اعترض مُناهضو المسيحيّة أنّها تُمثِّل دينًا حديثًا، فأكّد الآباء، مِثل يوسْتينُس المُدافِع في مُنتصف القرن الثاني، أنّ الله – الكلمة، وهو أزليّ، كان «مُبعثَرًا» في العالم قبل تجسُّده: إنّ البشر، قبل التجسُّد الإلهيّ، قد اشتركوا في معرفة سِرِّ الله، وإن كانت معرفتهم هذه جُزئيّة ناقصة. وبفضل نزاهة حياة بعضهم، كان بوُسعهم أن يعيشوا «مع الكلمة»، مِثل سُقراط وقد رفض أن يُكرِّم آلهة مدينته، فحُكم عليه ظُلمًا؛ وأمّا الذين كانوا يرفضون عطايا الله، فوضعُهم وضعُ الزؤان مع الزرع الطيِّب. وإنّ تجسُّد الكلمة لم يُقصِ مؤمني تِلك الأديان السابقة له بسبب أنّهم لم يعرفوه؛ ولذا، فإنّ الأديان التي قبل التجسُّد تُعتبَر «بُذور الكلمة» أو «آثاره»، وكذلك «شرارات اللوغُس»، بمعنى أنّ الله كان قد أعلن ذاته للبشر بطُرق مُختلفة، عن طريق روحه القُدّوس، مُمهِّدًا هكذا الطريق لتجسُّد ابنه، ما أدّى ببعضهم إلى أن يستشعروا شيئًا من سِرِّ الله، وأن يشتركوا في حياته، وإن جُزئيًّا (راجع دِفاعًا عن



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المسيحيّين، ١/٤٦/٢-٣). فاعتمادًا على هذه النظرة الكرِسْتولوجيّة الإيجابيّة إلى أصحاب مُختلف الأديان، أقرّ المجمع الفاتيكانيُّ الثاني ما هو «حقٌّ ومُقدَّس» في دِيانتهم، قبل التجسُّد وفي خارج الكنيسة، والله نفسه ألهمهم ذلك.

وتطرح تلك الرؤية سؤالًا لاهوتيًّا جديدًا وجيهًا: أيُمكن تطبيق ما قيل في الأديان قبل التجسُّد على **الأديان بعد التجسُّد التي لم تسمع عن المسيح ولم تعرف إنجيله**؟ نستطيع أن نؤكِّد ذلك، لأنّ وضع أصحابها مُماثل لوضع سابقيهم، ولذا فإنّهم يشتركون في «شرارات اللوغُس» و«بُذور الكلمة» وهي «مُبعَثَرة» بين الأُمم. وإنّ ذلك المبدأ قد دفع المُرسَلين في أثناء النهضة الأُوروبيّة وفي القرنين التاسع عشر والعِشرين إلى الكِرازة بالمسيح بكُلِّ سخاء وتضحية، لا سِيّما بين الأُمم الوثنيّة (أميركا وآسيا وأفريقيا).

غير أنّ ذلك يُثير سؤالًا جديدًا آخر في **عصر العَوْلمة، حيث المسيح لم يَعُد مجهولًا**، كما كان الأمر قبل التجسُّد، أو حتّى بعده في القارات أو البِلاد النائية التي لم تصلها البُشرى بالمسيح. فاليوم، إنّ أصحاب مُختلف الأديان يعرفون المسيح، سواء أكان سمعيًّا أم كِتابيًّا، ومن ثمّ، هل ينطبق عليهم أيضًا مبدأ «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس» «المُبعثَرة»؟ وهل لا تزال تستحقُّ تقديرَ الحقيقة والقداسة الكامنتين في الأديان السابقة للمسيح؟ الحقُّ يُقال إنّ وضعها يختلف، لأنّها تُصمِّم على أن تتميّز وتختلف عن المسيحيّة. ولاهوتيًّا، إنّ الكلام على «الكلمة» قبل تجسُّده (حيث «البُذور» و«الشرارات»)، يختلف عنه عِندما أصبح بشرًا، وعِندما قام وصعد: فلكُلِّ مرحلة منطقُها الخاصّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبِناء على ذلك، كيف يُمكننا اكتشاف ما هو «حقٌّ ومُقدَّس» في أديان اليوم، أي بعد التجسُّد والتمجيد، وكيف يُمكننا ربطُه بالمسيح المُخلِّص والوسيط الوحيد، والطريق والحقّ والحياة؟ هُناك طريقان: العودة إلى حياة يسوع الأرضيّة وخاصّةً العلنيّة منها؛ والعودة إلى المسيح المُمجَّد بعد موته وقِيامته. وإنّ كُلّ حقبة من الحقبتين تُظهر فرادة/ شُموليّة يسوع المسيح.

## ثانيًا - فرادة / شُموليّة حياة يسوع الأرضيّة

لم يُعلن يسوع للإنسان مَن هو الله فحسب، بل **أعلن للإنسان مَن هو الإنسان** نفسه أيضًا، وهو أساسًا كائن له علاقة جوهريّة بالله، حتّى وإن كان لا يعلم ذلك، أو يعلمه جُزئيًّا؛ وقد أعلن يسوع ذلك، عن طريق شخصه وكلامه وأفعاله، لأنّه هو «الحقّ» و«قُدّوس» الله مِن جِهة؛ ومِن جِهة أُخرى، بصِفته إنسانًا قد أعلن للإنسان، لكُلِّ إنسان، أنّه مدعوّ، مِثله، إلى أن يشترك في قداسة الله وفي حقيقته، وذلك عن طريق التمثُّل بشخصه وكلامه وأفعاله. ولذا فإنّ إعلان يسوع هذا إعلانٌ مُوجَّه إلى البشريّة قاطبة، نظرًا إلى أنّه «الحقّ». وإنّه يُظهر، من خِلال شخصه وكلامه وأفعاله، «الطريق» الذي يؤدّي بالإنسان، بكُلِّ إنسان، إلى «حياة» الله، ذلك لأنّه هو نفسه «الطريق والحياة».

إنّ كان ذلك يظهر واضحًا جليًّا في الإنجيل، غير أنّ الإنجيل نفسه يُبيِّن أنّ **القِيَم التي علّمها** لا تقتصر على المؤمنين به، بل **تشمل جميع البشر**، وذلك واضح في مَثل الدينونة العُظمى حيث إنّ كُلّ خير يصنعه الإنسان، أيُّ إنسان، عِندما يُطعم جائعًا ويروي عطشان ويكسي عُريانًا ويتفقّد مريضًا ويزور مسجونًا، فإنّما يصنعه بالفِعل



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لشخص «ابن الإنسان» نفسه، وذلك ما ستكشفه له الدينونةُ العُظمى إسْكاتولوجيًّا (Eschatologia)، وقد جهل ذلك في أثناء حياته الأرضيّة (متّى ٢٥/ ٣١ ت)؛ وبعِبارة أُخرى، إنّ أفعال الرحمة التي قام بها قد وضعته في علاقة وثيقة بالمسيح ابن الله، والوسيط والمُخلِّص الوحيد، والطريق والحقِّ والحياة، وذلك من دون أن يعلمه ولا يعيه. إنّ العلاقة به علاقة مُحتجبة سِرّيّة. وبوجه عامّ، بِناء على ما عبّر عنه المجمع من حقٍّ وقداسة في الأديان، يُمكن القول بأنّ كُلّ عمل صالح يقوم به الإنسان يُقرِّبه بالفِعل من يسوع المسيح، ويربطه بشخصه؛ فعلى الخِطاب اللاهوتيِّ أن يأخذ ذلك بالاعتبار وبمحمل الجدّ.

ومِمّا يجب مُلاحظته، أنّ المسيحيّين يطرحون عادةً قضيّة غير المسيحيّين من زاوية الخلاص: **هل هم يخلصون؟** إلّا أنّ واقع الحِوارات تُظهر على مرِّ السنين حيث تنعقد، أنّ هُناك أُمورًا أخرى تهمُّ القضيّة، وهي مثلًا ما سمّيناه 'الحِوار الخدميّ'، حيث القِيام المُشترك بخدمات إنسانيّة، لا دينيّة مُباشرةً، تسعى لتشييد مُجتمعات بشريّة أكثر إنسانيّة. ما جعل بعض اللاهوتيّين يُفضِّلون إطلاق تسمية 'لاهوت حِوار الأديان'، عِوضًا عن 'لاهوت الأديان'، خُروجًا من وِجهة نظر ضيّقة، **للانفتاح على الواقع البشريّ الواسع برُمّته وأخذه بالاعتبار كاملًا**.

## ثالثًا - فرادة/ شُموليّة سِرِّ فِصح يسوع المسيح

إنّ **ثمرة موت المسيح الخلاصيَّة من أجل جميع البشر** قد بلغت الإنسان وأثَّرت فيه، كُلِّ إنسان، وإن كان لا يعلمه. وتتحقّق شُموليّة هذا الخلاص بفضل **رُبوبيّته بموجب سِرِّ فِصحه**، من قِيامة وتمجيد



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عن يمين الآب ومنح الروح القُدس، ما يجعل فاعليّته لا تنحصر في فِئة مُعيّنة، مِثلما كان الأمر في أثناء أيّامه الأرضيّة، بل تشمل جميع الأزمنة والأمكنة، وهو يعمل الآن بروحه القُدّوس الذي وهبه للبشريّة جمعاء، والذي يجتذب الإنسان، كُلّ إنسان، إلى المسيح الجامع كُلّ البشر:

«وأنا، إذا رُفِعتُ من الأرض
[على الصليب، وعن يمين الآب من حيث وهب الروح]
جذبتُ إليّ الناس أجمعين» (يو ١٢/ ٣٢).

هذا وقد أطاع اللهَ الآب و«سِرَّ مشيئته» الأزليّة، وهي أن

«**يجمع ويدمج تحت رأس واحد**[1]، **هو المسيح، كُلّ شيء** ما في السماوات وما في الأرض» (أف ١/ ١٠).

فإنّ المسيح يضطلع في شخصه المُمجَّد بكُلِّ ما في البشريّة مِن خير، بِحسب مشيئة الله المُقدَّسة، إلى أن

«يُخضع كُلّ شيء تحت قدميه»

في نِهاية التاريخ البشريّ (١ قور ١٥/ ٢٨).

## رابعًا - بين فرادة/ شُموليّة وساطة يسوع المسيح، وإمكانيّة وَساطات أُخرى

يهمُّنا الآن أن نعتمد على فِكر البابا يوحنّا بولس الثاني في ما نحن بصدده، لأنّه قد تبحّر في الموضوع وعلاجه بأمانة للمجمع

(١) إنّ معنى اللفظ اليونانيّ Anakèphalaioô، وقد تُرجم إلى اللاتينيّة في مؤلّفات إيريناوس: Recapitulatio، أنّ المسيح جمع كُلِّ شيء والجميع (أو استجمعهم أو استعادهم)، ودمجهم، وأحاط بهم، ولخّص كُلِّ شيء في شخصه تحت رأسه.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبإبداع في الفِكر. نذكر أوّلًا **نُقطة انطلاقه**، لنُعبِّر ثانيًا عن **التساؤلات المُعاصرة**، ونعرض ثالثًا مُعالجة بعض **اللاهوتيّين المُعاصرين** القضيّة، في سبيل أن نُوضِّح رابعًا ما تتضمّنه **الوَساطات البشريّة** من معنى لاهوتيّ.

## ١- نُقطة انطلاق فِكر البابا يوحنّا بولس الثاني

إن مُنطلق البابا، حتّى قبل اعتلائه السُّدّة البابويّة، هو أنّ **جميع البشر، بلا أيِّ استثناء، قد خلّصهم يسوع المسيح**، بموته على الصليب، مُشركًا إيّاهم في سِرِّ فِصحه. وهو يذكر، مِن بين ما يذكر، كلمةَ بُطرس لأعضاء مجلس اليهود:

«لا خلاص بأحد غيره
لأنّه ما مِن اسم آخر تحت السماء أطلق على أحد الناس
ننال بِه الخلاص» (رُسل ٤/ ١٢، وارد في رِسالة الفادي، ٥).

هكذا فإنّه يُعظِّم شخص يسوع المسيح الوسيط والمُخلِّص الوحيد. وعليه، فما مِن خلاص خارج عن يسوع الناصريّ، الكلمة الأزليّ المُتجسِّد، واسمه «الله يُخلِّص».

## ٢- التساؤلات المُعاصرة

مِن هذا المُنطلق الراسخ الواضح، يطرح البابا **التساؤلات المُعاصرة الشائكة**: كيف يخلص العديد مِن البشر الذين لا يستطيعون أن يتقبّلوا المسيح (رِسالة الفادي، ١٠؛ راجع تعليم ٣١/ ٠٥/ ٩٥)؟ وقد نوّه بأنّ هذا التساؤل رُبّما سيظلُّ حتّى انقضاء الدهر. وهو يتساءل: هل فرادة وساطة يسوع المسيح تلغي أيّ وساطة خلاصيّة أُخرى؟ ما هي قُدرة الأديان على الخلاص: أهي



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

معدومة؟ أم يجوز اعتبارها طُرقًا للخلاص؟ هل يقدر البشر غير المسيحيّين أن ينالوا الخلاص عن طريق دينهم؟ إنّ البابا لا يخشى أن يطرح مِثل هذه التساؤلات الشائكة، لأنّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني قد فتح لها الباب، مُجيبًا أنّه بمقدورهم أن يتعاونوا مع وساطة المسيح الوحيدة، وإن جهلوا ذلك:

«إنّ فرادة وساطة الفادي لا تمنع، بل تدفع إلى تعاون المخلوقين تعاونًا مُتنوِّعًا مُرتبطًا بالمنبع الوحيد» (نور الأُمم، ٦٢).

وبِناء على ذلك، فإنّه يُجيب عن تلك التساؤلات في رِسالة الفادي:

«لا يستطيع البشر إذًا أن يدخلوا في شركة مع **الله** إلّا **بالمسيح** و**بعمل الروح**. إنّ فرادة وساطته وشُموليّتها ليستا عائقًا للوُصول إلى الله، بل الطريق الذي يرسمه الله نفسه، والمسيح يعي ذلك كُلّ الوعي. إنّ تضافر مُختلف الوساطات مِن حيث الأنواع والأنماط، غير معدوم؛ إلّا أنّها تستقي معناها وقُوّتها مِن فرادة وساطة المسيح؛ ولا يجوز اعتبارها مُتساوية أو مُكمِّلة لها» (٥).

إنّ كلام البابا واضح لا يُثير أيّ نوع من الالتباس، حيث **فرادة المسيح الذي يجمع في شخصه مُختلف الوساطات**. وفي مكان آخر مِن الرِّسالة عينها يُصرِّح:

«هو، ابن الله الحيّ، يتكلّم إلى البشر بصِفته إنسانًا هو أيضًا. ذلك بأنّ حياته نفسها تتكلّم، وإنّ إنسانيّته، وأمانته على الحقيقة، وحُبّه يمتدُّ إلى الجميع. وموته على الصليب يتكلّم هو أيضًا، أي عُمقُ ألمه ووحدته الذي لا يُسبَر» (٧).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتتميّز **وساطة يسوع المسيح** بأنّها فريدة من نوعها، شاملة، حاسمة، كاملة، مبنيّة على سِرِّ ذبيحته[٢]. وهُناك وسائل بشريّة قصدها يسوع نفسه لتؤوِّن وساطته، مِنها أسرار الكنيسة، وشفاعة مريم؛ غير أنّ البابا لم يُحدِّدها بِدِقّة إلّا مِن حيث ارتباطها بوساطة المسيح، وهي أصلها ومنبعها. أمّا عن سائر الوساطات، كالأديان غير المسيحيّة، فإنّه لم يُحدِّد كيفيّتها هي الأُخرى، وإن كان قد أخضعها للمسيح تمامًا.

## ٣- مُعالجة بعض اللاهوتيّين القضيّة

إلى جانب رأي البابا، ثمّة **آراء لاهوتيّة كريسْتولوجيّة مُتعدِّدة** تُحاول أن تُوفِّق بين فرادة / شُموليّة المسيح، وبين وساطات أُخرى، ذلك بأنّ الموضوع قيد البحث من حيث كيفيّة دمج تلك الوساطات في وساطة يسوع المسيح الفريدة / الشاملة. نخصُّ بالذّكر من بين المُعالجات المطروحة:

* هُناك رأي أصحاب **التيّار 'التعدُّديّ'** (Pluralisme)، وهو يُقرُّ بنِسبيّة الأديان، بما فيها المسيحيّة. فيعتبر مثلًا اللاهوتيُّ ستانْلي سامارْتا (Stanley SAMARTA) الهِنديُّ أنّ الإيمان بأنّ يسوع المسيح هو المُخلِّص الوحيد الشامل، يعني الاعتراف **بالهيمنة الغربيّة** التي تفرض[٣] فِكرها اللاهوتيّ على غيرها من المناطق المسيحيّة.

---

(٢) وقد عبّرت اللجنة اللاهوتيّة العالميّة، المُنعقدة في روما السنة ١٩٩٧، عن ذلك الخلاص الفريد، صدًى مِنها لتعليم البابا، بقولها: «إنّ الخلاص لجميع البشر **واحد وحيد**، وهو التماثُل مع يسوع والشركة معه في البُنوّة الإلهيّة» (المسيحيّة والأديان).

(٣) من أبرز دِراساته في هذه المساحة الثقافيّة: «يسوع المسيح في لِقائه الأديان» (١٩٨٩)، وكذلك «نحو خِطاب لاهوتيٍّ مسيحيٍّ حول التعدُّديّة الدينيّة»=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبطبيعة الحال، إنّ مِثل تِلك المُعالجة مرفوضة تمامًا من المسيحيّة، إذ إنّها **تُخالف الوحي وتُقوِّض الإيمان**، فليست القضيّة 'لاهوتيّة' تتحمّل آراء مُختلفة، بل هي 'إيمانيّة' محض.

* وثمّة اللاهوتيُّ **جاك دوبويه اليسوعيّ** (Jacques DUPUIS, SJ.) الذي عاش في الهِند، والذي ناقش التيّار التعدُّديّ، مُتمسِّكًا بالإيمان المسيحيِّ المُستقيم. إنّه يُميِّز بين قُطبين في شخص يسوع المسيح: من جِهةٍ **'الكلمة الأزليّ'**، وعملُه شامل، يشمل جميع الأديان؛ ومن جهةٍ أُخرى **'الكلمة المُتجسِّد'**، وعملُه خاصٌّ بالمسيحيّين.

يضع هذا الفِكر ازدواجيّةَ وعدم تطابق بين **تجسُّد الكلمة / شُموليّة عمل الله**. ويُمكن التساؤل ألا يفصل **بين الله الكلمة / يسوع التاريخ؟** وفي نِهاية الأمر، ألا يقع في **نِسطوريّة جديدة**، بتقسيم شخص يسوع المسيح بين لاهوته وناسوته، وكذلك بين أزليّته وتاريخيّته؟

والحقُّ يُقال، إنّ المؤلِّف، وغيره من اللاهوتيّين الآسيويّين، مُتأثِّر بالفلسفات الآسيويّة التي تُميِّز حتّى حدِّ الفصل بين الشامل والمُجرَّد مِن جِهة / والخاصِّ والعينيِّ من جِهة أُخرى. وأمّا البابا يوحنّا بولس الثاني، فإنّه يعتبر أنّ القُطبين معًا، وبلا انفصال بينهما، يُكوِّنان شخص الوسيط المُخلِّص، كما يُعبِّر عنه بولس الرسول:

«فيه يحلُّ جميعُ كمال الأُلوهيّة حُلولًا جسديًّا» (قول ٢/ ٩).

هذا لا يمنع أنّه مِن الصعب إدراك كيف عملت إنسانيّةُ يسوع قبل التجسُّد، ما يظلُّ سِرًّا إلهيًّا.

=(١٩٩٧). وهُما يُعتبران مرجعين، لا في الخِطاب اللاهوتيِّ الآسيويِّ فحسب، بل في خِطاب لاهوت الأديان بوجه عامّ أيضًا.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* وعبّر اللاهوتيُّ كارْل راهْنِر اليسوعيّ (Karl RAHNER, SJ.) عن اقتناعه اللاهوتيّ بأنّ **الله يُعرِّف / يُشرك ذاته لكُلِّ إنسان** (بالفرنسيّة: Auto-communication de Dieu à l'Homme). وأمّا الإنسان، فإنّه يتجاوب مع الله بطُرق مُختلفة، منها مواقف خِدمة القريب وحُبِّه، بدون أن يعرف أنّ عمله هذا مُوجَّه إلى شخص يسوع المسيح. وذلك يُبيِّن أنّ يسوع المسيح، وهو مِلء عطاء الله للبشريّة، حاضر حُضورًا مُحتجَبًا في مُختلف التقاليد الدينيّة، كما وفي بحث الإنسان عن الخير أو عن الله(٤).

* وحاول اللاهوتيُّ **كلود جيفْريه** (Claude GEFFRE) أن يُركِّز على قلب الوحي المسيحيّ، وهو **ظُهور الله في خُصوصيّة شخص يسوع الناصريّ**. وليست فرادة يسوع المسيح تفوُّقًا على غيره من مؤسِّسي الدِّيانات، بل هي «**فرادة علائقيّة**» بقدر ما الله الثالوث نفسه علاقة، وحياةُ يسوع كُلُّها حياة علاقة وحِوار، تُعلن العلاقةَ الداخليّة بين الأقانيم الثلاثة، والعلاقة الخارجيّة مع الإنسان، كما أنّها تدعو الإنسان إلى أن يكون، هو أيضًا، علاقة مع غيره(٥).

* وفي السِّياق نفسه، حاولت اللاهوتيّة جنيفياف كومو (Geneviève COMEAU) أن تُظهر أنّ فرادة يسوع اجتذبت على مرِّ العُصور، ولا تزال تجتذب العديد من الناس غير المسيحيّين، مِثل غاندي الذي انبهر بتعليم يسوع عن التطويبات واللاعُنف، وقُربه من الفُقراء والمرضى... فذلك يعني أنّ يسوع الناصريّ يمسُّ إلى اليوم

---

(٤) نُذكِّر بأنّ كارْل راهْنِر قد اشترك في المجمع بصِفته خبيرًا لاهوتيًّا بارزًا، وقد أثّر تأثيرًا بالغًا في تحرير النُّصوص الكُبرى، منها ما نحن في صدده.

(٥) راجع مثلًا: *La théologie des religions non chrétiennes, vingt ans après Vatican II, in Islamochristiana 11,* Roma 1985, pp. 141-156.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

نبرة إنسانيّة شُموليّة عميقة في قلب الإنسان، إذ كان، في فرادة أيّام حياته الأرضيّة، يُظهر إنسانيّة كُلِّ إنسان، لا سِيّما الصِّغار، كما كان يُظهر عظمة حقيقته عن طريق نمط حياته مِلؤها الحُبُّ والمغفرة واللاعُنف، وسِيادة الله في شخصه المُتواضع الوديع القلب. كُلُّ ذلك يُخاطب الإنسان اليوم، وإن كان غير مسيحيّ. لا بل إنّ آلامه تجذب بعض الناس وتدفع بعضهم إلى أن يتحمّلوا الظُّلم والإهانة والذُلّ بكُلِّ شجاعة وبدون انتقام، وأن يبذلوا حياتهم في سبيل الآخرين في كُلِّ كبيرة وصغيرة من حياتهم. في جميع هذه الظُّروف البشريّة، يكتشف المسيحيّون عمل الروح القُدس في غير المسيحيّين، وذلك بموجب إيمانهم، لا بحسب تحاليل سوسيولوجيّة. فالسؤال الحقيقيُّ العميق هو الآتي: ما سبب صدى فرادة يسوع التاريخيّة هذه في الإنسان؟ لاشكّ أنّ يسوع المسيح المُمجَّد يلتقي إلى اليوم هؤلاء الناس في صميم حياتهم وإرادتهم الصالحة وأعمالهم الخيِّرة: قد لا يعون هم ذلك، وأمّا المسيحيّون فيعون «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس» وعمل الروح فيهم. ولا يتمحور التركيز على الخلاص، بل على الحياة الشبيهة بحياة يسوع الناصريّ. وبما أنّ **فرادة** يسوع الإنسانيّة هذه تمسُّ أُناسًا من أجيال ومُعتقدات وأديان مُختلفة، فإنّ **شُموليّته** هي بالفِعل التي تجتذبهم إليه[٦].

## ٤- الوساطات البشريّة ومعناها اللاهوتيّ

إنّ تعليم البابا بتاريخ ١٩٩٨/٢/٤ يُعمِّق حديثه في شأن **الوساطات البشريّة**، سواء في داخل الكنيسة أو في خارجها، مؤكِّدًا

(٦) أُنظر إلى البيبْليوغرافيا.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ارتباطها بمصدرها الواحد الوحيد، الفريد الشامل:

«لا يُمكننا إذًا قبول، بجِوار المسيح، منابع أو طُرق أُخرى من الخلاص مُستقلّة عنه. هكذا فإنّ المسيحيّين يعترفون، في الأديان الكُبرى التي تحترمها الكنيسة وتُقدِّرها، كما أشار إليه المجمع الفاتيكانيُّ الثاني، **بوُجود عناصر خلاصيّة، إلّا أنّها تعمل مُرتبطةً بتأثير نِعمة المسيح**. إنّ تلك الأديان تستطيع هكذا أن تُساهم، **بفضل عمل الروح القُدس السِّرِّيِّ** الذي «يهبُّ حيثما يشاء» (يو ٣/ ٨)، في مُساعدة البشر أثناء مسيرتهم نحو السعادة الأبديّة؛ غير أنّ ذلك الدور هو أيضًا ثمر عمل المسيح الفدائيّ. هكذا، ففي ما يتعلّق بهذه الأديان، إنّ المسيح المُخلِّص يعمل بطريقة سِرِّيّة، إذ يُوحِّد الكنيسة بشخصه، وقد جعلها 'آية الاتِّحادِ الوثيق بالله، ووحدةِ الجِنس البشريِّ أجمع' (نور الأُمم، ١)» (المسيح المُخلِّص الوحيد).

إنّ تلك الوساطات البشريّة الكامنة في مُختلف الأديان تتعلّق بما سُمِّي بـ«بُذور الكلمة»، والتي يُسمّيها البابا **«بُذور الحقيقة»** الحاضرة في تلك الأديان، والتي هي شُعاع المسيح نفسه الذي «يُنير كُلّ إنسان، آتيًا إلى العالم» (يو ١/ ٩).

كما أنّ هذه الوساطات هي **ثمر الروح القُدس** الذي «يهبُّ كما يشاء» (يو ٣/ ٨)

ولا سِيّما في خارج حُدود الجسد السِّرِّيِّ الظاهرة (رِسالة الفادي، ٦ و١٢). وثمّة تضافر بين 'بُذور' (الكلمة) و'هُبوب' (الروح) في تِلك الأعمال البشريّة، ذلك ما وعد به يسوع قاصدًا الروح:

«سيأخذ مِمّا لي ويُخبركم به» (يو ١٦/ ١٤).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا، فليس هُناك عمل خاصٌّ **بالمسيح**، وعمل آخر خاصٌّ **بالروح**، بل ثمّة عمل واحد وحيد فريد شامل، في **الكنيسة**، وهو عمل سِرِّيٌّ يصعب على البشر تحديده لأنّ الله وحده يعلمه، وهو صانعُه.

ولقد ردّد البابا ذلك في رِسالته عن الكنيسة في آسيا، بعد انعقاد سينودس كنائس آسيا:

«مِن بِداية الزمن إلى آخره، إنّ يسوع هو الوسيط الشامل الوحيد. حتّى للذين لا يعترفون صراحةً به مُخلِّصًا، يأتي الخلاص مِنه هِبةً، إذ يمنح الروح القُدس» (١٤)[٧].

## الخُلاصة

نُلخِّص ما توصّلنا إليه بشأن **فرادة/ شُموليّة وساطة يسوع المسيح المُخلِّص الوحيد** في الآتي:

* إنّ **فرادة/ شُموليّة وساطته** بين الله والبشر هي أساس الإيمان المسيحيّ وعُمدته.

* إنّ تلك الفرادة/الشُموليّة لا تمنع وُجود **وساطة أديان أُخرى**، ولكنّها تستقي كيانها وفاعليّتها مِن وساطة الوسيط الأوحد، وإن كان ذلك غير ظاهر. فالمسيح المُمجَّد يجمع ويدمج كُلّ شيء في شخصه وتحت رأسه (أف ١/ ١٠).

* إنّ **الخلاص** الذي أتى به يسوع المسيح **شامل جميعَ البشر**،

(٧) يبتعد إذًا البابا عن رأي اللاهوتيّين الآسيويّين الذين يفصلون بين 'الكلمة الأزليّ' أو 'المسيح' من جهة، وبين 'يسوع الناصريّ' من جهة أُخرى؛ وقد حلّلنا هذا الخِطاب اللاهوتيّ الآسيويّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإن كانوا غير مؤمنين به. بل إنّ يسوع المسيح **يلتقي البشر** في واقع حياتهم والتزامهم وعلاقاتهم، ففي ذلك تتجسّد فرادته / شُموليّته؛ لذا لا ينبغي حصر العلاقة بين المسيح وبينهم في موضوع الخلاص، بل يجب فتحها على **العلاقة في حدِّ ذاتها** بين الطرفين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com



# المُقاربة اللاهوتيّة الإبْنِفْماتولوجيّة

## المُقدِّمة

يتميّز الخِطاب اللاهوتيُّ المُختصُّ بالروح القُدس (Pneumatologia) **بمضمون غنيّ**. مِن هذا المُنطلق سندرس **عمله في الأشخاص**، وسنستنتج **طُرق تعامله**.

## أوّلًا - مضمون الخِطاب الإبْنِفْماتولوجيّ

ثمّة أصعدة مُختلفة لحديثنا الإبْنِفْماتولوجيّ مبنيّة على أنّ الروح القُدس هو **علاقة**، بمعنى أنّه علاقة الآب بالابن، ويضع الإنسان في علاقة بالله، وكذلك البشر في ما بينهم. فيجب تحليل ذلك، عِلمًا أنّ البابا يوحنّا بولس الثاني قد أسهب في ذلك الخِطاب، بروح إبداع واضحة سنُقدِّرها في مسيرتنا.

### الروح بين العالم والبشر

نظرًا إلى **عمل الروح القُدس في العالم**، مُنذ بدء الخليقة حيث كان

«يُرفُّ على وجه المِياه» (تك ١/ ٢)،



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فإنّه يعمل في الأديان، بغضّ النظر عن صِحّتها، ما أكّده المجمع، واصفًا من بين غير المسيحيّين مَن هُم

«ذوو الإرادة الصالحة الذين تعمل النِّعمة في الخفاء في قُلوبهم»،

وحاثًّا المسيحيّين على أن يعوا أنّ

«الروح القُدس يُقدِّم للجميع، بطريقة يعلمها الله، وسيلة الاشتراك في سِرِّ الفِصح» (الفرح والرجاء، ٢٢)[١].

ولا يقصد كلامُ المجمع إطلاقًا اعتبارَهم مسيحيّين يجهلون ذلك[٢]، بل يقصد **عملَ الروح القُدس في خارج حُدود الكنيسة الظاهرة** عملًا سِرِّيًّا مخفيًّا يعلمه هو وحده. كما أنّ هذا الكلام لا يتجاهل ما يُناهض المسيحيّةَ في دينهم، بل يبغي المجمع التأكيد أنّ الروح هو مصدر كُلِّ عمل خير يقومون به، وأنّ آثارَه تظهر في ما هو صلاح وقداسة وحقٌّ في دينهم[٣].

## الروح والآب

فضلًا عن أنّ الروح يُظهر **شُموليّةَ عطاء الآب** بدون مُحاباة

(١) إن كان الروح 'يعمل' في الخليقة قاطبة وفي جميع البشر بموجب الخلق، إلّا أنّه 'يسكن' في المسيحيّين من جرّاء معموديّتهم.

(٢) لقد وصفهم اللاهوتيُّ كارْلْ راهْنِر اليسوعيّ بأنّهم «مسيحيّون مجهولون» (بالفرنسيّة: Chrétiens anonymes)، إلّا أنّ مُعظم اللاهوتيّين لم يتبنّوا ذلك المُصطلح لأنّه لا يأخذ بالاعتبار بالقدر الكافي حُرِّيّتهم في اختيار دينهم.

(٣) على سبيل المُقارنة، نذكر أنّ الإسلام يعتبر أنّ التقوى الحقيقيّة تتميّز عن مُمارسة الطُّقوس؛ كما نذكر حديثًا عن مجّانيّة الفردوس حيث لا أحد يدخله بفضل أعماله.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأشخاص على أساس مُعتقدهم الدينيّ، لأنّ محبّة الآب تشمل جميع البشر، وهُم أبناؤه بلا استثناء، وقد
«أفاض محبّته في قُلوبنا بروحه القدّوس» (روم ٥/ ٥).

## الروح والابن

ثُمّ إنّ الروح لا يخضع لزمان ولا لمكان مُعيّن، على خِلاف **الابن الأزليّ** الذي، بتجسُّده في الزمان والمكان، أصبح الوسيط والمُخلِّص والطريق والحقّ والحياة.

## عمل الروح في الكنيسة وفي خارجها

ويعمل الروح في **كنيسة** المسيح وفي **خارج حُدودها الظاهرة**، إذ إنّه
«يهبُّ حيثما يشاء» (يو ٣/ ٨)

بكُلِّ حُرّيّة. وذلك ما أطلق عليه البابا يوحنّا بولس الثاني تسمية «الهُبوب»، أي هُبوب الروح القُدس. وذلك إلى جانب أنّه
«يشفع لنا عند الآب بأنّات لا توصف» (روم ٨/ ٢٦).

وذلك ما أطلق عليه تسمية «أنّات» الروح في النُّفوس. وكثيرًا ما يستعمل «الهُبوب» / «الأنّات».

## ثانيًا - دور الروح القُدس في الأشخاص والأديان غير المسيحيّة

لقد ركّز البابا يوحنّا بولس الثاني، في كلامه على عمل الروح في النُّفوس، على ثلاث قضايا أساسيّة: **صلاة** الإنسان؛ و**بحثه** عن الله؛ و**مُمارسته دينَه** لنيل الخلاص.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## صلاة الإنسان

في نظر البابا، إنّما **الروحُ القُدس هو منبع كُلِّ صلاة أصيلة**. وقد خاطب الشُّعوب الآسيويّة غير المسيحيّة بمانيلا في ٢١/٠٢/١٩٨١ بقوله:

«جئتُ إلى آسيا لأكون **شاهدًا للروح** العامل في تاريخ الشُّعوب والأوطان».

وشرح قائلًا:

«كُلُّ مرّة ينفتح فيها العقل البشريُّ في الصلاة على ذلك 'الإله المجهول'، (رُسل ١٧/ ٢٣)، يُسمَع صدى من ذلك الروح الذي، إذ يعلم حُدودَ الشخص البشريِّ وضُعفَه، يُصلّي هو نفسه فينا ولأجلنا 'بأنّات لا توصف' (روم ٨/ ٢٦). إنّ شفاعة روح الله الذي يُصلّي فينا ولأجلنا هي ثمر سِرِّ فِداء المسيح، حيث مِلء حُبِّ الآب ظهر للعالم».

تتميّز نظرة البابا هذه بالمضمون الآتي: إنّها **نظرة ثالوثيّة** خالصة، حيث إنّ كُلّ ما يقوم به أحد الأقانيم الثلاثة يشترك فيه الأُقنومان الآخران. ثُمّ إنّها **تُقرُّ إقرارًا مُزدوجًا**: من جِهة بعدم معرفة **الإنسان** الصلاةَ كما يجب، ومن جِهة أُخرى بصلاة **الروح** بأنّاته في الإنسان ولأجل الإنسان؛ ذلك الاقتناع المُزدوج، قد اختبره البابا شخصيًّا إذ كان يتعجّب من عظائم أعمال الله في الإنسان، وهي عظائم تفوق كُلّ ما يستطيع الإنسان أن يُدركه ويرجوه. وليس ذلك الروح روحًا طبيعيًّا أو بشريًّا، بل هو روح يسوع المسيح الذي يكشف ثمر السِّرِّ الفِصحيّ، ويقود البشر إلى الخلاص. وقد وضّح البابا ذلك بقوله:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«إنّ الابن يُحقّق الفِداء كاملًا لكونه ممسوحًا قد أتى وعمل بقُوّة الروح القُدس، وقدّم ذاته في آخر حياته ذبيحةً فائقة على خشبة الصليب. وإنّ ذلك الفِداء يتمُّ أيضًا في القُلوب والضمائر، في تاريخ العالم، بالروح القُدس، وهُو 'براقليط آخر' (يو ١٤/ ١٦)» (الربُّ والمُحيي، ٢٤).

وعليه، فإنّ الروح العامل في البشر هو روح المسيح حقيقةً؛ وإنّ عمله مُرتبط بشخص يسوع المسيح كاملًا في عمل واحد، كما أنّه ينبع من كونه

«يفحص عن كُلِّ شيء حتّى عن أعماق الله» (١ قور ٢/ ١٠).

لذا فإنّ الروح يفتقد كُلّ إنسان يُصلّي صلاة صادقة أصيلة، بل هو منبع تلك الصلاة.

إنّ تقدير البابا عملَ الروح في النُّفوس جعله يدعو إلى **لِقاء أسّيزي** كي «يكونوا معًا ليُصلّوا»، ولا كي «يُصلّوا معًا»، منعًا لأيِّ التباس، ذلك بأنّ كُلّ وفد كان يُصلّي ويصوم في مكان خاصٍّ به؛ وعِند اللِّقاء العامّ، كان كُلُّ وفد يُصلّي بعِباراته الخاصّة أمام الجميع. ولقد ألقى البابا نظرة نقديّة على هذا الحدث الفريد من نوعه، بقوله:

«إنّ لِقاء مُختلف الأديان في أسّيزي، إذا استبعدنا أيّ التباس في تفسيره، قصد تثبيت اقتناعنا بأنّ 'كُلّ صلاة أصيلة مصدرُها الروح القُدس الحاضر حُضورًا سِرِّيًّا في قلب كُلِّ إنسان'» (رِسالة الفادي، ٢٩، وارد في الخُطبة إلى الكرادلة بروما في ٢٢/ ١٢/ ٨٦)[٤].

(٤) يُمكن المُقارنة بما قاله البابا بولس السادس، وذلك لتقدير مدى التقدُّم=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## بحث الإنسان عن الله

لقد ذهب البابا إلى أبعد من الكلام في الصلاة بالروح، إذ ركّز على عمل الروح القُدس في العالم، اعتمادًا مِنه على فرح ورجاء (١٠، ١٥، ٢٢، ٤١)، واعتبر أنّ **الروح مصدر كُلِّ تمطّي بشريٍّ نحو الله**، ذلك بأنّ كُلّ توجُّهٍ واتِّجاه في تاريخ البشر يتكوّن في كنف الروح:

«إذن الروح مصدر **التساؤل الوُجوديِّ والدينيِّ** لدى الإنسان، ذلك التساؤل الذي لا ينبع مِن ظُروف طارئة فحسب، بل من بِنية كيانه نفسها أيضًا. إنّ حُضور الروح وعمله لا يمسّان البشر واحدًا واحدًا فحَسب، بل المُجتمع والتاريخ، والشُّعوب والثقافات والأديان أيضًا. فمِن الروح ينبع، كمِن نبع، نُبلُ المُثُل وصلاحُ المُبادرات في مسيرة البشريّة» (رِسالة الفادي، ٢٨).

والحقُّ يقال إنّ الكلام على «**تساؤلٍ وُجوديٍّ ودينيٍّ**» مصدرُه الروح يُعتبَر سابقة في خِطابات الباباوات، ويعود إلى أنّ الروح القُدس يعرف ما في الإنسان مِثلما يعرف روحُ الإنسانِ الإنسانَ (١ قور ٢/ ١١):

«مُنذ البِداية والإنسانُ قادر على تشييد **علاقة شخصيّة بالله**، مِثل 'أنا' و'أنت'، ومِن ثَمّ فهو قادر على **قطع عهد** يتمُّ عِندما يتّصل الله نفسه بالإنسان اتِّصالًا خلاصيًّا. وأخيرًا، في ضوء 'الصورة والمِثال'، إنّ 'منْح الروح' يعني **الدعوة إلى الصداقة**،

=الذي أحرزه البابا يوحنّا بولس الثاني: «إنّ ديننا يُقيم فِعلًا علاقة أصيلة وحيّة، ما لا تستطيعه سائر الأديان، وإن مدّت يدها نحو السماء، إن جاز التعبير» (إعلان الإنجيل، ٥٣).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حيث إنّ 'أعماق الله' المُتسامية تنفتح، نوعًا ما، على اشتراك الإنسان» (الربّ والمُحيي، ٣٤).

هكذا، فإنّ الروح القُدس يفحص أعماق الإنسان، كما أنّه يفحص أعماق الله، وكذلك إنّه يعمل فيه فيُلهمه رغباتٍ وتطلُّعات وتساؤلات.

ويُعتبَر كُلُّ ذلك **إعدادًا لإعلان الإنجيل** - 'شرارات اللوغُس الإلهيّ' و'بُذور الكلمة' 'المُبعثرة'، بحسب التعبير الآبائيّ، و'بُذور الحقيقة'، بحسب تعبير البابا نفسه -، وهو عمل سِرِّيٌّ يعمله الروح القُدس في أعماق البشر بـ«هُبوبه»/ «أنّاته»، وإن كان ذلك غير ظاهر ولا يُقاس بالمقاييس البشريّة، يعلمها الله وحده، ولا يرى البشر منه إلّا «علامات» و«فُتات»:

«إنّ ما يفعله الروح في قلب البشر، وفي الشُّعوب والأديان، يُعِدُّ لإعلان الإنجيل» (رِسالة الفادي، ٢٩).

وفي لِقاء مُهمّ بتاريخ ١٩٩٨/٩/٩، عمّق البابا نظرته إلى **حياة الإنسان**، حتّى إنّه وجد فيها **نشأة مُختلف الأديان**:

«إنّ مُختلف الأديان تنشأ، تحديدًا، مِن ذلك الانفتاح الأوّليِّ الذي يتميّز به الإنسان. ليس أمرًا نادرًا أن نكتشف في نشأتها مؤسِّسين قد اختبروا، بمؤازرة روح الله، اختبارًا دينيًّا أعمق. وإذ سلَّموا ذلك الاختبار إلى الآخرين، تَشكّل في مُعتقداتِ مُختلف الأديان، كما وفي طُقوسها وتعاليمها» (روح الله و'بُذور الحقيقة'، ص١٤).

هكذا، لا يعتبر البابا نشأة الأديان ثمر **انحراف إنسانيّ**، بل يؤمن بأنّ الروح يدفع الإنسان نحو **البحث عن الحقيقة**، كما أنّه **يفتح قلبه**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**على نِعمة الله**. ويستند البابا في ذلك إلى الفيلسوف الفرنسيِّ هِنري بِرْغْسُنْ في كِتابه الشهير مصدرا الأخلاق والتصوُّف (١٩٣٢)، حيث تكلّم على **'الأديان المُنفتحة'**،

«وهي ليست مُجرّد انعكاس لرغبات بشريّة، بل هي انفتاح وخُضوع لمشيئة الله المُتسامية التي تفرض نفسها على كُلِّ ضمير» (تعليم، ١٠/ ١/ ١٩٨٧).

يتجرّأ إذًا البابا أن يعتبر نشأة بعض الأديان **ثمرَ اختبار دينيٍّ بمُساعدة الروح القُدس**، وإن كان اختبارًا غير كامل. والحقُّ يقال إنّ مِثل ذلك الكلام مُقلق ومُحيِّر: أليس عمل الروح القُدس مُتجِّهًا دائمًا نحو يسوع المسيح، الوسيط والمُخلِّص الفريد/ الشامل، والطريق والحياة والحقّ؟ فكيف يُمكنه أن يُساعد على نشأة دين لا يعترف بالمسيح، بل ويرفضه أحيانًا؟ هل الله مصدر أديان مُختلفة؟ فكيف الخُروج من هذا المأزق؟

نجد ردًّا على ذلك في لِقاء بالكرادلة بروما سنة ١٩٨٦، حيث ميّز بين اختلاف الأديان، وهو «**حدث إنسانيّ**»، وبين الخلق والخلاص، وهُما «**حدث إلهيّ**». وفي رِسالته لمُناسبة قُدوم الألفيّة الثالثة، السنة ١٩٩٤، وضّح أنّ مُنطلق المسيحيّة هو سِرُّ التجسُّد، حيث **بحثُ الله عن الإنسان**، على خِلاف سائر الأديان حيث **بحثُ الإنسان عن الله**. بل إنّ الله، عندما يبحث عن الإنسان، ففي سبيل **قطع عهد معه**:

«ذلك هو الحدُّ الأقصى الذي يُميِّز المسيحيّة عن سائر الأديان، تِلك الأديان التي عبّرت، مُنذ القِدم، عن بحث الإنسان عن الله» (٦).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي لِقاء ٩/ ٩/ ٩٨، وضّح أنّ **روح الإنسان** هو الذي **أنشأ الأديان**، في سائر الأديان، ذلك الروح البشريّ المُنفتح على نِعمة الروح القُدس. وعليه، فلا يعتبر البابا أنّ الله هو الذي أنشأها، بل الإنسان. غير أنّ الله لا يغيب عن الاختبار الدينيّ الذي اختبره المؤسِّس. فقد حدث أنّ الروح القُدس قد حثّ عطشًا أو انتظارًا روحيًّا، أو حدْسًا دينيًّا قد تطوّر فأصبح في ما بعد دينًا. فشتّان إذًا بين المسيحيّة الذي أسّسها يسوع المسيح، وسائر الأديان التي أنشأها اختبارٌ روحيٌّ بشريّ. فضلًا عن أنّ بعض المؤسِّسين لم يتنعّموا بالظُّروف المُلائمة لبُلوغ الحقيقة الكاملة المُتمثِّلة بيسوع المسيح؛ وبالرغم من ذلك، فإنّ الروح أتى لنجدة ضعفهم فأنارهم، على قدر ما استطاعوا أن يستوعبوه حينذاك، حتّى يصِلوا إلى قبس شُعاع من الحقِّ في ما يتعلّق بالله وبالإنسان، من دون أن يصلوا إلى كمال الحقِّ في يسوع المسح؛ وقد قال في ذلك المِلء:

«إنّ المسيح هو تحقيق توق جميع أديان العالم، ومِن ثَمّ، هو الغاية الوحيدة والأخيرة» (قُدوم الألفيّة الثالثة، ٦).

## الخلاص بمُمارسة الإنسانِ دينَه

يطرح البابا تساؤل نيل الخلاص عن طريق مُمارسة دين غير الدين المسيحيّ، على هذا المِنوال: **هل يستطيع مؤمن أن يخلص بمُمارسته دينَه**، من تعاليم وطُقوس وتقاليد؟ ويُجيب قائلًا:

«تستطيع الأديان أن تؤثِّر تأثيرًا إيجابيًّا في مصير المُنتمين إليها والخاضعين لتوجيهاتها، وذلك بقلب صادق» (تعليم ٣١/ ٥/ ١٩٩٥).

هذا وقد سبق أن أكّدت وثيقةُ حِوار وإعلان إمكانيّة نيل الخلاص عبر مُمارسات دينيّة غير المسيحيّة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي لِقاء ٩/ ٩/ ١٩٩٨، **عمّق** البابا هذه الفِكرة:

«اعتياديًّا، 'إنّ أعضاء سائر الأديان يتجاوبون تجاوبًا إيجابيًّا مع دعوة الله، وينالون الخلاص في يسوع المسيح، وإن كانوا لا يعترفون به مُخلِّصًا، وذلك عبر ما هو صالح في تقاليدهم الدينيّة، وباتِّباعهم أوامر ضميرهم' (إلى الأُمم، ٣، ٩، ١١). وبالفِعل، كما يُعلِّمنا المجمع الفاتيكانيُّ الثاني، 'بما أنّ المسيح قد مات لأجل الجميع، وأنّ دعوة الإنسان الأخيرة فريدة، وهي إلهيّة، فعلينا أن نعي أنّ الروح القُدس يعرض على الجميع، بطريقة يعلمها الله، إمكانيّة الاشتراك في سِرِّ الفِصح' (فرح ورجاء، ٢٢/ ٥). إنّ تلك الإمكانيّة تتحقّق عبر قبول الحقِّ قبولًا حميمًا صادقًا، وعبر بذل الذات للقريب بذلًا كريمًا، وعبر البحث عن المُطلق بحثًا يُلهمه الروح القُدس. وكذلك، فإنّه، عبر طاعة التعاليم والمُمارسات المُطابقة للشريعة الطبيعيّة، وللحِسِّ الدينيِّ الأصيل، يظهر شُعاع من الحِكمة الإلهيّة. وتحديدًا، فإنّ عناصر الصلاح الكامنة في مُختلف الأديان تُهيِّئ القُلوب، بموجب حُضور الروح وعمله، تهيئة سِرِّيّة لتقبُّل مِلء وحيِ الله في يسوع المسيح» (روح الله و'بُذور الحقيقة'، ١٠).

غير أنّ ذلك يُثير تساؤلًا حقيقيًّا: **كيف يستطيع إنسان لا يعرف المسيح أن يتجاوب مع قصد الله الخلاصيّ**؟ مِن الواضح أنّ البابا يثق **ثِقة يقينيّة بعمل الله في الإنسان**، كما أنّه يثق **بتجاوب الإنسان مع الله**، وذلك بطريقة **سِرِّيّة** من الجانبين. وعليه، فلا يستبعد البابا أيّ طريق يسمح للروح القُدس بأن يقود سِرِّيًّا قلب الإنسان إلى المسيح، بطريقة خاصّة يعلمها هو وحده، ذلك بأنّ قصد الله الخلاصيّ لا



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ينضب أبدًا، وقد يجهلها الإنسان، بل وقد يتشكّك منها المؤمن بيسوع المسيح.

وفي السنة ١٩٩٨، سنة الروح القُدس استعدادًا للألفيّة الثالثة، عاد البابا إلى إعلان اعتقاده الراسخ أنّ **الروح يُلهم المؤمنَ غير المسيحيّ** في داخل دينه بما يتضمّنه من صلاح، وبموجب ضميره الشخصيّ، اعتمادًا مِنه على نور الأُمم (١٦)، وعلى فرح ورجاء (٥)، وكذلك على حِوار وإعلان (٢٩)[٥]. وإنّ ذلك التعليم لا يتنافى إطلاقًا مع **فرادة/ شُموليّة خلاص يسوع المسيح** الذي يناله المؤمنون غير المسيحيّين من الله مجّانًا، كما رأيناه؛ ولا مع **دور الكنيسة** بصِفتها طريق الخلاص طريقًا اعتياديًّا، كما سنراه.

## الخُلاصة

لقد أكّد البابا يوحنّا بولس الثاني مِرارًا **عمل روح الحقّ**:

«في خارج حُدود جسد المسيح السِّرِّيِّ المرئيّة» (رِسالة الفادي، ٦).

كما أنّه اعتبر **الحِوار بين الأديان**

«مُقاربة لعمل الروح القُدس في الإنسان، مِلؤها احترام أصيل للآخر» (لِقاء مدْراسْ، شباط / فبراير ١٩٨٦)،

وذلك في آن واحد.

وكذلك صرّح:

«إنّ الروح القُدس حاضر وعامل في العالم وفي المُنتمين إلى

(٥) لا شكّ أنّ النصّ الكِتابيّ الذي يسمح بذلك الإقرار هو كلام بولس على دور «الشريعة» لِمَن لهم شريعة، ودور «الضمير» للآخرين (روم ٢/ ١-١٦).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُختلف الدِّيانات وفي التقاليد الدِّينيّة عينها. فكُلُّ صلاة أصيلة هي من الروح القُدس الحاضر حُضورًا سِرِّيًّا في قلب كُلِّ إنسان» (لِقاء أسّيزي).

## ثالثًا - طُرق تعامُل الروح القُدس مع الأشخاص والأديان غير المسيحيّة

لقد اتّضحت لنا **طُرق الروح القُدس** التي تسمح للمؤمنين غير المسيحيّين بأن **يشتركوا في سِرِّ المسيح الفِصحيّ**، تجاوبًا مِنهم مع قصد الله الخلاصيّ، في **جسد المسيح السِّرِّيّ**، وإن تحقّق ذلك عن طريق دينهم. فنُضيف إلى تِلك الطُّرق الآتية أيضًا:

### الفضائل الإلهيّة

يعتمد البابا على **الفضائل المسيحيّة الثلاث**: الإيمان والرجاء والمحبّة. أمّا **إيمانهم**، فهو ناقص إذ إنّهم لا يؤمنون بيسوع المسيح مُخلِّصًا ووسيطًا. وأمّا **الرجاء**، فإنّهم يجهلونه[٦]. وأمّا **محبّتهم**، فهي تنبع، كما رأينا مِرارًا، من الروح القُدس الذي يحثُّهم على بذل أنفسهم في سبيل الآخرين، وهو شكل من أشكال المحبّة الخالصة.

### البحث عن الحقيقة

وكذلك، إنّ مصدر **بحثهم عن الحقِّ** إنّما هو الروح القُدس الذي يدفعهم إلى عدم الاكتفاء الذاتيّ، بل إلى الانفتاح على الله المُطلق.

(٦) إنّ علاقاتنا بالإخوة المُسلمين بيّنت لنا أنّ فِكرة «الرجاء»، كما نفهمها نحن، غير واردة لديهم (رُبّما بسبب قولنا: «الرجاء عدم التدخين» مثلًا)؛ لذلك توصّلنا إلى أن نستعمل لفظ «الأمل»، بالرغم مِن أنّه لا يُدلي بما نقصده بِلفظ «الرجاء»، وهو فضيلة إلهيّة مُوجَّهة إلى الله، لا رغبة بشريّة فقط.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّه **يُهيِّئ القُلوب**، تهيئة سِرِّيّة يعملها هو ويعلمها هو، لقبول مِلء الحقِّ في شخص يسوع المسيح وفي عمله الخلاصيِّ والوسيطيّ.

## نشأة الأديان

في **نشأة الأديان** دور للروح القُدس: اختبار روحيٌّ يختبره المؤسِّس، وانفتاح قلب الإنسان على نِعمة الله، والبحث عن الحقيقة، وكُلُّ ذلك بالرغم من طابع النُّقصان الذي تتّسم به تلك الأديان، وجهل أصحابها منبع تلك الدِّينامِيّة.

## تعضيد دور الإنسان

وإذ تتّسم تِلك الأديان بطابعها البشريّ، يضع البابا مِعيارين أساسيّين، سبق أن ذكرناهما: تطابق مسيرتهم مع **الشريعة الطبيعيّة**، وأصالة **حِسِّهم الروحيِّ الدينيّ**، وذلك أيضًا ثمرُ عمل الروح في قُلوبهم وضمائرهم. وبوجه عامّ، إنّ البابا يأخذ بالاعتبار بل **ويُقدِّر دور الإنسان** في قبول إلهامات الروح في دينه، وهو **يحترم مواقفه الحياتيّة**. ولكنّه لا يغلق الإنسان على دينه، بل يفتحه على **انتظار مِلء** الوحي والحقّ، **واكتمال** الإيمان والرجاء والمحبّة، **وإتمام القلب** والضمير الحِسَّ الروحيّ الكامل. ويغمر كُلُّ ذلك في سِرِّ الله الذي يعلمه الله بل ويقوده بطُرقه السِّرِّيّة.

## عدم نِسبيّة الأديان

إنّ مرجعيّة الوحي الكامل والوحيد في شخص المسيح يجعل كلام البابا **لا يقبل أيّ نِسبيّة بين الأديان**، كأنّها تتساوى في ما بينها[٧]. لذلك قد ألحّ بلا هوادة في الثُّلاثيّة التي تلمّسناها مِرارًا:

(٧) إنّ **خطر الروح النِّسبية** هذه، لَمِن هواجس البابا بِنِدِكْتُس السادس عشر،=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فرادة وساطة **يسوع المسيح** وخلاصه/ فرادة عمل **الروح القُدس** وهو روح المسيح الذي يقود إلى المسيح/ فرادة دور **الكنيسة**، جسد المسيح السِّرِّيّ، وهي 'آية الخلاص الشامل' كما سنراه قريبًا.

## الخُلاصة

يتلخّص عمل الروح في صعيدين هُما مدار دِراستنا وتحاليلنا: **الأشخاص** مِن جِهة، **والأديان** مِن جِهة أُخرى.

* يقول أوغسطينس إنّ **الروح القدس يعمل في البشر أجمعين**، وذلك بموجب الخلق حيث كان يُرفرف مُنذ بِداية الخليقة (تك ١/ ٢). ويُمكن اعتبار هذا: «**الصعيد الطبيعي**»، حيث يعمل الروح في ضميرهم وفِطرتهم، وفي قلبهم وعقلهم، أو عن طريق شريعتهم. غير أنّ هُناك «**الصعيد الفائق - الطبيعة**» المُختصّ بالمُعمَّدين، فالروح لا **يعمل فيهم** فحسب، بل **يسكن فيهم** أيضًا، فيُصبحون هيكله[٨].

وإنّ سُكنى الروح هذه تُولِّد في المُعمَّدين **وعيهم** أنّ الروح يسكن فيهم فقط، ولكنّه يعمل في الجميع؛ كما أنّ السُّكنى هذه تُولِّد

=مُنذ كان رئيس «مجمع **عقيدة الإيمان**» (في مِثل وثيقته الربُّ يسوع) وإلى الآن، لأنّ ذلك الخطر غير وهميّ، لا سِيّما في الحِوار بين الأديان (وكذلك بين الطوائف المسيحيّة). لذا، ينبغي الوُضوح في الرؤية، بدون أيِّ التباس إرضاءً للأطراف المُتحاورة.

(٨) إلّا أنّ أوغسطينس يعتبر أن الروح لا يسكن في الهراطقة والمُنشقّين عن الكنيسة، لأنّ روح المسيح هو روح الكنيسة، فلا يسكن روح المسيح في الذين انفصلوا بإرادتهم عن كنيسة المسيح وهي جسده. ويُميِّز أوغسطينوس أخيرًا مُستوى الحياة الأبديّة حيث مِلء حُضور الله الثالوث للخلق أجمعين.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيهم **اختبارهم** سُكنى الروح وعملَه، وكذلك تدفع **عملهم** بموجب معموديّتهم. فأمّا غير المُعمَّدين، فلا يعون ذلك ولا يختبرون الروح بل قد يعملون فقط ما يُمليه الروح على ضميرهم، وذلك بدون وعي ولا اختبار مِنهم. وكذلك، إنّ المُعمَّدين يختبرون خلاص **يسوع المسيح** وسِيادته وأُخوّته، فيعونها ويختبرونها ويعملون بموجبها، على خِلاف غير المُعمَّدين. وكذلك إنّهم يختبرون أُبوّة **الله الآب** وعهده، فيعونهما ويعملون بموجبهما، على خِلاف غير المسيحيّين. فهذا هو الفرق بين هؤلاء وأولئك.

* وأمّا بشأن **الأديان غير المسيحيّة**، فإنّ الروح يعمل فيها أيضًا، من حيث بحث الإنسان عن الله، واختبار المؤسِّسين الروحيّ، ويتحقّق ذلك وإن ظلّت الأديان ناقصة بسبب النقص البشريّ. وإنّ المسيح وحده هو الطريق والحقُّ والحياة، فيُلهم الروحُ **كنيستَه** فيَ اكتشاف مِلء الحقيقة والقداسة، والإعلان والشهادة.

في ضوء ما توصّلنا إليه مِن **كريسْتولوجيا** ومِن **إبْنِفْماتولوجيا**، يُمكننا توجيه نظرنا إلى **الإكْليزيولوجيا**، ليكتمل خِطابنا اللاهوتيّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل السابع

# المُقاربة اللاهوتيّة الإكْليزيولوجيّة

## المُقدِّمة

يستمدُّ **الخِطاب اللاهوتيُّ المُختصُّ بالكنيسة** (Ekklesiologia) أهمِّيّته من كونها جسد **المسيح** وعروسه، وكذلك هيكل **الروح**، في ارتباط عُضويٍّ بكُلٍّ مِنهما، بحيث إنّ الكلام على المسيح والروح يستدعي حتمًا كلامًا على الكنيسة.

سيدور خِطابنا حول علاقة الكنيسة **بالبشر** الذين تعيش في وسطهم وتخدمهم خِدمة الخلاص. ثُمّ سنكتشف معنى كون الكنيسة «**آية الخلاص الشموليّة**» كما حدّدها المجمع. وسنتحرّى أخيرًا عن **رِسالة** الكنيسة. إلّا أنّنا سنُخصِّص في البِداية فقرة كاملة لعرض تاريخ صيغة «**لا خلاص خارج الكنيسة**» التقليديّة، ما سيُبيِّن لنا المسيرة الطويلة العويصة التي اجتازتها الكنيسة على مرِّ العُصور.

## أوّلًا - هل 'لا خلاص خارج الكنيسة'؟

لا بُدّ من شرح **تاريخ عِبارة** «لا خلاص خارج الكنيسة» المشهورة، تحاشيًا لسوء فهمها. وسنقوم بجولة تاريخيّة سريعة في أهمِّ رُوّادها في بِدايتها، وكذلك في تبديلها[1].

(١) نعتمد أساسًا في هذا العرض على المقالين الآتيين: =



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* **أوريجينُس:**

هو أوّل مَن عبّر عن الموضوع بقوله:
«خارج الكنيسة لا يخلص أحد» (في سفينة يسوع، ٣/ ٥).

* **قِبريانُس:**

هو الذي يُعتبر صاحب الصيغة كما نعرفها، بقوله:
«لن يستطيع أن يكون لأحد الله أبًا ما لم تكن له الكنيسة أُمًّا.
فلو استطاع أن ينجو أحد خارج تابوت نوح
لاستطاع أن يخلص مَن هو خارج الكنيسة»
(في وحدة الكنيسة الكاثوليكيّة، ٦).

ثُمّ تطوّرت الصيغة عن يده، فأصبحت أكثر وُضوحًا:
«لا خلاص خارج الكنيسة» (رِسالة إلى يوبيانُس، ٧٣).

وقد أيّدها أوغسطينس (عِظة إلى شعب كنيسة قيصريّة، ٦)، وهيرونيمس (رِسالة ١٥)، في الغرب. وتشدّد هُجومًا تِلميذٌ من تلاميذ أوغسطينس بجمعه المؤمنين وغير المؤمنين:
«الذين يموتون خارج الكنيسة الكاثوليكيّة الحاليّة
يذهبون إلى نار الأبديّة» (فولْجانْسِيوس الروسْبيّ، كِتاب إلى بُطرس حول الإيمان، ٣/ ٨/ ٧٩).

---

(راجع البيبليوغرافيا) * Laurent FIRMIN et Georges CHEVALLIER

(في كِتاب عادل تِيودور خوري وبيتر هوزْمان: راجع البيبْليوغرافيا) * Ludwig HAGEMAN

ويظلُّ المرجع الأساسيّ لدِراسة تاريخ تطوُّر هذه الصيغة الكنسيّة:

* Bernard SESBOÜE, SJ., «*Hors de l'Eglise pas de salut*». Histoire d'une formule et problèmes d'interprétation, Desclée de Brouwer, Paris, 2004.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

### * في القُرون الوُسطى الغربيّة

أيّد الصيغة المُتشدِّدة البابا بونيفاسيوس الثامن (البراءة البابويّة الواحدة المُقدّسة، ١٣٠٢). وبعد نفي الباباوات إلى آفينيون الفرنسيّة (١٣٠٩-١٣٧٦)، انعقد 'مجمع الاتِّحاد' في فلورنسا (١٤٤٢) طالبًا إلى اليعاقبة الموافقة على الصيغة.

### * في العصر الحديث الغربيّ

تمّت تخفيف حِدّة الصيغة في المجمع التِريدَانْتينيّ (١٥٤٧)، حيث أُقحمت الإشارة إلى «معموديّة الشوق» (Baptismus in voto)، المُختلفة عن «المعموديّة الفِعليّة» (Baptismus in re)، وامتدّت حتّى «الشوق إلى الكنيسة» (Votum Ecclesiae) الذي يسمح بالحُصول إلى نِعمة التبرير.

### * البابا بيوس التاسع

بعد ثلاثة قُرون، أدخل نظرة جديدة في الكنيسة في خِطاب رسميٍّ له:

«يجب أن نتمسّك بالإيمان بأنّه، خارج الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة، لا يُمكن أن يخلص أحد، لأنّها تابوت الخلاص الوحيد، وكُلُّ مَن لا يدخلها، لابُدّ من أنّه هالك في الطوفان. ولكن، مع ذلك، يجب الاعتقاد باليقين عينه أنّ الذين يعيشون في جهل مُطبِق للدِّيانة الحقيقيّة، لن يقع عليهم في نظر الربِّ أيُّ ذنب من هذا النوع. فمَن يدّعي أنّه يستطيع تعيين هذه الحُدود لمِثل هذا الجهل، في ما يتعلّق بخّصوصيّة وتنوُّع الشُّعوب والمناطق والطبائع وأمور كثيرة غيرها؟» (*Singulari quadam, 9-12-1854*).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأكّد ذلك في رِسالة مُوجّهة إلى أساقفة إيطاليا في ١٠/٨/١٨٦٣:

«نعلم، كما تعلمون، أنّ مَن هُم على جهل مُطبِق لدِيانتنا الجزيلة القداسة، عِندما يحفظون بعِناية الشريعة الطبيعيّة وفرائضها التي كتبها الله في قُلوب الجميع، ويكونون مُستعدّين لإطاعة الله، ويحيون حياة صالحة ومُستقيمة، يستطيعون، بعون نور الله ونِعمته، نيلَ الحياة الأبديّة» (*Quanto conficiamur moerore*).

وعلى ما يبدو، كان البابا يقصد بالإقصاء الذين يعصون بإصرار سلطة الكنيسة، وقد أعرب عن أهمِّيّة الأعمال البشريّة التي يقوم بها غير المسيحيّين بعون الله لنيل الخلاص، قاصرًا كلامه على الخلاص الفرديّ، لا بموجب دِيانة أُخرى. وقد اعتمد ذلك البابا بِندكتس الخامس عشر (*Maximum illud, 1919*) والبابا بيوس الحادي عشر (*Rerum Ecclesiae, 1928*).

## * البابا بيوس الثاني عشر

في اللاهوت المُعاصر، تُعتبر المرجعيّةَ الأُولى رِسالةُ البابا بيوس الثاني عشر جسد المسيح السرّيّ (Mystici corporis)، بتاريخ ٢٩/٦/١٩٤٣، حتّى ظُهور نصّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني نور الأُمم (Lumen Gentium).

مَن يعتبرهم البابا «أعضاء الكنيسة فِعلًا»؟ يقول:

«إنّ الوحيدين الذين يُعتبرون فِعلًا (reapse) أعضاء الكنيسة، هم الذين نالوا معموديّة التجديد، ويعترفون بالإيمان الحقيقيّ، والذين - من جِهة أُخرى - ليسوا مُنفصلين - حاشا لهم (misera) - عن مُجمل الجسد».



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فكلامه واضح في ما يتعلّق بالمُنتمين إلى الكنيسة، ويقصد الكنيسة الكاثوليكيّة. غير أنّه لا يذكر الصيغة المُتداولة قبله - «لا خلاص خارج الكنيسة» -، لا بل إنّه يؤكّد احتمال خلاص مَن لا ينتمون فِعلًا إلى الكنيسة الظاهرة:

«أن يكونوا، بشيء من التوق والتمنّي اللاواعي، مُعَدّين لجسد الفادي السِّرّيّ»،

وذلك مقرونًا بالمحبّة الخالصة. فهناك إذًا مَن هم 'فِعلًا' من الكنيسة / مَن لهم 'التوق'، وهم 'مُعَدّون بلا وعي' نحو الكنيسة ويقومون بأعمال المحبّة؛ وكِلتا الفئتين تستطيعان الخلاص. ففي نِهاية الأمر، يرفض البابا موقفي الذين يرفضون الخلاص بتشدُّد لغير المُنتمين إلى الكنيسة فِعلًا / للداعين إلى الخلاص في أيِّ دين. ولقد وضّح البابا تعليم الكنيسة هذا في رِسالة أُخرى وجّهها إلى رئيس أساقفة بُوسْطُن في العام ١٩٥٢:

«ليس من الضرورة الحتميّة أن يكون ذلك التوق صريحًا، كما الحال هو عِند الموعوظين. فإن كان هُناك أحد في جهل مُطبِق، فهو يقبل الله برغبة ضِمنيّة (implicitum votum)، وتُعتبر رغبةً لأنّ النفس تتضمّنها في ميل صالح، بفضله يسعى الإنسان لتوحيد إرادته بمشيئة الله».

الحقّ يُقال إنّ المقصودين في مُجمل رِسالة البابا هم المسيحيّون غير الكاثوليك، لا غير المسيحيّين. إلّا أنّ الانفتاح الذي أدخله البابا، مُعتمدًا على انفتاح سلفه بيوس التاسع، مهّد السبيل لانفتاح المجمع الفاتيكانيّ الثاني.

ولقد عبّر لأوّل مرّة عن واجب احترام ثقافات الشُّعوب غير



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المسيحيّة عِند إعلان المسيحيّة لها:

«تحمل في ذاتها شيئًا مسيحيًّا. وإنّ ذلك جائز بإشعاع النور الإلهيّ وقُدرة النِّعمة الإلهيّة، أن يُرفع إلى فضيلة حقيقيّة وحياة فائقة الطبيعة».

وذلك أيضًا انفتاح سيكتمل في المجمع الفاتيكانيّ الثاني.

## * البابا يوحنّا الثالث والعِشرون

في رِسالته رئيس الرُّعاة، انتقد المِحوريّة الأوروبِّيّة المُتشدِّدة:

«من المعروف أن الكنيسة لا تتماهى مع ثقافة فِكريّة مُعيّنة تزدري سائر الثقافات. [. . .] إنّ الكنيسة التي تظلُّ دومًا شابّة وتتجدّد باستمرار بنفحة الروح القُدس، هي مُستعدّة في كُلِّ وقت لأن تعترف بكُلِّ ما يُغني الإنسان فِكريًّا أو نفسيًّا، ولأن تتقبّله، بل وتُنعشه بصورة فعّالة».

هكذا لم يعُد البابا يفرض ثقافة الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة على الثقافات والحضارات غير المسيحيّة، ما سمح للمجمع بانفتاح ملحوظ في هذا المِضمار.

## * البابا بولس السادس

في رِسالته كنيسة الله، يؤكِّد أنّ المسيحيّة هي الدِّيانة الحقيقيّة الوحيدة، ثُم يُعلن:

«لكنّنا لا نُريد أن نحرم من احترامنا واعترافنا القِيم الروحيّة والأخلاقيّة الكامنة في مُختلف الأديان غير المسيحيّة».

## * المجمع الفاتيكانيُّ الثاني

ذلك ما أكّده المجمع، مُستشهدًا بكلام بُطرس لكُرنيليوس:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«إنّ مَن يتّقي الله ويعمل البِرّ، في كُلِّ زمان وفي كُلِّ أُمّة، يقبله الله» (رُسل ١٠/ ٣٥).

ويُضيف المجمع البُعد الجماعيّ في ذلك:

«إنّما شاء الله أن يُقدِّس الناس ويُخلِّصهم، لا مُتفرِّقين بدون ما ترابُط في ما بينهم، بل أراد أن يجعلهم شعبًا يعرفه في الحقيقة ويخدمه في القداسة».

ويتكوّن ذلك الشعب تدريجًا، مُنذ اختيار الله الشعبَ الإسرائيليّ، حتّى كنيسة العهد الجديد:

«هذا الشعب المِسيانيّ، وإن كان بعد لا يضمُّ في الواقع جميع الناس، ويبدو غالبًا بمظهر القطيع الصغير، إلّا أنّه، للجِنس البشريِّ برُمّته، نواةُ وحدة ورجاء وخلاص بالغةُ الفعّاليّة» (نور الأُمم، ٩).

والجديد هو اعتراف المجمع بالأديان غير المسيحيّة طريقًا مُمكنًا للخلاص (نور الأُمم، ١٦)، بيد أنّ في ما سبق كان الخلاص مُمكنًا للأفراد، بدون ذِكر دور دِيانتهم. إلّا أنّ المجمع يؤكِّد، في الوقت عينه وبدون أيِّ شكٍّ أو التباس، أنّ الخلاص يأتي بيسوع المسيح وحده (النشاط الإرساليّ، ٧). وتُصبح الكنيسة «آية الخلاص الشاملة» (نور الأُمم، ٤٨)، أي علامة الخلاص المُوجَّهة إلى العالم أجمع، بل وتحقيق الخلاص أيضًا. وقد أصبحت تلك الصيغة الجديدة عِوضًا عن «لا خلاص خارج الكنيسة».

ويُتابع المجمع في توضيح نوعيّة علاقة غير المسيحيّين بالكنيسة بالقول:

«إنّ جميع البشر مدعوُّون (vocantur) إلى وحدة شعب الله



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الجامعة التي ترمز إلى السلام الشامل وتحثُّ عليه. وينتمي (pertinet) إلى تلك الوحدة أو يُتوجَّه نحوها (ordinantur)، بطُرق مُختلفة، المؤمنون الكاثوليك وسائر المؤمنين بالمسيح، وأخيرًا، بوجه عامّ، جميع البشر بلا استثناء المدعوّين بنِعمة الله إلى الخلاص» (نور الأُمم، ١٣).

وجدير بالمُلاحظة من حيث **العِبارات** المُستعملة، أنّ جميع البشر '**مدعوّون**'، وذلك بطريقتين مُختلفتين: إمّا بـ - '**الانتماء**' إلى الكنيسة، وإمّا بـ'**التوجُّه**' نحوها. كما يُلاحظ أنّ التعبير عن الكنيسة ليس الكنيسة 'الكاثوليكيّة'، بل 'شعب الله'، في 'وحدة جامعة (أو كاثوليكيّة)'.

ومن حيث **المضمون**، يجب المُلاحظة أنّ كُلّ إنسان صالح هو، بنِعمة الله، مُتّجه نحو الانفتاح على الآخرين في حركة تجمُّع بشريّ. وتعتبر الكنيسة أنّ ذلك تحديدًا ما يؤسِّسها كنيسةً تجمع البشر:

«أمّا الذين لم يقبلوا الإنجيل بعد، فإنّهم **مُتّجِهون نحو شعب الله بطُرق مُختلفة**» (نور الأُمم، ١٦).

ويجب الإشارة إلى صعيدين مُتكاملين في ذلك الحديث: من جِهة، **الصعيد الفرديّ**: أعضاء الكنيسة بالانتماء أو التوجُّه؛ ومن جِهة أُخرى، **الصعيد الجماعيّ**: دور الكنيسة في تجميع البشر. وسوف يُحدِّد البابا يوحنّا بولس الثاني ذلك التوجُّه، مُعتبرًا أنّه يُعبِّر عن «**علاقة سِرِّيّة بالكنيسة**» (خُطبة في الكرادلة، في ٢٢/ ١٢/ ١٩٨٦).

## ثانيًا - علاقة الكنيسة بالبشر

إنّ تجديد مفهوم الكنيسة في القرن العِشرين، مُنذ البابا بِيوس الثاني عشر وحتّى المجمع الفاتيكانيّ الثاني، قد أبرز أهمِّيّة مفهوم



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«**الجسد السِّرِّيّ**» الذي لم يعُد يحصر الكنيسة في إطار مُجتمع بشريٍّ يجمع أعضاء مُنتمين إليه، بل يشمل أيضًا جميع الذين، من قريب أو من بعيد، ينتمون إلى المسيح بدرجات مُتفاوتة وبطريقة «**مُبعثَرة**» (بحسب تعبير يوسْتينوس)، بقدر ما يشترك دينهم في جُزء من «**الحقّ والقداسة**» (بحسب تعبير المجمع). وإنّ الحقّ هُنا هو ما في عُمق الإنسان من حقيقة دفينة في باطنه تتعدّى الانتماء الدينيّ الظاهر؛ كما أنّ القداسة تتعلّق بقداسة السيرة، ويخصُّ الكِتابُ المُقدَّس بالذِّكر «ذوي الإرادة الصالحة».

ويروق لنا أن نستشهد بنصِّ البيان في الحُرِّيّة الدينيّة، وهو يُعبِّر خير تعبير عمّا نحن بصدده:

«تتطلّب الحُرِّيّة الدينيّة حُرِّيّة الجماعات الدينيّة في التعبير بحُرِّيّة تامّة عن قُوّة مُعتقدها الخاصّ **بتنظيم المُجتمع** أو **في إحياء النشاط الإنسانيّ** أجمعه» (كرامة الإنسان، ٤، راجع أيضًا: فرح ورجاء، ٣١).

بشرط أن يؤول ذلك إلى الصالح العامِّ المبنيِّ على العدالة. ويُثير ذلك للكنيسة تطلُّبًا مُزدوجًا طالما أوضحناه في كلامنا:

«تتمثّل رِسالتها
في أن تُعبِّر عن **الحقيقة وهي المسيح**. [...]
وفي الوقت عينه
تُقرُّ وتُثبِّت النِّظام الأدبيّ النابع من **طبيعة الإنسان** نفسها» (كرامة الإنسان، ١٤).

ذلك بأنّ **إيمان الكنيسة بالمسيح** يدفعها إلى **الإيمان بالإنسان** الذي تتعامل معه وتخدمه. فمِن حقِّها، بل ومن واجبها، في الحِوار:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* أن **تشهد للمسيح علانيةً**، وبشفافيّة وصراحة، وبدون حياء ولا خوف؛

* وفي الآن عينه أن **تشهد لقِيمة الإنسان** في حدِّ ذاته، أيًّا كان مُعتقده ودينه، بدون مُمارسة أيِّ لون من ألوان الضغط، بل باحترام إيمانه المُختلف احترامًا إنسانيًّا كاملًا؛

* **واثقةً كُلّ الثِّقة بالمُتحاور** معها، أنّه سيتحلّى بالروح عينها في ما يتعلّق بإيمانه بالله وثِقته بالإنسان.

وإنّ **حِوار الأديان المرجوّ** في الكنيسة هو بالتمام ذلك الحِوار الذي يسعى ليُميِّز ويكتشف ما في دين الآخرين من «حقٍّ وقداسة»، أيًّا كان شكل هذا الحِوار: الحِوار الحياتيُّ أو الروحيُّ أو الفِكريُّ أو الخِدميُّ أو الدينيّ. ويكون هكذا قد شهد حقًّا للمسيح وللإنسان شهادة حياتيّة فِعليّة.

## ثالثًا - الكنيسة «آية» خلاص البشر أجمعين

يهمُّنا أن نتجوّل في العهد الجديد لنجني منه ما يُفيد بالقول الذي أكّده المجمع الفاتيكانيُّ الثاني، وهو أنّ «**الكنيسة آية الخلاص**».

### الكنيسة وواجبها الإعلانيّ

إنّ **خلاص** غير المؤمنين بالمسيح وغير المُعمَّدين وغير المُنتمين إلى الكنيسة لا يعني على الإطلاق **عدم ضرورة** الإيمان بالمسيح والمعموديّة والانتماء إلى الكنيسة. فوصيّة يسوع واضحة ولا تقبل أي تنصُّل عن الكِرازة:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«اِذهبوا . . . **وعمِّدوهم** . . .» (متّى ٢٨/ ١٩، مر ١٦/ ٥، رُسل ١/ ٨ . . .).

هكذا فإنّ **إعلان الكنيسةِ يسوعَ** المسيح لَواجب عليها ولا يُمكنها أبدًا أن تتهاون في حقِّه. لذلك اعتبره بولس

«فريضةً لابُدّ منها»،

وهتف:

«الويلُ لي إن لم أبشِّر» (١ قور٩/ ١٦).

وبالفعل، إنّ **الله يُحمِّل المُعمَّدين مسؤوليّة إعلان البُشرى**، سواء بإعلان الكلمة أو بشهادة الحياة. ويوم الدينونة سوف يُحاسبهم تعالى على أمانتهم تُجاه تلك المسؤوليّة الرهيبة.

وإذا تساءلنا: **لماذا حمّل يسوع المسيح المُعمَّدين رسالة الكِرازة؟** وجب علينا أن نفهم أنّ **الله يُريد دائمًا إشراك البشر في الخلاص والبُشرى**. فكان بوُسعه أن يُخلِّصهم بكلمة مِنه وحده، كما خلقهم وخلق العالمين، غير أنّه يستعين بالبشر لإعلان الخلاص والسعي لخلاص العالم. فالمسؤوليّة الرهيبة التي يعهد بها إلى المُعمَّدين هي في الوقت نفسه «مفخرة» لهم، بحسب تعبير بولس (١ قور ٩/ ١٥)، ولكن لا للتفاخر الباطل (راجع ما قيل في روم ١١/ ١٧-٢١). فالمسيح يضع مصيره بين أيديهم، واثقًا بهم وبغِيرتهم في أن يُعلنوه ويشهدوا له.

فمن الخطإ إذًا طرح سؤال ضرورة الإيمان بالمسيح والمعموديّة والانتماء إلى الكنيسة بهذه العِبارة: «ما هي **منفعتها** ما دام الجميع يخلصون؟» بل يجب طرحه بعِبارة **واجب رِسالة**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**الإعلان والشهادة**. وليست المعموديّة **فرضًا** - كما يظنُّه بعضهم - بقدر ما هي **امتياز** مجّانيٌّ يهبه الله للمسيحيّين، ويقول المجمع الفاتيكانيُّ الثاني فيه

«ليذكر جميع أبناء الكنيسة أنّ وضعهم المُتميِّز لا يرجع إلى استحقاقهم له، بل إلى نِعمة خاصّة مِن لدن المسيح. فإذا لم يتجاوبوا معها فِكرًا وقولًا وفِعلًا، فلا يخلصون، وسوف يُدانون بقسوة أشدّ» (نور الأُمم، ١٤).

وعِندما نال الوثنيّون الروح قبل نيلهم المعموديّة - ويُشير ذلك الحدثُ إلى مُطلق **حُرِّيّة الروح**، فالروح يهبُّ حيثما يشاء، وإلى قصد الله في خلاص غير المُعمَّدين - قال بُطرس:

«أيستطيع أحد أن يمنع هؤلاء من ماء المعموديّة؟» (رُسل ١٠/ ٤٧).

«مَن أكون أنا لأحُول بينهم وبين الله؟» (رُسل ١١/ ١٧).

فالمعموديّة **امتيازُ** علاقةٍ مُميّزة بالله، **وحقٌّ** في الانتماء إلى شعب الله المُخلَّص. فشتّان بين هذه النظرة الإيجابيّة إلى المعموديّة، ونظرة الفاترين الذين يتساءلون: لماذا المعموديّة إن كان الجميع يخلصون؟ غير أنّ هذا الامتياز وهذا الحقّ هما **رسالة** رهيبة أيضًا، وهي تتطلّب تواضعًا عظيمًا، كما أسلفنا قوله.

## إشراك اللهِ الكنيسةَ في خلاص جميع البشر

فهُناك إذًا **عمل الله الخلاصيّ**؛ وهُناك **رِسالة الكنيسة**، حيث إنّه يُشركها في عمله. إنّ الله هو سيِّد تاريخ البشريّة، وإنّه يدعو الكنيسة إلى أن تجذب البشر نحو هذه السِّيادة عن طريق الإعلان والشهادة. إنّ الله يدعو جميع البشر إلى خلاصه بصوت الكنيسة وبعملها وسعيها.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وبعِبارة أُخرى، إنّ الكنيسة «**آية**» (Sacramentum) **خلاص العالم أجمع**. فإن كان الله قد **خلّصها**، فلكي تشترك معه في خلاص المسيح نفسه (قول ١/ ٢٤)، كونها قد نالت الخلاص بإيمانها بيسوع المسيح واعتمادها باسمه، هي **عُربون** خلاص العالم بأسره، **وباكورة** خلاص البشريّة أجمعها. إنّ **خلاص بعضهم هو من أجل خلاص الجميع**. إنّ الكنيسة «آية» بتمام معنى الكلمة، أي أنّها **تُشير إلى الخلاص وتُحقّقه** في آن واحد: إنّها تُشير إليه بقدر ما هي عُربون وباكورة؛ وإنّها تُحقّقه بقدر ما هي تشترك مع سيِّدها ورأسها وعريسها في خلاص البشر كُلِّهم عن طريق إعلان البُشرى والشهادة للمسيح والتعميد. فلو لم تكن الكنيسة، لما وصل خلاص يسوع المسيح إلى البشر، بل لنقص كما يقول بولس. بهذا المعنى يُمكن القول بأنّ **الكنيسة ضروريّة لخلاص العالم**، ومِن ثمّ: «لا خلاص في خارج الكنيسة»: لا بمعنى أنّه لا خلاص للذين لا ينتمون إلى الكنيسة[٢]، بل **الخلاص يصل إلى جميع البشر مِن الله عن طريق الكنيسة**، كونها مجرى وقناة للخلاص، لأنّ الله - مُنذ تجسُّد ابنه - يتعامل مع البشر عن طريق البشر. فإن كان غيرُ المؤمنين وغير المُعمَّدين يخلصون، فلأنّ الكنيسة «آية» هذا الخلاص، أي عُربون له وباكورة لهم مِن جِهة، ومُحقِّقة إيّاه برِسالة الخلاص عن طريق الإعلان والشهادة والتعميد مِن جِهة أُخرى.

(٢) يقول أوغسطينس في ردِّه على دوناتُس بصدد المعموديّة (الجزء الخامس ٢٨، ٢٩): إنّ عِبارات مِثل «في داخل الكنيسة، أو في خارجها، أو في روح الكنيسة»، يجب ألّا تُفهَم جسديًّا. وهذه الفِكرة واردة كثيرًا في سائر مؤلّفات أوغسطينس.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## رابعًا - رِسالة الكنيسة

وإذا انتقلنا إلى البابا يوحنّا بولس الثاني، وجدناه يُعالج ثلاث قضايا مُتعلِّقة برِسالة الكنيسة: بين **الحِوار والإعلان**؛ بين **التمييز والبحث عن الحقيقة**؛ **ضرورتها للخلاص**.

### ١ - الكنيسة بين الحِوار والإعلان

إنّ **الكِرازة** هي، في نظر البابا، مِن ثوابت رِسالة الكنيسة، بموجب وصيّة الربِّ القائم:

«اِذهبوا، وتلمذوا جميع الأُمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القُدس» (متّى ٢٨/ ١٩).

وإنّ البابا يُظهر بوجه خاصٍّ **دور الروح القُدس، ربِّ الرِّسالة**، كما أنّه يُبيِّن كيف أنّ الحِوار والرِّسالة يتماشيان معًا. إن كان البابا بولس السادس قد أظهر بوُضوح دور الروح في رِسالته إعلان الإنجيل، إلّا أنّ دوره هذا قد تثبّت لدى البابا يوحنّا بولس الثاني في وثيقته رِسالة الفادي، وكوَّن عصبها العقائديّ، حتّى إنّ فصلها الثالث يُبرز ما يُميِّز فِكره الشخصيّ في هذا الصدد، حيث إنّ الروح هو صانع الكِرازة الجديدة كما نادى بها الباباوان. وإنّ الروح عينه يدفع البابا إلى أن **يتحاور مع أعضاء الأديان غير المسيحيّة**. ذلك بأنّه لا يرى أيّ تناقض بين الكِرازة بالمسيح والحِوار بين الأديان، كما عبّر عنه في لِقاء ٩/ ٩/ ١٩٩٨:

«إنّ **موقف الاحترام والحِوار** هو بمثابة اعتراف حقيقيٍّ بـ 'بُذور الكلمة' وبـ 'أنّات الروح'. ومِن ثَمّ، فعِوض أن يُناقض ذلك الموقفُ **الكِرازةَ بالإنجيل**، إنّه يُهيِّئها، في انتظار أزمنة الاستعداد لقبول رحمة الربّ».



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يرى البابا إذًا أنّ تضافر **'البُذور'/ 'الأنّات'** يشهد أنّ عمل الله يستمرُّ في مُختلف الشُّعوب والثقافات والأديان. كما أنّه يرى، في الوقت عينه، وبدون أيِّ انفصال، أنّ الجِنس البشريّ **ينتظر** سِرِّيًّا، انتظارَ الأُمِّ التي تتمخّض، مِلءَ وحي الله في يسوع المسيح. هكذا، فإنّ الحِوار والرِّسالة يتّحدان، ولكنّهما لا يختلطان بعضهما ببعض. وإنّ الحِوار هو بمثابة جُزء لا يتجزّأ من رِسالة الكنيسة الكِرازيّة، حيث إنّه يُعزِّز ويُهيِّئ مِلء تجلّي أبناء الله (روم ٨/ ١٩). وإنّ الكنيسة تتقبّل، عبر الحِوار، أنّات البشريّة وتطلُّعاتها، وكذلك بُذور حُضور الله. وعليه، فإنّها تُواجه جميع تساؤلات البشريّة، مِن نشأتها إلى غايتها، مُرورًا بقِيَمها.

وما يُذكر أنّ مصدر ذلك الحِوار إنّما هو **الروح القُدس** الذي يعمل في **داخل الكنيسة** وفي **خارجها**، بين الأعضاء المُنتمين إليها والمُنتمين إلى سائر الأديان. ففي الكنيسة، إنّ الروح يدفعها إلى الكِرازة وإلى الحِوار في آن واحد؛ إنّه يحثُّها على الرِّسالة ويُمهِّد طريق إعلان المسيح:

«إنّ **الروح** يعمل عِندما يُحيي **الكنيسة** ويدفعها إلى الكِرازة بالمسيح، أو عِندما يسكب ويُنمّي الروحُ عينُه هِباتِه في **جميع البشر والشُّعوب**، حاملًا الكنيسة على اكتشاف هذه الهِبات، وعلى تعزيزها، وعلى تقبُّلها عن طريق الحِوار. ينبغي تقبُّل أيِّ وجه من وُجوه حُضور الروح، بتقدير وعِرفان؛ غير أنّ التمييز يقع على عاتق الكنيسة التي منحها المسيحُ الروحَ ليُرشدها إلى الحقِّ كُلِّه (يو ١٦/ ١٣)» (رِسالة الفادي، ٢٩).

نستنتج من هذا الكلام أنّ ثمّة **حقيقتين** يجب عدم فصلهما، وفي الوقت عينه **عدم** خلطهما: عمل الروح **في الكنيسة**/ عمله في



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**الواقع البشريّ**؛ وذلك بالتحديد ما يُبرِّر **حِوارًا** مُنفتحًا واسعًا بَنّاء. وفي خِضمِّ هذا الحِوار، على الكنيسة أن تتيقّظ باستمرار في آن واحد إلى رِسالتها الفريدة، وإلى هِبات الروح في كُلِّ شعب وثقافة ودين. على الكنيسة ألّا تتقوقع على ذاتها كفي بُرج عاج، ما يعني إنكارها عملَ الروح في خارجها؛ وفي الوقت عينه، عليها ألّا تقبل القِيَم الروحيّة في خارجها بدون تمييز، ما يعني فُقدان خصوصيّتها وفرادتها. إنّ روح **التمييز** هذه ثمر الروح القُدس في الكنيسة.

## ٢- الكنيسة بين التمييز والبحث عن الحقيقة

لقد أنعم المسيح بمِلء الروح على كنيسته، حتّى يتسنّى لها أن **تُميِّز بين القِيَم**. ويتمُّ ذلك التمييز باحترامها الكامل كُلّ شعب وثقافة ودين: فمِن جِهة، يسمح لها بتمييز أن تتلمّس ما في الظاهرة الدينيّة مِن نقص والتباس وخطأ، لِما في المؤسّسات الاجتماعيّة والدينيّة من وسم الخطيئة؛ ومِن جِهة أُخرى، يجعلها تتيقّظ إلى قُدرته وهو يبذر في قلب الإنسان قبسًا مِن شُعاع الحقِّ الذي يُنير كُلّ إنسان. لذا، ينبغي لها ألّا تتجاهل النِّعمة الإلهيّة، ولا الضُّعف الكامن في الأشخاص وفي مؤسَّساتهم:

«أليس ذلك الموقف المُنفتح، بتواضع وثِقة، جعل المجمع الفاتيكانيّ الثاني يُلازم **'قِراءة علامات الأزمنة'**؟ إنّ الكنيسة، مع خوضها في تمييز مُتيقِّظ يُلاحظ 'علامات حقيقيّة مِن حُضور الله أو قصده'، تعترف بأنّها لم تُعطِ فحسب، بل 'أخذت أيضًا مِن تاريخ الجِنس البشريِّ ومِن تطوُّره'» (قُدوم الألفيّة الجديدة، ٥٦).

يُثير كلام البابا تساؤلًا لاهوتيًّا حقيقيًّا: كيف **'تأخذ' الكنيسة** مِن غيرها الذين لا يتنعّمون بنور المسيح، مع أنّها حافظة «وديعة



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإيمان»؟ هل الوحي المسيحيُّ بحاجة إلى اكتماله بأديان أُخرى؟ كلّا بالطبع. ولكنّ الروح الذي «يهبُّ حيثما يشاء»، ولا سِيّما في الأديان، يُمكنه أن يدفع تلاميذ المسيح إلى تقبُّل قِيَم وحقائق يحملونها بالفِعل في داخلهم:

«ليس مِن النادر أنّ روح الله، الذي 'يهبُّ حيثما يشاء' (يو ٣/ ٨)، يُوضِّح في الخِبرة البشريّة الشاملة، بالرغم مِن جميع حُدودها البشريّة، **علاماتٍ مِن حُضوره**، ما يدفع تلاميذ المسيح أنفسهم إلى أن يُدركوا إدراكًا أعمق الرِّسالة التي يحملونها» (المرجع نفسه).

مِن البديهيِّ أنّ البابا لا يقصد إطلاقًا أنّ الأديان والثقافات تأتي بالجديد **للوحي المسيحيّ**، بل أنّها تستطيع أن تكون فُرصة **للمسيحيّين** بأن يتعمّقوا في الحقّ، ذلك بأنّ الكنيسة ستظلُّ تتعمّق في إيمانها حتّى انقضاء الدهر، ويقصد البابا أن **تتتلمذ الكنيسة للروح القُدس**، إذ يُثبِّتها في الحقيقية، ويجعلها تبحث عنها باستمرار حتّى بُلوغها. إنّما الحقُّ هو المسيح نفسه الذي يُعلن صلاحَ الآب في قُوّة الروح. وتتجلّى قُوّة الروح، لا في **مِلء الحقيقة** المسيحيّة فحسب، بل في «**فُتات**» حقيقة الحضارات والأديان أيضًا، ذلك بأنّ يسوع، وقد حاور المرأة الفينيقيّة، عبّر عن «إيمانها العظيم» (متّى ١٥/ ٢٨). إنّ ذلك يدفع المسيحيّين إلى مزيد مِن التجديد والتعمُّق، ومِن إدراك الكنز الذي ينعمون به[٣].

(٣) قارِنْ بما قاله الكاردينال والْتِرْ كاسْبِرْ: «في ذلك الحِوار، لسنا مُعطين فحسب، بل مَن يتعلّمون ويتقبّلون، لأنّ هذا الحِوار يسمح لنا بأن نُدرك مِلء السِّرِّ كُلِّه الذي مُنح لنا في يسوع المسيح، في طوله وعرضه وعُلوِّه وعُمقه» (أف ٣/ ١٨) («شُموليّة المسيح والحِوار بين الأديان»، السنة ٢٠٠١).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويُحدِّد البابا بدِقّة لا مُتناهية حاذقة **علاقات الكنيسة بالعالم**، استنادًا مِنه إلى ثلاثة مقاطع من الدُّستور فرح ورجاء (٤، ١١، ٤٤): إنّ الكنيسة، خادمة الحقّ، تستقبل «علامات الأزمنة» التي تشهد على دوام قصد الله في تاريخ البشر؛ وبالرغم مِن ذلك، فعليها أن تُميِّز تمييزًا دقيقًا، مُتقِنًا، صبورًا (راجع رِسالة ٦/ ١/ ٢٠٠١).

ويضرب البابا مثلين في تعليم ٢١/ ٤/ ١٩٩٩. إنّ الإسلام الذي يُركِّز على **تسامي الله** المُطلق، يفسح المجال للكنيسة بأن تختبر التسامي **اختبارًا شخصيًّا حميميًّا في حياة الثالوث**؛ وإنّ الأديان الآسيويّة التي تُركِّز على السِّرِّ الإلهيّ، تفسح المجال للكنيسة بأن تُقدِّر تفوُّق الله على الفِكر البشريِّ وجميع تصوُّراته.

### ٣ - ضرورة الكنيسة للخلاص

إنّ **مُنطلق فِكر البابا** في ما يتعلّق بالخلاص، مُزدوج:

«إمكانيّة خلاص جميع البشر **في المسيح** إمكانيّة حقيقيّة و**ضرورة الكنيسة** للخلاص» (رِسالة الفادي، ٩).

كيف التوفيق بين دور الكنيسة الأساسيِّ وإمكانيّة الخلاص مِن خارجها؟ يكمن ردُّه في **الارتباط بالكنيسة ارتباطًا سِرِّيًّا**، حيث إنّ غير المسيحيّين

«يعيشون في ظُروف اجتماعيّة وثقافيّة لا تسمح لهم بذلك، وكثيرًا مِنهم قد تربّوا في أديان مُختلفة. لأجلهم، إنّ الخلاص مفتوح بموجب **نِعمة** لها صِلة سِرِّيّة **بالكنيسة**، ولكنّها لا تُدخلهم فيها شكليًّا، بل تُنيرهم **بطريقة تُناسب وضع عقليّتهم ونمط حياتهم**. إنّ تلك النِّعمة تأتي من **المسيح**، وهي ثمر ذبيحته، يمنحها **الروح القُدس**، وهي تسمح لكُلِّ واحد أن يصل إلى الخلاص **بتعاونه الحُرّ**» (رِسالة الفادي، ١٠).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ عناصر فِكر البابا هي إذًا رُباعيّة: **غير المسيحيّ** / وهو في **علاقة** سِرِّيّة بالمسيح والروح والكنيسة / **يتجاوب** مع الله / في إطار **دينه**.

وتُثير علاقة غير المسيحيّين بالكنيسة تساؤلًا آخر: **كيف تقوم الكنيسة بدورها إزاء أشخاص يجهلونها**، بل وينبذون وُجودها، أو ينتقدونها، أو يُحاربونها؟ يكمن ردُّ البابا في أنّ الكنيسة **ضرورة سِرِّيّة** (المسيح طريق الخلاص للجميع، ١٩٩٥، ص٦٢١). إنّ ذلك الوجه السِّرِّيّ سِرٌّ للكنيسة نفسها ولغير المسيحيّين أيضًا. فالكنيسة تتقارب مع ذلك السِّرِّ إذ تتقبّل سِرّ نِعمة المسيح في فِصحه، ذلك بأنّه تعالى قد شاء أن **يجعل جسده آية شاملة للخلاص**، بقُوّة روحه القُدُّوس (نور الأُمم، ١؛ الربّ والمُحيي، ٦٤). إنّ الكنيسة حاضرة حُضورًا سِرِّيًّا، لا عرضيًّا، لغير المسيحيّين عِندما يتعاونون مع الله في عرضه الخلاصَ عليهم. إنّ وساطتها حقيقيّة وضروريّة، وإن كانت ضِمنيّة (فرح ورجاء، ٢٢/ ٥). وهي تقوم بخِدمة الخلاص عن طريق وسائل مرئيّة وغير مرئيّة: شركة القِدّيسين، الصلاة، رِسالة الكِرازة، سِرِّ الفصح، الأسرار، وكُلُّها تُثمر ثمر الخلاص للبشريّة قاطبة. وإنّ الروح لا ينفكُّ يفتح الكنيسة على رِسالتها الشاملة، 'الكاثوليكيّة'.

والكنيسة، في رِسالتها تُجاه البشر، هي بمثابة قُوّة دافعة نحو **ملكوت الله**:

«إنّ **الكنيسة آية الخلاص** لأجل البشريّة جمعاء، وإنّ عملها لا يقتصر على مَن قبلوا البُشرى. إنّها قُوّة دفع على مسيرة البشر نحو الملكوت الأخيريّ. إنّها علامة القِيَم الإنجيليّة في وسط البشر، بل إنّها تُعزِّزها» (رِسالة الفادي، ٢٠).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويُوضِّح البابا أنّ بُذور **ملكوت الله** لكي تكتمل على وجه الأرض في **خارج الكنيسة**، هي حتمًا مُرتبطة **بملكوت المسيح** (المرجع نفسه). لذا، فإنّ الكِرازة هي الخِدمة الأُولى التي تؤدّيها الكنيسة للبشريّة، لأنّ غِنى المسيح الذي لا يُسبَر غورُه مُوجَّه إلى كُلِّ إنسان. لذلك فإنّ كُلّ قلب بشريٍّ ينتظر تجلّي محبّة المسيح؛ ومَن يجهل المسيح بدون خطإٍ مِنه هو في حالة مِن الظلام ومِن النقص الروحيّ، ما يُعرقل نُموّه الثقافيّ والأخلاقيّ بدون أن يُدان (المسيح طريق الخلاص للجميع، ص٦٢١). ذلك ما جعل البابا يتوجّه إلى أساقفة آسيا بقوله:

«بالرغم من أنّ الكنيسة تعترف، بطيبة خاطر، **بما هو حقٌّ ومُقدَّس في التقاليد الدينيّة** الكامنة في البوذيّة والهِندوسيّة والإسلام، انعكاسًا من ذلك الحقِّ الذي يُنير جميع البشر، غير أنّ ذلك لا يُقلِّل من واجبها وتصميمها على **الكِرازة بيسوع المسيح**، وهو 'الطريق والحقُّ والحياة' (يو ١٤/٦)، كِرازة بلا تردُّد. [. . .] إنّ كون أعضاء سائر الأديان يستطيعون تقبُّل نِعمة الله والخلاص بالمسيح بوسائل خارج الوسائل الاعتياديّة التي أسّسها، لا يلغي دعوته تعالى إلى الإيمان والمعموديّة التي يشاؤهما لجميع الشُّعوب»

(نذّدوا بشُرور المُجتمع، ومع ذلك أعلِنوا الإنجيل لجميع الثقافات، رِسالة إلى أساقفة آسيا، ١٩٩٠، ص٨٤٩-٨٥٠).

هكذا، فإنّ **بحث غير المسيحيّين عن المُطلق**، ومصدرُه هو الروح، **تُرافقه شهادةُ الكنيسة ليسوع المسيح**، ذلك بأنّها ليست وسيلة خلاص مِن ضِمن وسائل أُخرى، بل هي التي تُعلن بُشرى خلاص يسوع المسيح. وليست المعموديّة وسيلة اختياريّة، بل سِرٌّ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يُشرك كاملًا في الخلاص؛ لذا فمن الخطإ اعتبار
«الرِّسالة تُجاه أتباع أديان أُخرى مُجرَّد مُساعدتهم على أن يكونوا أتباع تلك الأديان بطريقة أفضل» (المرجع نفسه).

## الخُلاصة

يُمكننا **تلخيص فِكر البابا** في ما يتعلّق بالكنيسة في النِّقاط التالية:

* بِناء على تعليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني، إنّ الكنيسة هي «**آية الخلاص**»، ومِن ثمّ فإنّها ضروريّة للخلاص، وهي الطريقُ الاعتياديُّ لنيله، كما قصده الله.

* إلّا أنّ **لكُلِّ إنسان ارتباطًا سِرِّيًّا بالكنيسة**؛ وذلك الارتباط غير مرئيٍّ وغير شكليّ؛ ويأتيه خلاص يسوع المسيح عبرها، بعمل الروح القُدس.

* لا يمنع ذلك من أن **تُعلن الكنيسة يسوع المسيح**، طِبقًا لوصيّة المسيح القائم بالذِّهاب إلى الخلق أجمعين.

* وثمّة عِبارة شاملة تُلخِّص خير تلخيص فِكر البابا:
«إنّ سائر **الأديان** تُمثِّل تحدِّيًا
للكنيسة في أيّامنا
فإنّها تحثُّها على اكتشاف علامات حُضور **المسيح**
وعمل **الروح القُدس**
وعلى الاعتراف بها، وتحثُّها أيضًا على التعمُّق في هُويّتها
وعلى الشهادة لسلامة الوحي الذي أُودِعتْه لخير **الناس**»
(رِسالة الفادي، ٥٦).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيتضمّن ذلك الكلام جميع الأقطاب المعنيّة في فِكر البابا والتي نادى بها باستمرار: الكنيسة (ورِسالتها)/ وسائر الأديان، المسيح/ والروح، وكُلُّ ذلك لصالح «الإنسان، طريق الكنيسة» (فادي البشر، ١٣).

## الخُلاصة

نختم حديثنا بقول أُرثوذكسيٍّ مُعاصر يُعبِّر، بأُسلوبه، عن علاقة الكنيسة بالخارجين عنها:

«نحن نعرف أين **توجد** الكنيسة
ولكن لم يُعطَ لنا أن نُلقي حُكمًا فنقول أين **لا توجد**».

فنُطبِّق قوله هذا على قضيّة خلاص غير المسيحيّين:

«نحن نعرف **مَن هم الذين يُخلَّصون**
ولكن لم يُعطَ لنا أن نُلقي حُكمًا فنقول
**مَن هم الذين لا يخلَّصون**».

Paul EVDOKIMOV



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثامن

# تفاعُل الكنيسة مع سائر الأديان والمُعتقدات والتقاليد

## المُقدِّمة

سنعرض أوّلًا **إشكاليّة التفاعُل**، لا سِيّما بعرض تيّار لاهوتيٍّ جديد، وهو «الخِطاب اللاهوتيُّ بالمُقارنة»، ما سيسمح لنا بأن نقوم بجولة عمليّة في **أقطاب مُختلفة** تفاعلت معها الكنيسة على مرِّ تاريخها، ولا تزال تتفاعل معها اليوم.

## أوّلًا - الإشكاليّة

نسعى لأن نرسم **إطار الفِكر اللاهوتيِّ** الذي ينبغي له أن يأخذ بالاعتبار ما يُحيط بالكنيسة من أديان ومُعتقدات ومُمارسات مُختلفة على مرِّ العُصور، كي تتّعظ به اليوم، وذلك على مُستويين مُتكاملين: البُعد الدينيِّ العقائديِّ والمؤسّسيِّ بحدِّ ذاته، والبُعد التاريخيِّ في العلاقات. وفي سبيل ذلك، نتجوّل في مُختلف الأديان والمُعتقدات والتقاليد.

هذا وقد نشأ في أواخر القرن العِشرين، بفضل جوّ التعدُّديّة الثقافيّة والفِكريّة والدينيّة، بل والعوْلمة، تيّار «**الخِطاب اللاهوتيِّ بالمُقارَنة**» (Théologie comparative)[1] وهو يتضمّن اتِّجاهين:

(١) فضّلنا لفظ «بالمُقارنة» (comparative) على «المُقارَن» (comparée)=



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

دِراسة أوجه الشبه/ الاختلاف بمُقارنة الأديان من جِهة، والعودة إلى الدين الشخصيِّ من جِهة أُخرى.

١ - **دِراسة** عناصر مُحدَّدة من دين مُختلف، مِثل: الوحي والكِتاب، والخلق والعقائد، والإنسان والجماعة المؤمنة، والتقويّات والطُّقوس والرُموز...، كما يعيشها المُنتمون إليها. ومُقارنة ذلك بمضمون الدين الشخصيِّ في المواضيع عينها المُحدّدة، في أوجه الشبه والاختلاف مع تحاشي التعميم، بل بمُراعاة تدقيق النظر.

٢ - **العودة إلى الدين الشخصيِّ**، وهي تُثمر الثمر الآتي:

* الاغتناء بنظرة مُجدَّدة إلى الآخر المُختلف. وكثيرًا ما يكتشف الباحث أنّه كان ضحيّة آراء مُسبقة خاطئة أو مُضخَّمة عن الآخر.

* التعمُّق في الدين الشخصيِّ بفضل المُقارنة مع الآخر المُختلف، ما قد يؤدّي

+ إمّا إلى **دمج** ما يُمكن دمجه بروح الكاتب الأمين التي يأخذ من القديم والجديد (متّى ١٣/ ٥٢)؛

+ وإمّا إلى **تطهير** ما كان يبدو أنّه جوهريٌّ في الإيمان الشخصيِّ، فاتّضح، بفضل المُقارنة، أنّه غير ذلك؛

+ وإمّا إلى **رفض** ما يجب رفضه، أمانةً للدين الشخصيّ، إن اتّضح أنّ هُناك تعارضًا إيمانيًّا.

=للتشديد على آليّة المُقارنة بصِفتها عمليّة 'ديناميّة' يقوم بها اللاهوتيّ، ما لا يُدلي به لفظ «المُقارَن» وهو أكثر عمليّة 'إسْتاتِيّة'. ولقد اعتمدنا في عرض هذا التيّار اللاهوتيِّ على مقال Jacques SCHEUER, SJ (راجع البيبْليوغرافيا).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأمّا **الأخطار الواجب تجنُّبها**، فنذكر منها خطرين:

١ - في جوّ من **الأُحاديّة** (Unicité)، حيث التركيز على **الهُويّة** (Identité)، ثمّة التقوقع على الذات والتمسُّك المُتشدِّد بالهُويّة الشخصيّة، والدِّفاع عن النفس، وذلك معروف **بالنزعة 'الاحتوائيّة'** أو **'الانضِماميّة'** (inclusive) لأنّها تنظر إلى الآخر من زاوية الذات، فتحتويه وتضمُّه إلى صرحها الدينيّ، وتعتبره من ضِمن الذات، ولا مُختلفًا عنها. وفي السِّياق نفسه، ثمّة **النزعة 'الحصْريّة'** أو **'الطرْديّة'** (exclusiviste) التي تحصر الحقيقة في الذات، فتطرد الآخرين من الخلاص، مُتمنِّيةً محوهم من الوُجود، لتظلّ وحدها على الساحة، مُنتصرة. وتتميّز كِلتا النزعتينِ بالخلط بين الحقيقة الكامنة في الدِّيانة، وتفوُّق الديانة الشخصيّة على ديانة الآخرين، في حين أنّ العلاقات بين مؤمني مُختلف الأديان يُثري مفهوم الدين الشخصيّ (Edouard SCHILLEBEECKX, *L'histoire des hommes, récit de Dieu,* Cerf, Paris, p. 252-256).

٢ - وعلى نقيض ذلك، في جوّ من **التعدُّديّة** (Pluralisme)، حيث التركيز على **الغيريّة** (Altérité) الدينيّة والفِكريّة والثقافيّة، ثمّة **النزعة «النِّسبيّة»** (relativiste) التي تعتبر أنّ جميع الأديان تتساوى، كما أنّها تُشدِّد على أوجُه الشبه بينها فتُوفِّق بينها في **نزعة «توفيقيّة»** (syncrétiste) تجمع بدون تفحُّص الأُمور تفحُّصًا دقيقًا.

وأمّا **الروح** التي يتوجّب التحلّي بها **إيجابيًّا**، فهي تشمل الانفتاح والموضوعيّة، وقبول بتواضع كبير وضع الذات موضع تساؤل، لا في مضمون الإيمان، بل في مُمارسته بحسب تقاليد غير أساسيّة، أو في الخِطاب اللاهوتيّ نفسه. فوُجود آخر مُختلف فُرصة



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سانحة لتقوية الإيمان الشخصيّ، إذ قد يوقِظه، أو يحثُّه على البحث عن الأعمق، أو يدفعه إلى السير نحو الأمام.

وأخيرًا، ينبغي لنا التوضيح أنّ «الخِطاب اللاهوتيّ بالمُقارنة» يختلف عن **الحِوار** الآنف تحليله، لأنّه لا يشترط حتمًا اشتراك الطرف الآخر في البحث، بل يعتمد الباحثُ على نُصوص أو مُمارسات الطرف الآخر. وقد قال الفيلسوف بول ريكور في النُّصوص المكتوبة: «يُمكن فهم الذات أمام النصّ». إنّ هذا الخِطاب اللاهوتيّ هو بمثابة **بحث لاهوتيّ**. وبالتالي، لا بُدّ من قبول مرجعيّة السُّلطة الكنسيّة لتُقيِّم الجُهود المبذولة في ضوء الحِسِّ الإيمانيّ الكنسيّ (باللاتينيّة: sensus fidei).

في ضوء تعريف 'الخِطاب اللاهوتيّ بالمُقارنة'، وهو **أداة تحليل** سنستعملها في ما يأتي ذِكره، نتجوّل في مُعظم الأديان والمُعتقدات والتقاليد والثقافات التي **تتعامل معها الكنيسة اليوم**.

## ثانيًا - الدين اليهوديّ

لا بُدّ مِن الكلام على اليهوديّة أوّلًا، نظرًا إلى أنّ يسوع وتلاميذه نشأوا يهود. وما يستدعي التشديد عليه هو موقفهم - لا سِيّما موقف يسوع وبولس - من **الدِّيانة اليهوديّة ومُمارساتها ومؤسّساتها**. أضف إلى ذلك ما قاله بولس في روم ٩-١١ مِن **رفض اليهود البُشرى**، وبالتالي **إعلانها إلى الوثنيّين**، كما رأينا؛ فضلًا عن **مصيرهم في تاريخ البشريّة**، ذلك بأنّ الله لا ينبذ شعبه المُختار، ولا ينقض عهده ووعوده، بالرغم مِن رفضهم هذا، بل لا يزال يُحبُّهم بالنظر إلى آبائهم، وذلك حتّى ينالوا أجمعهم الخلاص.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ ذلك الجانب اللاهوتيّ والروحيّ لا يمنع الباحث مِن أن يذكر **تاريخ العلاقات** بين الدِّيانتين على مدى قُرون طويلة من نِزاعات وتنافس، ما أدّى في القُرون الوُسطى الغربيّة إلى تفاقُم المُعاداة الساميّة، ما يستدعي «**تطهير الذاكرة**» كما دعا إليه وأعلنه رسميًّا البابا يوحنّا بولس الثاني باسم الكنيسة، في مطلع الألفيّة الثالثة.

وما يجب الإشارة إليه هو أنّ **علاقة المسيحيّة باليهوديّة تظلُّ نُموذجيّة** في العلاقة بسائر الأديان، لأنّ الكِتاب المُقدّس يتضمّن ذلك، فيُصبح بالتالي مِعيارًا ومِقياسًا للمسيحيّة، وإن تطلّب الأمر، بطبيعة الحال، التأقلم مع كُلِّ دين بحسب خُصوصيّته.

## ثالثًا - الثقافة الإغريقيّة الرومانيّة

لا مناصّ مِن الإشارة إلى أنّنا استعملنا **عبارة 'ثقافة' ولا 'ديانة'** لأنّ الدِّيانة اليونانيّة والدِّيانة الرومانيّة قد اندثرتا اليوم، وما يظلُّ مِنهما هو المُحيط الثقافيّ. فعلاقة الكنيسة لا تختصُّ اليوم بدين بحصر معنى الكلمة، بل بمُحيط ثقافيٍّ له أهمّيّته.

ولتلك الثقافة وضعُها الخاصُّ في الفِكر اللاهوتيِّ المُعاصر، وذلك لسببين: أوّلًا لأنّها كانت مهد **المُحيط المُتوسِّطيِّ حيث نشأت المسيحيّة**، وذلك حضاريًّا ولُغويًّا، وسِياسيًّا واجتماعيًّا، كما هو وارد في جميع أسفار العهد الجديد. ثُمّ إنّ **المسيحيّة قد عبّرت عن البُشرى بِعقليّة تِلك الثقافة وبِلُغتها**، إلى جانب العقليّة اليهوديّة، ما يُوليها أهمّيّة نُموذجيّة خاصّة؛ كما أنّ المسيحيّة قد صاغت، في القُرون الأُولى، **صرحها العقائديّ** في أحضانها. ولنتذكّر ما سبق أن رأيناه، وهو أنّ الكنيسة الأُولى أنشأت وأنمت خِطاباتها



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

اللاهوتيّة في كنف تلك الثقافة، منها الخِطاب الدِّفاعيّ والعقائديّ والروحيّ.

وتطبيقًا لذلك، يجب مُراعاة ثقافة الشُّعوب عند إعلان البُشرى لها، وذلك ما عُرف اليوم بـ'**الانثِقاف**' (Inculturation)، أي التعرُّف إلى ثقافة شعب مُعيّن والتأثُّر بها - من حضارة وفلسفة وعقليّة ولُغة، ومِن اهتمامات وتطلُّعات وإشكاليّات... - في سبيل إعلان البُشرى للشعب بلُغة يفهمها وتُناسبه، وذلك بموجب مبدإ '**تجسُّد**' الله الكلمة حيث نشأ وعاش في ثقافة يهوديّة، حضارةً ودينًا، وعقليّةً ولُغة. وإلى جانب مبدإ التجسُّد، هُناك مبدأ '**العنصرة**'، حيث منح الروح القُدس تلاميذ المسيح أن يتكلّموا لُغات الشُّعوب الحاضرة في أثناء حُلوله، كي يُعلنوا البُشرى بلُغة يفهمها الحاضرون. وبالمِثل، انثقفت المسيحيّة الناشئة في الثقافة المُحيطة، أي اليهوديّة مِن جِهة، واليونانيّة الرومانيّة مِن جِهة أُخرى. ومِن ثَمّ، يتوجّب على كنيسة كُلِّ عصر وكُلِّ شعب أن تُكرِّر ما فعلته الكنيسة الناشئة. ويؤدّي ذلك إلى أنّ الخِطاب اللاهوتيّ المسيحيّ يغتني بتِلك الثقافة، إذ يقتبس مِنها مُصطلحات وعِبارات، ومفاهيم ومقولات... يُعبِّر بها عن الوحي والإيمان.

## رابعًا - الدين الإسلاميّ

ما ينبغي الإشارة إليه هو أنّ الإسلام قد نشأ في **مُحيط دينيٍّ وثقافيٍّ يهوديٍّ - مسيحيّ**، ما نجد آثاره في المُعتقد الإسلاميّ، في مِثل وحدانيّة الله ومُحاربة الوثنيّة والأصنام، والاعتماد على الأنبياء والرُّسل، والإيمان بالآخرة...؛ وكذلك في المُمارسات التقويّة الإسلاميّة، في مِثل الصلاة وتسبيح «إله العالمين»، والصوم



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والصدقة والحِج؛ وأيضًا في الأخلاقيّات («اِهدنا إلى السِّراط المُستقيم»)، والروحانيّات (طلب المغفرة من الإله «الرحمن الرحيم» - معنى «آيات» الله في الخليقة والكِتاب - «التسليم» لله)... وقد نشأ في **ظُروف انقسامات عقائديّة وسياسيّة بين الكنائس المسيحيّة**، ما ساعده على انتشاره في حوض البحر الأبيض المُتوسِّط. أضف إلى ذلك أنّ **تاريخه** مع المسيحيّة واليهوديّة حافلٌ بعلاقات مُتوتِّرة لا يُمكن تجاهلها، ما يتطلّب نظرة موضوعيّة إلى هذا التاريخ تتجاوز الصِّراعات الماضية. ونذكر، على سبيل المِثال، أنّ الحُروب الصليبيّة تستدعي، للأمانة العِلميّة، دِراسات وأبحاث موضوعيّة بمنأى عن الروح التحزُّبيّة المُنحازة، ما لا تتميّز به حتّى الآن. أضف إلى ذلك أنّه لا محالة مِن «تطهير الذاكرة» - كما دعا إليه ومارسه البابا يوحنّا بولس الثاني -، وذلك مِن طرف الجميع، بُغية كِتابة تاريخ جديد مُشترك على أُسس سليمة.

ونودُّ أن نُظهر كيف أنّ **الإسلام قد يُمثِّل فُرصة للخِطاب اللاهوتيِّ المسيحيِّ** في سبيل التعمُّق في التعبير عن العقائد لا سِيّما تِلك التي شوّهتها بعضُ البِدع، أو أهملتها في بعض الحقبات من التاريخ الكنسيّ، كما سبق أن تلمّسناه في تحليلنا الكِتابَ المُقدّس، لا سِيّما في خُطبة بولس لأهل آثينة، وكذلك في «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس الإلهيّ»، وكذلك عمل الروح و«أنّاته» و«هُبوبه» في جميع البشر.

* فعلى سبيل المِثال، إنّ **قضيّة 'وحدانيّة الله'**، أو فَرادته، التي يُوليها الإسلام أهمِّيّة بالغة، قد تُساعد المسيحيّين الشرقيّين على أن يُعبِّروا عن إيمانهم **بتثليث الأقانيم ووحدتها** تعبيرًا لاهوتيًّا قد يختلف بعض الشيء عن التعبير الغربيّ، في ضوء عِلم الكلام الإسلاميّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ذلك بأنّ بعض الصِّيغ المسيحيّة، وهي وليدة مقاومة بِدعٍ تاريخيّة، قد توحي بالـ«الإشراك» التي حاربه القرآن بضراوة؛ فتلك الصِّيغ لا تُمثِّل إطلاقًا الإيمانَ المسيحيّ القويم الذي يُنادي فِعلًا بالتوحيد في التثليث («باسم الآب والابن والروح القُدس، **إلهٍ واحد**»)، مِن دون الوُقوع في بِدعة 'الشكليّة' التي ادّعت أنّ الأقانيم الثلاثة ليسوا سِوى تجلِّيات أو أشكال مُختلفة لأُقنوم واحد. وتظلُّ العلاقة بين 'التوحيد'/'التثليث' سِرًّا إلهيًّا بتمام معنى الكلمة، أي ما يتجاوز تمامًا العقل البشريّ: الله المُتسامي المُتعالي أعظم وأكبر من التوحيد والتثليث، فلا يُمكن حصره في عِبارات أو صِيغ تُطمئن العقل؛ إنّ سِرّ الله موضع تأمُّل وإعجاب وتجاوز.

* وكذلك الأمر في سِرِّ '**تسامي' الله المُطلق**: إنّ تسامي الله وتعاليه (Transcendance) لا يتنافيان إطلاقًا و**كُمون الله** (Immanence) بموجب تجسُّد الابن الأزليّ؛ ذلك ما ينبغي شرحه للمُسلمين المُلتمسين فهمَ المسيحيّة فهمًا صحيحًا، لا مُشوَّهًا. وإنّ شهادة المُسلمين بأنّ «الله أكبر» تشترك فيه المسيحيّة كُلِّيّةً، بمعنى أنّ الله «أكبر» من جميع الأفكار والأقوال والخِطابات التي يتصوّرها البشر؛ ويعتبر بعض المُفسِّرين المُعاصرين أنّ الاعتراف بالإله «الأكبر» هو بمثابة 'لاهوت تحرير'، حيث التحرُّر من كُلِّ ما هو ليس الله[٢]. غير أنّ الإيمان المسيحيّ يُقرُّ أيضًا بأنّ «الله أصغر»، ذلك الإله الذي تجسّد وتألّم ومات وقُبر، ثمّ قام وتمجّد. ثُمّ، ليس مُنطلق المسيحيّة «الله أكبر»، بل «الله محبّة».

(٢) راجع الصفحات التي كتبها الأب كريستيان فانْ نِسْبِن اليسوعيّ في مقاله «معًا أمام الله»، وكذلك في مجلّة *CHRISTUS*, « Une foi et sa mystique » (أُنظر إلى البيبْليوغرافيا).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وفي ذلك مجالٌ مُثمر للمُقارنة بين الدِّيانتين وللحِوار بين أصحابهما[٣].

* وكذلك، إن كان الإله الإسلاميّ «**الرحمن الرحيم**» نحو البشر، يعيشون تحت نظره، فذلك أقرب ما يكون إلى الإله المسيحيِّ «**الله محبّة**»، مع الفرق العظيم بينهما أنّ حُبّ الله هو لجميع البشر، من مُختلف الأديان ومهما كانوا صالحين أو طالحين، فهو يُشرق شمسه ويُمطر مطره على الأخيار والأشرار؛ وعليه، فعلى البشر أن يُحبّوا أعداءهم ويغفروا لهم.

* وبالمِثل، إنّ الله '**الكلمة**' جديرٌ بأنّ تُخصَّص له تحليلات لاهوتيّة وافرة، لأنّه يُعتبَر قاسمًا مُشتركًا مع الإسلام الذي يُقرُّ **بكلام** الله، في حين أنّ 'البُنوّة' الإلهيّة أمر مرفوض لديه تمامًا قلبًا وقالبًا. هكذا فإنّ المسيحيّة تؤمن بأنّ 'كلمة' الله أزليّ وقد تجسّد في شخص يسوع المسيح، ما يُوازيه في المُعتقد الإسلاميِّ كون كلام الله أزليًّا وقد ظهر في كِتاب القُرآن: فالنظرتان تُكوِّنان أرضيّة مُشتركة تسمح بالمُقارنة، أو بالحِوار، لأنّ 'المنطق' واحد: كلمة الله، وإن اختلف 'المضمون' اختلافًا كُلِّيًّا: في إنسان/ في كِتاب.

* إنّ النظرة القُرآنيّة إلى **يسوع المسيح** أقرب ما تكون إلى النظرة المسيحيّة الساميّة - حيث 'عبد يهوه المُتألِّم' - أكثر منها النظرة الهلِّينيسْتيّة - حيث 'المسيح ضابط الكُلّ' (Pantocrator) -، ذلك بأنّ القُرآن يُظهر عيسى عبدًا لله. إنّ ذلك الخِطاب اللاهوتيّ يُفضي بالمسيحيّين إلى أن يُركِّزوا على تلك الصورة المسيحانيّة -

(٣) راجع المُقاربة الثانية من كِتابنا سِرّ الله الثالوث - الأحد، سِلسلة «دِراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت، ط٤، ٢٠١٣.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صورة العبد (راجع مثلًا نشيد فيليبّي في فِل ٢/ ٦-١١) - التي تتكلّل بصليب يسوع وتُعبِّر عن قِمّة رِسالته الإلهيّة، بل وعن بُنوّته الإلهيّة حيث إنّها تُترجم حُبّ الله للبشر وقُربه من الإنسان إلى أقصى الحُدود وإلى المُنتهى.

* أضف إلى ذلك مكانة **الكِتاب**، حيث يعتبر الإسلام المسيحيّين «أهل الكِتاب»، في حين أنّهم يعتبرون أنفسهم 'أهلَ شخص' يسوع المسيح، أو 'أهل الكلمة' أوّلًا وأخيرًا، وما الكِتاب سِوى تدوين اختبار المؤمنين قد سبق الكِتابَ نفسه[٤]. علاوة على أنّ الإسلام يعتبر كُتبَ المسيحيّة (واليهوديّة) مُحرَّفة، وكِتاب القُرآن خاتمة الكُتب مع مُحمّد خاتمة الأنبياء.

* وكذلك وضعُ **الشريعة** يختلف تمامًا في الدِّيانتين، ففيما تعتمد الحياة الإسلاميّة على شريعة تُنظِّم جميع تفاصيل حياة مؤمنيها الدِّينيّة الدُّنيويّة، تعتمد الحياة المسيحيّة على وصيّة المحبّة والتطويبات، وهي بمثابة اتِّجاه مبدئيّ...

* إنّ اقتناعنا هو أنّ المُحيط الإسلاميّ يفرض على المسيحيّة الشرقيّة أن تُعبِّر عن **عقائدها تعبيرًا يكون مفهومًا لدى العقليّة الإسلاميّة**، ما تمّ إلى حدٍّ ما في العُصور الوُسطى عن طريق المُناظرات والمُجادلات اللاهوتيّة بين أئمّة المسيحيّة والإسلام. غير أنّه يجب التعبير عن ذلك بعقليّة القرن الذي نعيش فيه، فيُصبح ما تَمّ في القُرون الوُسطى مِثالًا مُفيدًا، لا مِعيارًا أو مِقياسًا، ذلك بأنّ لكُلِّ عصر فلسفته وعقليّته وتطلُّعاته واهتماماته...

(٤) عن كُلِّ ذلك، راجع الفصل الثاني من كِتابنا بين وحي الله وإيمان الإنسان، سِلسلة «دِراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، بيروت ط ٣، ٢٠٠٨.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* وبوجه عامّ، نُولي أهمّيّة بالغة لضرورة التركيز على **الغيريّة** إلى جانب **الهُويّة** في الخِطاب اللاهوتيّ، ذلك بأنّ العقليّة السائدة حاليًّا في الشرق العربيّ تُشدِّد على هُويّة كُلِّ طرف، وعلى ما يُميِّز صاحبَه؛ غير أنّ 'الهُويّات القتّاكة' و'صِراع الحضارات' و'التعصُّب الدينيّ' و'الأُصوليّات' والعلاقات بين 'الأغلبيّة / الأقلّيّة'... جميعُها تُهدِّد الحضارة الإنسانيّة تهديدًا خطيرًا مُريبًا ينبغي للعقل السليم (يتكلّم الفيلسوف كانْطْ على «مَكر العقل» الذي يتدخّل دائمًا في الوقت المُناسب ليمنع من حُدوث الكوارث الحضاريّة) أن يتفادى الخطرَ بكُلِّ جُرأة وحسم، بمنأى عن الروح الانفعاليّة والعاطفيّة التي تُسبِّب كوارث حضاريّة(٥).

* **خُطبة البابا يوحنّا بولس الثاني** لشباب دار البيضاء بالمغرب في ١٩/٨/١٩٨٥، الذي دعا إلى تجاوز خِلافات الماضي العصيب، وعدم الفهم المُتبادل، ما أدّى إلى الحُروب والبُغض، وقد ناشد بالقِيام بأعمال بِرٍّ مُشتركة. كما أنّه نادى بعض المُفكِّرين إلى روحانيّة «**الضِّيافة الإبراهيميّة**»، حيث أضاف إبراهيم ملائكة وهو لم يدرِ (عِبر ١٣/ ٢)؛ ولذا فقد يتمُّ بالضِّيافة تعدّي العُنف وسوء التفاهم وعدم المعرفة والكِتمان...؛ ليحلّ محلّها التقارب والمُشاركة والتبادل والاحترام، ذلك الاحترام الذي قيل فيه: «هو النظر إلى بيت الآخر» (Christian de CHERGE)؛ ما قد يؤدّي إلى اعتبار الآخر مُرسَل من لدن الله، قد يتكلّم الله على لِسانه، وقد عاش يسوع مواقف مُماثلة عندما التقى المرأة المنزوفة (مر ٥/ ٢٥ ت) والمرأة الكنعانيّة (مر ٧/ ٢٤ ت)... والكلمة الأخيرة تأتي في

(٥) راجع الفصل ٧ من كِتابنا الإنسان، ذلك السِّرّ العظيم، سِلسلة «دِراسات لاهوتيّة»، دار المشرق، ط٢، ٢٠١٢.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خِتام الكِتاب المُقدّس: «ها إنّي واقف على الباب أقرع، فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب، دخلتُ عنده وتعشّيتُ معه وتعشّى هو معي» (رؤ ٣/ ٢٠): الله معه وهو مع الله، وذلك من منطلق «الضِّيافة الإبراهيميّة».

* وهُناك مَن نادى بروحانيّة «**البدليّة**»، حيث تقدمة الحياة من أجل المُسلمين مِثلما قدّمها المسيح من أجل البشر أجمعين: «مِن أجلهم أُكرِّس نفسي» (يو ١٧/ ١٩).

## خامسًا - دِيانات الشرق الأقصى

إنّ تِلك الدِّيانات تختلف اختلافًا كبيرًا عن سائر الأديان، ذلك بأنّها سابقة عن المسيحيّة، وبالرغم من ذلك **فلم تعرفها المسيحيّة إلّا مؤخَّرًا**، وإن انتشرت المسيحيّة السُّريانيّة في الهِند أثناء القُرون الأُولى مِن العصر المسيحيّ، وكذلك النسطوريّة في الصين؛ غير أنّ التعارف والتفاعل لم يتمّا فِعليًّا إلّا في عصر النهضة الأوروبِّيّة مع قُدوم الإرساليّات. وما اكتشفناه في خُطبة بولس إلى أهل آثينة ينطبق تمامًا على تلك الدِّيانات مِن حيث إيمانها الصادق - وإن غير كامل - بآلهتها، وكذلك الأمر في ما يتعلّق بـ«بُذور الكلمة» («بُذور الحقيقة»، بحسب تعبير البابا يوحنّا بولس الثاني) و«شرارات اللوغُس الإلهيّ» الكامنة فيها، وبعمل الروح في جميع البشر («أنّات» و«هُبوبه» الروح، بحسب يوحنّا بولس الثاني) إذ يتعامل اللهُ معها ويُنعم عليها إنعاماته مُنذ القِدم (وإن كان ذلك بـ«فُتات»، بحسب البابا)، بغضِّ النظر عن وثنيّتها وأصنامها، ما سمح لها بأن تستمع إلى البُشرى وتقبلها؛ فليست تِلك التقاليد ثمرة بحث الإنسان وعمله فحسب، بل عمل الله أيضًا عبر الإنسان.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وما ينبغي الإشادة به في هذا الصدد هو سخاء **المُرسَلين المسيحيّين** وأمانتهم وروحهم الإنجيليّة الخالصة، وقد تركوا بلادهم ليُعلنوا المسيح بحسب وصيّته تعالى بالذهاب إلى الخلق أجمعين، وتقبّلوا الإهانة والاضطهاد، والعداء والاستشهاد. ولكن ما يجب الاعتراف به أيضًا هو أساليب **السُّلطات السياسيّة الغربيّة** التي رافقت الإرساليّات حتّى إنّها شوّهت صورة المسيحيّة ونقاء الإنجيل لدى شُعوب الشرق الأقصى هذه. ويقع على عاتق الفِكر اللاهوتيّ التمييزُ بين الظاهرتين، الأُولى إيمانيّة، والثانية سياسيّة. كما أنّه يجب الأخذ بالاعتبار كون بعضهم ينظرون إلى شخص يسوع وإلى تعاليمه السامية نظرةً مُتعاطفة إيجابيّة، وبعضهم الآخر يرفضون شخصه.

وقد خطا **الفِكر اللاهوتيُّ** المسيحيُّ في العُقود الأخيرة خطوات كبيرة، أظهرت نِقاط التقاء بين التقليدين: على سبيل المِثال «الغُورو» (Guru: المُرشد والمُعلِّم)، حيث اعتبر بعضُ الآسيويّين شخصَ يسوع واحدًا مِنهم؛ ولكنّ الحقّ يُقال إنّ شخصيّة يسوع تختلف كُلّ الاختلاف عن ذلك، وإن اشتركت في بعض ملامحها. ويُمثِّل ذلك غِنًى للمسيحيّة في تعميق مُعتقداتها وروحانيّتها، كما سبق أن رأيناه في خُطبة بولس إلى أهل آثينة، كما وفي «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس الإلهيّ»، وكذلك في عمل الروح و«أنّاته» و«هُبوبه» في جميع البشر. غير أنّ نِقاط الاختلاف الجوهريّ تتمثّل خصوصًا بأنّ التجلِّيات الإلهيّة مُتعدِّدة في دِيانات الشرق الأقصى التي تستطيع أن تعترف بأنّ تجلّيها في شخص يسوع واحد مِنها، لا الوحيد والمُطلق، على نقيض مُعتقد المسيحيّة بفرادة/ شُموليّة المسيح؛ وقد عبّرت السُّلطات الكنسيّة الرومانيّة عن



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تحفُّظها وحذَرِها مِن الحِوار الذي قد يؤدّي إلى 'نِسبيّة' الحقيقة الإلهيّة، بِحسب الثقافات والأديان، بيْد أنّ المسيحيّة تُنادي بـ'مُطلقيّتها' في تجسُّد الله الكلمة.

**ومِمّا يُثري الخِطابَ اللاهوتيّ المسيحيّ** في احتكاكه بدِيانات الشرق الأقصى، السعيُ وراء 'الفناء' (Nirvana)، حيث التلاشي في الكون، فقد يُساعد على الخُروج من الذاتيّة الغربيّة المُتطرِّفة، ما يدعو إليه «نُكران الذات» و«حمل الصليب» بحسب يسوع (مُر ٨/ ٣٤/ /) و«إفراغُ الذات» بحسب بولس (Kénosis: فِل ٢/ ٦). وإنّ الدعوة إلى 'اللاعمل' (WuWei)، في سبيل عدم اختلال النِّظام الكونيّ، قد تُساعد الشخص الغربيّ على عدم تطابقه مع عمله ونشاطه، ما يدعو إليه مفهوم «السبت». وإنّ المُناشدة بـ'عدم الرغبة' وبـ'الرزانة' وبـ'الاحترام' قد تُساعد الإنسان الغربيّ على اكتساب 'الحُرِّيّة الداخليّة' تُجاه الأشخاص والأشياء. كما أنّ روحانيّة 'الكون' قد تجعل المسيحيّ يتعمّق في البُعد الخلاصيِّ الكونيّ - لا الفرديِّ فقط - الذي ينتظر الكون كُلّه بتجلّي أبناء الله (راجع روم ٨/ ١٩ ت)، و«السماء الجديدة والأرض الجديدة» (رؤ ٢١/ ١ ت)، وذلك بفضل «المسيح الكونيّ» (راجع قول ١/ ١٥-٢٠)، و«المسيح الدامج الجامع تحت رأس واحد في شخصه» (راجع أف ١/ ١٠: Anakèphalaioô)...

## سادسًا - المُعتقدات التقليديّة

في العديد من البُلدان الإفريقيّة والآسيويّة، ثمّة **مُعتقدات تقليديّة تُشبه الدِّيانات**، مبنيّة أساسًا على الطُّقوس الخاصّة بالأجداد وعلى الإيمان بأساطير، كما وعلى مُمارسة السِّحر. وهي أيضًا لم



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تتعرّف إلى المسيحيّة إلّا مؤخَّرًا مع ظاهرة الإرساليّات مِن جِهة، والحضارة الغربيّة مِن جِهة أُخرى. وأمّا تعامل المسيحيّة معها فيخضع للمِعيار الذي وضّحه بولس في خُطبته إلى أهل آثينة، وكذلك بموجب اعتراف الآباء بـ«بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس الإلهيّ»، وتأكيد المجمع الفاتيكانيّ الثاني عمل الروح و«أنّاته» و«هُبوبه» في جميع البشر، ولا سِيّما في مُعتقداتهم ومُمارساتهم.

وإنّ بعضهم يقبل المسيحيّة، وبعضهم يرفضها، وبعضهم يقبلها مع بعض التحفُّظ. وبهذا الشأن، يجب التوضيح أنّها، على خِلاف ما سبق مِن أديان ذكرناها، **ليست لها كُتب مُقدّسة**، ما يُمثِّل فُرصة وخطرًا في آن واحد:

* أمّا **الفُرصة**، فتكمن في أنّها تتقبّل البُشرى **بروح استعداديّة** أكثر انفتاحًا مِن التي لها كِتاب وعقائد مُحدّدة واضحة المعالم، مُعتبرةً أنّ البُشرى المسيحيّة تستطيع أن تحترم تقاليدها وتدمجها، بل وأن تُكسبها أبعادًا جديدة.

* وأمّا **الخطر**، فيكمن في **النزعة التوفيقيّة** التي تأخذ من هذا التقليد ومن ذاك، بحسب ما يروق لها، فإنّ خطر مُرونة تِلك المُعتقدات التقليديّة يتمثّل بأنّها قد تبحث عن تراضٍ (ولذا فهي قد تقبل الدعوة الإسلاميّة أو البُوذيّة أيضًا)، ما يتنافى مع المسيحيّة وجذريّة الإنجيل. ومِن ثَمّ فتمييز اللاهوتيّين المسيحيّين واجبٌ بين ما يُمكن استيعابه وما لا يجوز قبوله في مِثل حالات تلك **'الانتماءات المُزدوجة'**، إذ إنّ بعض المُمارسات الطقسيّة والمواقف الروحيّة مقبولة لأنّها تتماشى والحياة المسيحيّة، وبعضها غير مقبولة لأنّها تُمثِّل مزيجًا توفيقيًّا يتنافى وجذريّة الإنجيل.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كما أنّ **المسيحيّة تستطيع أن تتعمّق في إيمانها** وفي عِباراتها الإيمانيّة إذ تستعين بخِبرة غيرها من البشريّة. هكذا نشأ في العُقود الأخيرة 'خِطاب لاهوتيٌّ أفريقيّ' أو 'أسود'، وكذلك 'خِطاب لاهوتيٌّ آسيويّ' أو 'أصفر'، مُعبِّرًا عن تفاعل الخِطاب اللاهوتيِّ المسيحيِّ التقليديِّ مع تلك المُعتقدات. نذكر على سبيل المِثال في أفريقيا كونَ يسوع «شافيًا» (Guérisseur) لأنّ ظاهرة الشِّفاء تُمثِّل عُنصرًا أساسيًّا في الحياة الشخصيّة والاجتماعيّة؛ غير أنّ يسوع أعظم مِن شافٍ، لأنّه يشفي الأرواح مِن سُلطان الخطيئة، ولا الأجساد فقط مِن سُلطان المرض. وكذلك كون يسوع «بِكر الأجداد» (Proto-Ancêtre)؛ غير أنّه «بِكر الأموات» الذي خلّص جميع أجداد البشريّة. وهُناك مثل آخر في أفريقيا يكمن في كون «الكنيسة عائلةً كُبرى»، نظرًا إلى أهمّيّة هيكليّة العائلة في مِثل هذه المُجتمعات؛ في حين أنّ التقليد المسيحيّ السائد يُعبِّر عن كون «العائلةِ كنيسةً صُغرى» (يوحنّا ذهبيّ الفم).

## سابعًا - الفلسفات والإيديولوجيّات المُعاصرة

ما قُلناه في الأديان وفي شِبه الأديان، يُمكننا قوله في الفلسفات والإيديولوجيّات المُعاصرة مِن حيث **ضرورة التفاعل معها** في عصر 'التعدُّديّة' و'العوْلَمة'. فلم تُواكب الكنيسة بالقدر الكافي التطوُّرات الفِكريّة الجريئة في 'عصر الأنوار' و'الموسوعيّين' (القرن الثامن عشر)، وفي 'الثورة الصِّناعيّة' (القرن التاسع عشر)، وفي 'الفلسفة والعُلوم الإنسانيّة الإلحاديّة' (القرن العِشرين). ولذا فقد حثّ المجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني (في مُنتصف القرن العِشرين) على التفاعل مع جميع المُجتمعات البشريّة، على اختلاف أنواعها. كما



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنّ الكنيسة المُعاصرة تحضُّ على 'الانثِقاف' في عالم اليوم، كما قامت به على مرِّ تاريخها، وذلك **بالأمانة** على 'وديعة الإيمان' الثابت عبر العُصور والأماكن؛ **وبالإبداع** في التعبير عنها بما يتناسب ومُقتضيات العصر، آخذةً بالاعتبار كُلَّ جديد في القضايا المطروحة، والتطلُّعات الناشئة، والمناهج المُتّبعَة، ومُغربِلةً إيّاها في ضوء الإنجيل، لأنّ الإنجيل الخالد هو إنجيل مُتجسِّد 'هُنا والآن' (باللاتينيّة: hic et nunc)؛ ولأنّ ذلك النِّتاج الفِكريّ الإنسانيّ يتضمّن هو الآخر «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس الإلهيّ»، كما أنّه يفترض عمل الروح و«أنّاته» و«هُبوبه» في جميع البشر.

## الخُلاصة

خِتامًا لكلامنا على الحضارات والثقافات والأديان البشريّة، ينبغي لنا أن نؤكِّد العلاقة بين **نِسبيّتها** و**مُطلقيّة** المسيحيّة. ذلك بأنّ تيّارات التركيز على النِّسبيّة، وقد ساهمت فيه ثقافةُ الانفتاح على الحِوار والمُعايشة، وحضارة التعدُّديّة والعولمة، تُهدِّد مُطلقيّة الحقيقة المُوحى بها. وقد ظهر هذا التيّار في بِداية القرن العِشرين في الكنيسة البروتستانتيّة، مع اللاهوتيِّ إرْنِسْت ترولْتش الذي اعتبر أنّه لا يجوز لأيِّ دين أن يدّعي لنفسه صِفة المُطلقيّة والشُّموليّة، لأنّها مِن صِفات لله وحده، لا مِن صِفات الإنسان المُتزمِّن في التاريخ. وقد أتى ردُّ فِعل اللاهوتيِّ كارْلْ بارثْ الذي ميّز، حتّى حدِّ الفصل، بين الدين (وهو إنسانيٌّ فنِسبيّ) والوحي (وهو إلهيٌّ فمُطلق). وقد تحاشى الفِكر الكاثوليكيُّ هذين الموقفين المُتطرِّفين، مؤكِّدًا تضافر البُعدين الإنسانيِّ والإلهيّ، وذلك بموجب التجسُّد حيث تعاضُد الإنسان والله؛ وعليه، تفاعُل النِّسبيّة والمُطلقيّة: إنّ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الاعتراف بالآخر المُختلف، والانفتاح عليه بالحِوار، لا يمنعان إطلاقًا الاعتراف بمُطلقيّة الوحي، وقد أوضحنا ذلك بالقدر الكافي في كلامنا على فنِّ الحِوار[٦].

(٦) راجع الفصل الثالث.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# الخاتمة العامّة

حاولنا طوال بحثنا وعبر تحاليلنا التمسُّك **ببُعديْن** في عِلم لاهوت الأديان وفي قضيّة خلاص غير المسيحيّين، وهما تطلُّبان للفِكر اللاهوتيِّ المسيحيِّ في علاقته بسائر الأديان والمُعتقدات والتقاليد: الانفتاح على غيريّة الآخر المُختلف / الحِفاظ على الهُويّة المسيحيّة.

## الانفتاح على غيريّة الآخر المُختلف

على الفِكر المسيحيِّ أن يأخذ بالاعتبار، لا **حقائق الأديان الموضوعيّة والنظريّة** فحسب، بل **وضعها التاريخيّ** أيضًا: متى نشأت، وكيف بدأت علاقتها بالمسيحيّة وكيف تطوّرت، وما موقفها مِن شخص المسيح، وما تأثيرها في الدين المسيحيّ، وذلك جُزء مُهمٌّ مِن عِلم لاهوت الأديان: كيف أثّر هذا الدين أو ذاك أو ذلك في صِياغة الصرح الكتابيِّ والعقائديّ (اليهوديّة، والثقافة اليونانيّة الرومانيّة)، وفي تعميق الإيمان والروحانيّة (سائر الأديان والمُعتقدات)، لأنّ **جميع الحضارات الدينيّة والإنسانيّة جديرة بالتفاعل مع المسيحيّة**. ذلك ما يعود، في نِهاية المطاف، إلى فائدة تكتسبها المسيحيّة بتعمُّقها في إيمانها الخاصّ، كما وفي تعبيرات إيمانها، وهذا بفضل احتكاكها واغتنائها بتلك الأديان، إذ تتلمّس فيها «بُذور الكلمة» و«شرارات اللوغُس الإلهيّ» مِن جِهة، وعمل



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الروح و«أنّاته» و«هُبوبه» في جميع البشر مِن جِهة أُخرى، وهُما حقيقتان ظهرتا لنا طوال خطوات تفكيرنا وتحاليلنا.

إنّ وُجود أديان كثيرة ومُختلفة، إلى جِوار المسيحيّة، يُعتبر للمؤمنين المسيحيّين **سِرًّا من أسرار الله**، كما عبّر عنه بولس في كلامه على اليهود الذين رفضوا البُشرى، وبالرغم من ذلك لم ينبذهم الله قطّ (روم ٩-١١). فإنّ لله قصدًا خلاصيًّا على البشريّة جمعاء لن نكتشفها ونكتشف معناها وتحقيقها إلّا في نِهاية تاريخنا البشريّ. يُرجعنا ذلك إلى السُّؤال الذي وجّهه التلاميذ إلى يسوع المسيح القائم في آخر ظُهور له عِند صُعوده:

«يا ربّ، أفي هذا الزمن تُعيد المُلك إلى إسرائيل؟».

وأتى ردُّ يسوع قاطعًا يدعوهم إلى احترام قصد الله الحُرّ:

«ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات
التي حدّدها الآب بذات سُلطانه».

وإلى جانب قبول قصد الله هذا، عليهم أن ينطلقوا ليؤدّوا رِسالتهم في العالم:

«ولكنّ الروح القُدس ينزل عليكم فتنالون قُدرة
وتكونون لي شُهودًا في أورشليم وكُلِّ اليهوديّة والسامرة،
حتّى أقاصي الأرض» (رُسل ١/٦-٨).

وذلك هو **سِرُّ الكنيسة** أيضًا المُكوَّنة من أبناء خاطئين[١]، في حُدود ثقافيّة ودينيّة وتاريخيّة تعيشها، كما عاشها يسوع نفسه طوال

(١) يقول القُرآن على المسيحيّين في سورة المائدة، الآية ١٤: «أغْرَيْنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القِيامة وسوف يُنبِّئهم الله بما كانوا يصنعون».



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثلاثة وثلاثين سنة، بين الخاطئين. وفي هذه الظُّروف، يُقدِّس الروح القُدس أبناء الكنيسة، كما أنّه يعمل في سائر البشر، ولن ينكشف عمله، هو الآخر، إلّا في انقضاء الدهر، عِندما سيكتشف البشر قاطبةً أنّ

«جميع الأشياء تعمل لخير الذين يُحبُّون الله» (روم ٨/٢٨).

## الحِفاظ على الهُويّة المسيحيّة

وفي الوقت عينه، حتّى يكون الفِكر اللاهوتيُّ سديدًا مبنيًّا على أساس سليم، يتحتّم عليه **ألّا يُفقد المسيحيّةَ هُويّتَها وفرادتها** في تاريخ الخلاص، مِن سِمات تختصُّ بها ومُميِّزات تستأثر بها، وإلّا وقع في خطر 'النِّسبيّة' - حيث جميع الأديان تتساوى - التي طالما حاربها خِطابنا اللاهوتيّ، في حين أنّ وحدانيّة الوحي واستقامة الإيمان لا يقبلان إلّا **'مُطلقيّة' الهُويّة و'جذريّتَها'**.

## جدليّة الهُويّة/ والغيريّة

إنّ **الهُويّة المسيحيّة** المُطلقة الجذريّة مُرتبطةً بـ**'الغيريّة'، أي** بانفتاحها على 'الآخَر المُختلف'، في **تفاعل بين الهُويّة/ الغيريّة،** يجني منه الجميعُ فائدة عُظمى وثراءً مُبينًا. فما من شكٍّ أنّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وما ترتّب عليه مِن فِكر لاهوتيٍّ لاحق، قد أبدع في توضيح **دور الروح القُدس** - في الأشخاص وفي الأديان - المُوجَّه نحو **فرادة/ شُموليّة يسوع المسيح المُخلِّص والوسيط والطريق والحقِّ والحياة،** المُرتبط ارتباطًا عُضويًّا **بكنيسته آيةِ الخلاص الشاملة:**

**إنّ الروح هو أصل تساؤلات الأشخاص** الوُجوديّة والدينيّة والروحيّة؛ كما أنّه **يعمل في الشُّعوب والثقافات والأديان.**



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتجاوبًا مع فيض رحمة الله الذي يشاء خلاصَ جميع البشر، فإنّ **الإنسان** بوُسعه أن ينال الخلاص الذي أتى به يسوع المسيح إذا عاش بموجب ضميره، وبحسب بحثه عن الحقيقة، وبمُمارسته الصلاة، وبقِيامه بأفعال الرحمة والمحبّة، وعن طريق شريعته. ذلك بأنّ الروح يجعل من الأديان موضع «بُذور الكلمة»، و«شرارات اللوغُس الإلهيّ» - بحسب آباء الكنيسة -، و«قَبسًا من شُعاع» «الحقّ والقداسة» - بحسب تعاليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني -. ويكتمل كُلُّ ما في الأديان من صلاح وخير وحقّ وقداسة في شخص يسوع المسيح.

ويندرج **دور الكنيسة** في سِياق ذلك، فيقع على عاتقها واجب **تمييز حُضور المسيح وعمل الروح** في الأشخاص وفي الأديان، لكونها طريقَ الخلاص الشامل الاعتياديَّ وآيتَه، ذلك بأنّ كُلّ نِعمة خلاصيّة تأتي إلى البشر عن طريقها. كما يتوجّب عليها أن **تكرز بالمسيح**، لأنّ ذلك حقٌّ لأيِّ إنسان أن يعرف مُخلِّصَه مُنذ حياته الأرضيّة، لا أن يكتشفه في حياته الأبديّة فقط.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُلحق ١

# رأي بعض اللاهوتيّين الأُرثوذكس غير الخلقيدونيّين في خلاص غير المسيحيّين

## المُقدِّمة

لقد أَجرينا حديثًا حول قضيّة «**خلاص غير المسيحيّين**»، مع ثلاثة مُمثِّلين لثلاث طوائف أُرثوذكسيّة غير خلقيديونيّة، أوّلهم كاهن أرمنيّ، وثانيهم كاهن سُريانيّ، وثالثهم علمانيٌّ قِبطيٌّ مُلتزم لاهوتيًّا في كنيسته[١].

إنّهم لا يُمثِّلون كنائسهم تمثيلًا رسميًّا؛ وبالرغم من ذلك، فإنّنا نعتبر أنّهم يُعبِّرون عن نظرة كنائسهم في الموضوع الذي نحن بصدده، وإن استدعى الأمر مزيدًا من التعمُّق من حيث عدد الأشخاص والطوائف، ومن حيث دِقّة الإجابات. ومع ذلك، فحسبُنا ما نعرضه على هذه الصفحات، آملين أن تُمثِّل هذه الخُطوة نُقطة انطلاق لأحاديث وأبحاث وآراء ووُجهات نظر أُخرى.

---

(١) جرى الحديث في ١٩٩٦، في إطار اجتماعات «رابطة المعاهد اللاهوتيّة في الشرق الأوسط» (ATIME).
الرُّموز المُستعمَلة: [أ] أرمنيّ - [س] سُريانيّ - [ق] قِبطيّ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## أوّلًا - طرح سؤال «خلاص غير المسيحيّين»

إن كنيستيْ [أ] و[س] لم تطرحا القضيّة. يقول [أ] في هذا الصدد ما يعني:

«ليس لدينا حوار مع المُسلمين لنطرح السؤال. لا ننكر أنّ ثمّة بعض التساؤلات، ولكنّ الموضوع، باعتباره قضيّة لاهوتيّة، لم يُطرح. غير أنّ أرمينيا تحظى الآن بالحُرِّيّة. فهل سينجم عن ذلك حوار مع مَن يدّعون - من المذاهب البروتستانتيّة مثلًا - أنّ هُناك خلاصًا خارج المسيح؟ فعِندما ستُطرح علينا القضيّة، حينذاك سيُمكننا دِراستها».

## ثانيًا - حُجّة «خلاص المسيحيّين» فقط

تُجمع الطوائف الثلاث على خلاص المسيحيّين فقط، وذلك اعتمادًا ضِمنيًّا على آيتين كِتابيّتين:

«مَن آمن واعتمد يخلص
ومَن لم يؤمن يُحكَم عليه» (مر ١٦/ ١٦).

«ما من أحد يُمكنه أن يدخل ملكوت الله
إلّا إذا وُلد من الماء والروح» (يو ٣/ ٥).

وتُفهَم الآيتان المذكورتان على النحو التالي:

* «الحقّ يقال إنّنا لا نُشدِّد على عدم خلاص غير المسيحيّين، بقدر ما نُركِّز على الخلاص بيسوع المسيح. وهذا ما نُعلِّمه في عِظاتنا وفي مدارسنا» [أ].

* وإنّ منطق [س] هو الآتي:

١ - «إنّ اليهود يرشُّون الشعب بدم الذبائح الحيوانيّة لمحو



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خطاياهم. وأمّا نحن، فنخلص بدم المسيح. يتمُّ خلاصنا بصليب المسيح؛ ويُقرُّ المُسلمون أنّ المسيح لم يُصلب بل صُلب أحدُ تلاميذه.

٢ - بدون الإيمان بالمسيح ابن الله الحيّ، لا يُمكن دُخول ملكوت الله، ولا نيل الحياة. فقد قال يسوع: «مَن أنا في قولكم أنتم؟». فأجابه بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحيّ» (متّى ١٦/ ١٥-١٦). لذلك ترك بولس اليهوديّة ليخلص. وأمّا اليهود والمُسلمون، فلا يعترفون بأنّ المسيح ابن الله.

٣ - إنّ حياة المسيح تُمنَح عبر الأسرار التي تهب نِعم المسيح والروح القدس: المعموديّة والميرون والإفخارستيّا:

- «إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه

فلن تكون فيكم الحياة» (يو ٦/ ٥٣).

- وكذلك مَن لا يعتمد[٢].

٤ - غير أنّ الخلاص للجميع».

* وأمّا رأي [ق] فهو:

١ - «المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص. ولا يتطرّق الكِتاب المُقدّس إلى وسيلة أو طريق آخر يختصُّ بالذين لا يؤمنون بالمسيح.

٢ - لا بُدّ من الإيمان، لا الإيمان النظريّ، بل مُمارسة الأسرار ولا سِيّما المعموديّة والتوبة».

---

(٢) الجدير بالإشارة أنّ آية مرقس الآنفة الذِّكر لا تقول: «مَن لم يعتمد يُحكم عليه»، بل «مَن لم يؤمن» فقط، في حين أنّها تقول: «مَن آمن واعتمد يخلص».



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## ثالثًا - دور شريعة غير المسيحيّين وضميرهم

وُجِّه سؤال حول قول بولس الشهير في روم ٢/ ١٢-١٦، هذا نصُّه:

«الذين خطئوا وهُم **بغير شريعة** يهلكون أيضًا بغير شريعة. والذين خطئوا وهُم **بالشريعة** يُدانون بالشريعة. فليس الذين يُصغون إلى كلام الشريعة هُم الأبرار عِند الله، بل العاملون بالشريعة هُم الذين يُبرَّرون. فالوثنيّون الذين بلا شريعة، إذا عملوا بحسب الطبيعة ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، هُم الذين لا شريعة لهم، فيدلُّون على أنّ ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في **قلوبهم**، وتشهد لهم **ضمائرهم** و**أفكارهم**، فهي تارة تشكوهم وتارة تُدافع عنهم. وسيظهر ذلك كلُّه، كما أُعلن في بشارتي، يوم يدين الله بيسوع المسيح ما خفي من أعمال الناس».

فما هو تفسير هذا النصّ؟:

* «المُشكلة هي الاعتماد على آية (تؤيِّد فِكرة خلاص غير المسيحيّين، مِثل هذه) وترك سائر الآيات (التي لا تؤيِّدها). ثمَّ لا ننسَ أنّ بولس أراد أن يكون «يهوديًّا مع اليهود، ويونانيًّا مع اليونانيّين» «ليربحهم للمسيح»، فيخلصوا. فلا عجب بالتالي إذا تقرّب إليهم» [أ].

* «عِندما فسد الإنسان، دوّن الله الشريعة، لأنّ قلب الإنسان أصبح قاسيًا شاذًّا. واليهود أيضًا فسدوا نوعًا ما، فأنزل الله عليهم الشريعة الموسويّة - أي الوصايا العشر - وهي شريعة طبيعيّة. وأمّا الوثنيّون، فضميرهم بمثابة الشريعة.

ومن جِهة أُخرى، كتب بولس ذلك عِندما لم تصل البشارة بعد



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إلى الجميع. فهُم بالتالي يُدانون بحسب شريعتهم أو بحسب ضميرهم. وأمّا الآن، فقد وصلت البشارة إلى جميع الناس (فلا يقصد إذًا كلامُ بولس خلاص غير المسيحيّين)» [س].

* «لم يقصد بولس في هذا النصِّ خلاص غير المسيحيّين، بل إدانتهم. فالشريعتان - اليهوديّة والطبيعيّة - لا تستطيعان أن تُوصِّلا إلى الخلاص؛ فكلُّ ما بوُسعهما أن تقوما به، أن تُعِدّا للإيمان - لا للخلاص-، شأنهما شأن الطبيعة التي خلقها الله، أو الكرازة التي يكرزها الكارزون. فليست هُناك وسيلة للخلاص إلّا عن طريق المسيح» [ق].

## رابعًا - قيمة قِيام غير المسيحيّين بأعمال الرحمة

وقد وُجِّه سؤال آخر حول كلمة يسوع المأثورة:

«رِثوا الملكوت المُعَدّ لكم مُنذ إنشاء العالم.

لأنّي جُعتُ فأطعمتموني...

كلّ ما فعلتم لأحد هؤلاء الصِّغار إخوتي

فلي قد فعلتموه...» (متّى ٢٥/ ٣٤-٤٠).

أفلم يقصد يسوع بكلمته هذه خلاصَ غير المسيحيّين أيضًا؟ وكانت الإجابات الآتية:

* «إنّ هذا القول يُمثِّل لنا بالفِعل تساؤلًا. فإذا مشوا على طريق ربِّنا، فبِدون أن يعرفوا قد يكونون - وهذا مُجرَّد تساؤل - خلّصوا أنفسهم. والله لم يمنحهم نِعمة الخلاص بل نِعمة إمكانيّة القِيام بعمل الخير.

الحقّ يُقال إنّ هذا النصّ يُمثِّل تناقضًا (مُقارنةً بسائر النُّصوص التي لا تؤيّد خلاص غير المسيحيّين). فكيف نحيا هذا



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التناقض؟ هناك مُستويان: المُستوى الفِكريُّ النظريُّ الذي يقول: «لا» (لخلاص غير المسيحيّين)، والمُستوى اليوميُّ العمليُّ الذي يقول: «رُبّما» [أ].

* «لا يُمكن أن تكون الأعمال سببًا للخلاص إن لم تقترن بالإيمان. وإن لم يُذكَر هُنا الإيمان، فلأنّه لا يُذكر في جميع الآيات، بل هو ضمنيّ. إنّ الأعمال هُنا هي إيمان عمليّ. (وبوجه عامّ) يُمكن القول بأنّ الأعمال لا تؤدّي إلى الخلاص بل تُعِدّ للإيمان، شأنها شأن الشريعتين: الطبيعة والكرازة» [ق].

## خامسًا - ما مصير أربعة مِليارات من البشر غير مسيحيّين؟

وُجِّه أخيرًا سؤال حول مصير أربعة أخماس البشر الذين لا يعرفون المسيح ولا ينتمون إلى الكنيسة بالمعموديّة؛ فهل يهلكون هلاكًا أبديًّا بالرغم من أنّ الله يشاء خلاص جميع البشر وحياتَهم؟ وكانت الإجابات على النحو الآتي:

* «لا يحقُّ لنا أن نحكم عليهم، فالدينونة لا تخصُّنا بل تخصُّ الله الذي يفعل ما يشاء؛ فعدلُه لا يكفي، بل هُناك رحمته أيضًا. ورُبّما سنُفاجأ في يوم الدينونة (بخلاصهم). فالباب مفتوح، وإن أغلقنا (عليهم باب الخلاص) أغلقناه على أنفسنا. فنحن لا نعرف ما وراء الحائط وما وراء البِناية. وقد يكون (في السماء) أناس (غير مسيحيّين) أكثر مِنّا (نحن المسيحيّين). لن يُفهَم ذلك إلّا في اليوم الأخير» [أ].

* «إنّ الله لا يُريد موت الخاطئ بل خلاصه». وفي سبيل ذلك:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١ - أحبَّ الله البشرَ حتّى إنّه اشترك في طبيعتنا (بتجسُّده) ليُشركنا في طبيعته (الإلهيّة).

٢ - نزل إلى الهاوية (بعد موته وقيامته، ليُخلِّص) الموتى الذين كانوا في قبضة الشيطان.

٣ - يُدين الناس الذين لم تصل إليهم البُشرى - الصينيّين مثلًا - إدانة خاصّة (مُختلفة عن سائر غير المسيحيّين).

أمّا الآن فقد وصلت البُشرى إلى جميع الناس، في جميع اللغات، وذلك بفضل التكنولوجيا والعِلم والثقافة؛ فالمسيحيّة معروفة في جميع أنحاء العالم. لذلك سيذهب الأشرار إلى جهنّم والأبرار إلى الملكوت. والبُرهان على ذلك، أنّ أريوس ونِسْطوريوس حُرما لأنّهما أنكرا المسيح؛ ولم تُلغِ الكنيسة إلى اليوم الحِرمان (الذي استوجباه، فهُما إذًا من الأشرار)» [س].

* هُناك ثلاثة أُمور مُتكاملة:

١ - «إنّ يوم الدينونة يخصُّ الله، فالله يعمل ما يُريد. وليس من حقّي أن أجعل نفسي (قاضيًا) كأنّي الله.

٢ - (وعلى نقيض ذلك) لا (أستطيع أن) أستنتج شيئًا بعيدًا عمّا أوضحه الإنجيل (مِثل خلاص غير المسيحيّين).

٣ - (وإذا جمعنا ما سبق، يجب الاعتراف بأنّنا) نعيش في لُغز، (ونرى حقيقة هذا الموضوع) كمن يرى في مرآة. فالمسيح لم يكشف لي (مصير غير المسيحيّين)، ولكنّ السؤال ليس: «هل يهلكون؟» (لأنّهم بالفِعل يستوجبون الهلاك، وهذا أمر لا يستدعي السُّؤال عنه لأنّه واضح في الإنجيل). وقد أكون مُقصِّرًا ومسئوليّتي كبيرة (في عدم الكرازة بالمسيح)» [ق].



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## سادسًا - نظرة نقديّة

ما الذي يُمكن أن نستخلصه من هذه الأحاديث؟ لا يسعنا أن نستنبط وِجهة نظر مُنسّقة ونِظاميّة وجازمة للطوائف الثلاث أو لسائر الطوائف الأرثوذكسيّة. ويعود ذلك إلى أسباب واضحة: أوّلها ضآلة عدد الأشخاص الذين أجرينا معهم الحديث؛ وثانيها حصر الأسئلة المطروحة عليهم في بعضها بدون التطرُّق إلى سائر النُّصوص الكِتابيّة ولا إلى أقوال آباء الكنيسة؛ وثالثها عدم حُصولنا على مقالات أو كُتب تعالج قضيّة خلاص غير المسيحيّين، بسبب حساسيّة هذا الموضوع في بيئتنا الإسلاميّة...

وبالرغم من قُصور حديثنا هذا، إلّا أنّه بوُسعنا أن نُثير بعض التساؤلات:

* لماذا لم يتطرّق الخِطاب اللاهوتيُّ الأرثوذكسيُّ إلى مِثل هذه القضايا اللاهوتيّة، ولا سِيّما إلى خلاص غير المسيحيّين بصِفتهم أفرادًا، وإلى دور الدِّيانات غير المسيحيّة بصِفتها دِيانات، بالرغم من أنّ الكِتاب المُقدّس - في عهديه القديم والجديد - يُشير إلى مِثل هذه التساؤلات وإلى قصد الله في خلاص البشر، وإلى تحقيقه سواء أكان بالإيمان بإله الاختيار والعهد، أم بالإيمان بيسوع المسيح والانتماء إلى الكنيسة عبر الأسرار المُقدّسة، أم بحسب الشرائع والضمير والأعمال...؟ وبالرغم من أنّ آباء الكنيسة - شرقًا وغربًا، وعلى مرِّ عُصور تاريخها - قد أبدوا آراءهم في هذه القضايا؟ فلماذا لم تُولِها الكنائس الأرثوذكسيّة أهمِّيّة، على خِلاف الكنيسة الكاثوليكيّة وبعض الجماعات البروتستانتيّة؟ هُناك عِدّة أسباب في نظرنا:



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

### ١- سبب اجتماعيّ

يخال لنا أنّ سببًا من الأسباب يعود إلى كون مُعظم الكنائس الأرثوذكسيّة تتّصف بأنّها أقلّيّات في وسط أغلبيّة إسلاميّة (أو شيوعيّة سابقًا)، فتشعر بأنّها مُهدَّدة لأنّها كنائس وطنيّة لا تحظى بمُساندة الكنيسة الجامعة. لذا فإنّ شُعورها بالتهديد هذا لا يُتيح لها بالجوّ المُلائم لِطرح مِثل هذه القضايا اللاهوتيّة والإيمانيّة، ولا لتدوين مُعتقدها في كُتب أو مقالات قد تقرأها الأغلبيّة.

### ٢- سبب رعويّ

وإنّ لهذا الجوّ أثرًا آخر، وهو التخوُّف من الارتداد إلى الإسلام، ولا سِيّما في ما يتعلّق بالقضايا الزوجيّة حيث لا يستطيع مسيحيٌّ أن يتزوّج مِن مُسلمة بدون أن يُشهر إسلامه. ففي هذا الجوّ، قد يؤدّي الاعتراف بخلاص غير المسيحيّين إلى الإكثار مِن التحويل إلى الإسلام بطريقة طبيعيّة.

### ٣- سبب إيمانيّ

وثمّة سبب آخر، وهو أنّ الإقرار بخلاص غير المسيحيّين قد يُفضي بالمسيحيّين إلى الاعتراف بنِسبيّة الأديان: فإن كان جميع البشر من جميع الأديان يخلصون، فلماذا يكون أو يظلُّ أو يُصبح الإنسان مسيحيًّا؟ ولماذا على المسيحيّ أن يُعلن يسوع المسيح ربًّا وإلهًا ومُخلّصًا؟

إن كان هذا السبب الإيمانيُّ هو الأساس، إلّا أنّ التركيز عليه قد يعود إلى السببين الاجتماعيّ والرعويّ السالفي الذِّكر.

* ولدينا اقتناع - بالإضافة إلى التساؤلات السابقة - ألا وهو



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أنّ أيّ خِطاب لاهوتيٍّ عليه أن يُحافظ على مُفارقة (Paradoxe) النُّصوص الكِتابيّة التي توحي بأمرين قد يظهرا لأوّل وهلة أنّهما مُتناقضان، بيْد أنّهما في الحقيقة مُتكاملان: فمِن جِهة، إنّ الوحي يُعلن ضرورة الإيمان بيسوع المسيح والاعتماد باسمه لنيل الخلاص؛ ومِن جِهة أُخرى، إنّه يُعلن إمكانيّة خلاص جميع البشر بيسوع المسيح وبه وحده، وإن لم يعرفوه ولم يؤمنوا به، بِناء على قصد الله الخلاصيِّ الشامل، وبحسب شرائعهم أو ضميرهم أو أعمالهم.

فكيف التوفيق بين قُطبي حقيقة الخلاص المُتناقضين ظاهريًّا، والحِفاظ عليهما، والإيمان بهما؟ هذا هو دور اللاهوتيّين. فعلى اللاهوتيّين الشرقيّين أن يأخذوا بالاعتبار جِدِّيًّا قصد الله الخلاصيّ الشامل، وإمكانيّة خلاص جميع البشر بما فيهم الذين لا يؤمنون بيسوع المسيح ولا يعتمدون باسمه ولا ينتمون إلى كنيسته (وذلك بموجب متّى ٢٥/ ٣٤-٤٠ وروم ٢/ ١٢-١٦ وغيرهما من النُّصوص الكِتابيّة). كما أنّه يقع على عاتق اللاهوتيّين الغربيّين أن يأخذوا بالاعتبار جِدِّيًّا ضرورة الإيمان بيسوع المسيح والاعتماد باسمه (وذلك بموجب مر ١٦/١٦ ويو ٣/ ٥ وغيرهما من النُّصوص الكِتابيّة). فاللاهوتيّون الشرقيّون والغربيّون في أمسِّ الحاجة إلى تضافر جهودهم اللاهوتيّة للتفكير في قضيّة خلاص غير المسيحيّين وقضيّة وضع الأديان غير المسيحيّة اللاهوتيِّ في قصد الله الخلاصيِّ الشامل. ولم تعد المسألة الاختيارَ بين وُجهتي نظر مُختلفتين، بل الحوارُ اللاهوتيُّ المسكونيُّ المبنيُّ على احترام كُلِّ وِجهة نظر لاهوتيّة، والاستفادة من كُلِّ وِجهة نظر لاهوتيّة، وقبول سِرِّ الله المُعلَن عنه في الوحي والذي سيتجلّى ويكتمل في يوم الدينونة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فلقد أشارت الأحاديث إلى أنّ موضوع الدينونة يخصُّ الله لا الإنسان، واعترفت بأنّ قضيّة خلاص غير المسيحيّين مطروحة، فلم تُغلِق إذًا على اللاهوتيّين باب الاجتهاد. إذًا يجب عليهم أن يؤدّوا رسالتهم اللاهوتيّة - ولا سِيّما الاجتهاديّة - في هذا المِضمار.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُلحق ٢

# بعض النُّصوص الروحيّة في خلاص جميع البشر

## المُقدِّمة

نورد ثلاثة نُصوص أُرثوذكسيّة الأصل وثلاث كاثوليكيّة الأصل، حول ما تُثيره قضيّة جهنّم مِن فهمٍ وتساؤلات في الفِكر اللاهوتيّ المُعاصر.

## أوّلًا - ليس جهنّم لأجل الآخرين إطلاقًا

«كان الأب صُفْرونيوس[١] يشرح لي بهُدوء أنّنا لا نستطيع أن نتكلّم على جهنّم كلامًا موضوعيًّا، ولا أن نتكلّم عليه لأجل الآخرين، ذلك بأنّ الإنسان ليس وحده، لأنّ الله لا يترك أحدًا، وبأنّ شركة القِدّيسين - وهُم الخطأة المغفور لهم - تُذوِّب السِّجن النِّهائي، سِجن الأنا الذي ينغلق على ذاته... لا يُمكن أن تكون «المُسامحة الشاملة»[٢] يقينًا، لأنّها تعني تفريغ الحياة الروحيّة من

(١) راهب من دير جبل آثوس للروم الأرثوذكس في اليونان.

(٢) نظريّة لاهوتيّة، تعود إلى أوريجينُس، تدّعي أنّ الله سوف ينسى خطايا البشر وزلّاتهم كُلّها، وبالتالي لن يستوجب أحد جهنّم. وترفض الكنيسة هذا المُعتقد لأنّ الله يأخذ بالاعتبار حُرّيّة الإنسان الذي قد يُصمِّم النيّة والقرار على رفض الله، فيختار بمحض حُرّيّته أن يحيا بدونه، وهذا هو جهنّم الذي ليس هو 'عِقابًا' من الله، بل هو 'اختيار' من الإنسان اختيارًا حُرًّا ضِدّ الله.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

جِدِّيّتها، والحُرِّيّة الإنسانيّة من عظمتها المأساويّة. غير أنّ «المُسامحة الشاملة» يجب أن تكون موضع صلاتنا وحُبِّنا الفعّال ورجائنا. هكذا توصّل الأب صُفْرونيوس إلى أن يقصّ عليّ قِصّة صانع الأحذية الإسكندرانيّ، وقد تداولت بين الرُّهبان من جيل إلى جيل مُنذ القرن الرابع.

«إن الأنبا أنطونيوس - أبا الرُّهبان وبطل المسيح - سأل المسيحَ يومًا من الأيّام أن يُبيِّن له ما إذا كان على الطريق السليم. فقال له المسيح: «نعم، ما تفعله عظيم، ولكنّ هُناك في الإسكندريّة صانع أحذية يفوقك».

فذهب أنطونيوس ليُقابل صانع الأحذية الذي ما كان عِنده شيء يقوله له، لأنّ حياته كانت عاديّة جدًّا. فعرّف أنطونيوس نفسَه إلى صانع الأحذية الذي ارتمى عِند قدميه وقال له: «قد يكون أنّ كُلّ ما أربحه أُقسِّمه إلى ثلاثة أجزاء مُتساوية، جزء للأفقر مِنّي، وجزء للكنيسة، وجزء لأُسرتي».

ولكنّ أنطونيوس لم يقتنع بهذا الكلام، لأنّه كان قد باع كُلّ ما يملكه ووزّع المال على الفقراء، بعد أن استمع في الكنيسة إلى تلاوة أمر يسوع للشاب الغنيّ: «واحدة تُعوزك: اِذهب فبع كُلّ ما تملك وتصدّق به للفُقراء... ثُمّ تعال واتبعني».

حينذاك، كشف أنطونيوس لصانع الأحذية ما قال له المسيح نفسه.

فأخذ هذا يُفكِّر ثُمّ قال: «قد يكون أنّ اليوم كُلّه في أثناء عملي، أُشاهد العديد من المارّة - لأنّ مدينة الإسكندريّة هذه كبيرة جدًا - فأُصلّي: «ليكونوا جميعًا مُخلَّصين، فأنا وحدي أستوجب



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الهلاك». فتابع الأب صُفْرونيوس، قائلًا:

«- ليس جهنّم لأجل الآخرين إطلاقًا. ومَن يكتشف نفسه في جهنّم، وإلى حدٍّ ما مسؤولًا عنه وشريكًا معه، فهذا لا يُمكنه إلّا أن يجد فيه المسيح.

- ولكن، إذا رفض أن يفتح قلبه، فجهنّم أبديٌّ له.

- في هذه الحالة، ثِقْ تمامًا بأنّ المسيح سيكون معه...».

Olivier CLEMENT, *L'autre soleil – Autobiographie spirituelle*, pp. 160-161.

الشمس الأُخرى - سيرة ذاتيّة روحيّة

## ثانيًا - جهنّم بين الخوف والأمل

«إنّ الراهب سِلوانُس - وقد تُوفِّي في جبل آثوس في السنة ١٩٣٨ - سمع المسيح يقول له: «اِحفظْ فِكرك في جهنّم، ولكن لا تيأس».

فما معنى ذلك، سِوى أنّه مِن المُستحيل الكلام على جهنّم بطريقة مُحايدة، وبنظريّات مُنسَّقة، وبنيّة مخفيّة، أنّ جهنّم هو لأجل الآخرين بلا شكّ. لذلك وجب ذكره بصيغة «الأنا» و«الأنت» فحسب، في إطار من الندم والرجاء، ذلك لأنّنا «نخلُص بين الخوف والأمل» بحسب تعبير أمبروسيوس الأُبْتينُوِيِّ في القرن الماضي [التاسع عشر].

فإنّ ويْلات الإنجيل تعنيني «أنا»، وهي مأساة مصيري الهائلة، وهي تدفعني إلى الاهتداء الجذريِّ وإلى الوعي أنّني في جهنّم بل وأنّني مسؤول عن جهنّم، ومن هُنا بالأخصِّ أنّني - إذا لم أيأس بل تواضعتُ كُلّ التواضع - أشترك في حضرة المسيح وقد انتصر على جهنّم للأبد.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأمّا لك «**أنت**» - أي الأقرباء الذين لا يُحصى عددهم - فليس بوُسعي إلّا أن أخدم وأُصلّي وأرجو أنّك ستخلُص، وأنّ المسيح سيؤثّر فيك بالغ التأثير بحنانه وبهائه، حتّى إنّ شكوكك وتحفُّظاتك وتشنُّجاتك ستتلاشى ليحلّ محلّها «الفرح العظيم». فلا يُمكن أن تكون «المُسامحة الشاملة»[٣] موضع يقين، بل إنّها هدف جِهادنا الروحيّ. فلنُصلِّ ولنُميِّزْ في سبيل أن تُفني نارُ الدينونة - وهي نار المحبّة الإلهيّة - لا الأشرارُ، بل في كُلٍّ مِنهم اغتصاب الشرّ لهم. فإنّ الديّان هو المُدافع أيضًا، وإنّ الصليب يُمثِّل «دينونة الدينونة» كما قال مكسيموس المُعترف. وقد لاحظ إسحق السريانيُّ أنّ «خطيئة أيِّ إنسان، مُقارنةً برحمة الله، هي كحِفنة من الرمل في بحر لا حدّ له» (حِكمة ١٠٧). وإنّ الخطيئة الحقيقيّة - في نظره - هي عِبارة عن عدم الانتباه إلى القيامة التي تُقيمنا من عُمق جهنّم إلى «فرح حُبِّ المسيح. فما جهنّم أمام نِعمة قيامته؟» (حِكمة ١١٨).

لذلك رفضت الكنيسة غير المُنقسمة مُعتقَد «المُسامحة الشاملة»، ولكنّها دمجته إذ اعتبرته رجاء وصلاة. وإنّ للعديد من الآباء الغربيّين موقفًا مُماثلًا لموقف العديد من الآباء الشرقيّين. فأكّد القِدّيس أمبروسيوس الميلانيُّ أنّ «الإنسان الواحد مُخلَّص ومُدان في آن واحد» (الآباء اللاتين ١٥/ ١٥٠٢). فإلى ماذا يحتاج ليخلُص، سِوى أن يُدرك أنّه مُدان ولكن مِن دون أن ييأس؟ وسِوى أن ينفتح على ابتهاج القِيامة بفضل شركة القِدّيسين؟

ليست الكلمة الأخيرة في المسيحيّة لجهنّمَ، بل للانتصار على

(٣) راجع الهامش (٢).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

جهنّم. فإن كان الله لا يعدنا بـ«المُسامحة الشاملة»، فلأنّه ليس بمقدوره إلّا أن يُقدِّمها لنا، فينتظرها مِنّا ومِن حُبِّنا.

«إنّما الكلمة الأخيرة تخصُّ العيد».

Olivier CLEMENT, *Questions sur l'homme ?* pp. 210-211

هل مِن تساؤلات حول الإنسان؟

## ثالثًا - مُتفرِّقات

* «إنّ حُدود الكنيسة في شأن ما وراء الموت
وإمكان خلاص الذين لم يعرفوا النورَ في هذه الدنيا
يظلُّ لنا سرّ الرحمة الإلهيّة
فلا نجرؤ أن نتّكل عليه
وبالرغم من ذلك، فلا يُمكننا أن نُحدّ منه
مُعتمدين على مقاييسنا البشريّة».

Vladimir LOSSKY

* «بإيماني أومن بوُجود جهنّم
برجائي أرجو ألّا أذهب إلى جهنّم
بمحبّتي أُحبُّ ألّا يذهب أحد إلى جهنّم».

Xavier LEON-DUFOUR, SJ.

* «ماذا تُراه يقول الربُّ
لو وصل قِسم مِنّا إلى السماء بدون الآخر؟»

Karl RAHNER, SJ.

* «إذا وُجِد هالكون، فسيكونون للأبد أشبه بآثار المسامير المؤلمة بيديِّ المسيح ورِجليه، وهو يحتفظ بها على أنّها



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

علامات للرفض والكراهية... لن يبقى سِوى حلٌّ واحد ومؤلم، وهو أن يحتفظ في ذاته بأعمال رفض محبّته، ويتألّم للأبد بسبب شقاء مخلوقاته. ها نحن قد بلغنا عتبة سِرِّ العذاب الإلهيّ».

Charles DELHEZ, SJ.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُلحق ٣

# لِقاء فرنسيس الأسّيزيِّ والسُّلطان مالك

## أوّلًا - دوافع اللِّقاء

### إعلان البُشرى

«- الأخ فرنسيس: إنّ قبر الربِّ مُدنَّس، والدم المسيحيّ مسفوك، وبعض الناس يموتون، **وغير المؤمنين لم يُبشَّروا**. وأنا أكتفي بإعلان آلام الربِّ بالكلام فقط؟ تلك فضيحتي!

[...]

ينبغي لي أن أُعلن **السلام** للقريبين، وللبعيدين أيضًا: السلام الإلهيّ الحقيقيّ المُعطى لجميع البشر في يسوع المسيح. مَن سيُعرِّفهم إيّاه؟ مَن سيمنحهم أن يختبروا رحمة الربّ؟ في الوقت الذي تستخدم فيه المسيحيّة جمعاء السلاح مرّة أُخرى ضِدّ الشرق، بِناء على دعوة السيِّد البابا، كيف لا أحترق بالشوق إلى أن آتي بالسلام؟

+ قال الأخ ماسّيو: سيقتلونك.

- أجابه فرنسيس: إنّ الربّ لم يخشَ الموت. الموضوع هو أن نعرف ما إذا كُنّا مُصمِّمين على **اتِّباعه إلى النِّهاية**.

[...]



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ العالم مُمزَّق: مِن جِهة المسيحيّة، ومِن جِهة أُخرى الإسلام. أين أبناء السلام المدفوعين بالرغبة في لِقاء سائر البشر، بل جميع البشر، ليُكوِّنوا معهم **عائلة الآب الكبيرة**؟ (ص٤٧-٤٨).

## وحدة البشر الإلهيّة

«إنّ هؤلاء الرِّجال [المُسلمين] هُم أيضًا قد **فداهم دم المسيح**، وقد وعدهم بالحياة الأبديّة. يتوجّب الذّهاب إليهم، والحديث إليهم، وإعلان بُشرى الخلاص لهم، ومُصارحتهم بأنّه يُمكننا العيش معهم أصدقاءً وإخوةً لنا، بما أنّنا **أبناء الآب السماويّ الواحد**. إنّ ذلك الإجراء لَضروريٌّ ومُلحّ، لأنّنا مسيحيّون، فلا يجوز لنا، بدون ذلك، أن نقول: 'أبانا...'.» (ص٨٧)

## دور الكنيسة في جمع شمل البشر

«- فرنسيس: لسنا مُغامرين. ما نبغي تحقيقه ليس عملنا الخاصّ.

+ سأله الفارس: وإن فشلتم؟

- أجابه فرنسيس: إنّ **الكنيسة** لا تفشل. إن فشلنا، سيأتي غيرنا ليُكرِّروا العمل. نحن بلا أهمِّيّة، ولكنّنا لسنا وحدنا، بل نُكوِّن حلقة في سِلسلة لا تُقهَر. إنّ الكنيسة تسير مع القُرون. إنّها تتقدّم ببُطء وبصبر. وتبدو أحيانًا وكأنّها لا تتقدّم البتّة، مِثل السفينة العِملاقة في عُمق البحر. ولكنّها تتقدّم بالرغم مِن ذلك. وما مِن حاجز ولا مِن فشل يستطيع أن يوقفها. ولأنّها، في عُمق أعماق كيانها، عزم راسخ للخلاص، و**الخلاص الشامل**، فإنّها تسير نحو اكتمالها بهُدوء الأنهار الكبيرة، ونحو **جمع البشر أجمعين** في شعب وحيد عظيم، وهو شعب الله. إنّ الطريق طويل، غير أنّ عدد السِّنين



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لا أهمّيّة له. ومُقارنةً بمِثل هذا العمل الذي يشمل جميع العُصور، ما قيمة حياتنا الشخصيّة البسيطة؟ لا شيء. لا ينبغي وضعها في الحُسبان. إنّما المُهمُّ أن نشترك في روح الربّ، وأن نسير حيث يهبّ». (ص٦٦-٦٧)

«إنّ الربّ، في الإنجيل، لا يُطالبنا بالنجاح. فليس ذلك شأننا، بل يُطالبنا بإعلان الإنجيل للخلق أجمعين فقط، وبألّا نخشى أن نفقد حياتنا». (ص٦٩)

## تحقيق وحدة البشر

«+ قال أوليفييه، الفارس الصليبيّ، لفرنسيس: لا يتّحد البشر حقيقةً إلّا مُتكتّلين لمُحاربة عدوٍّ مُشترك.

- أجاب فرنسيس: ذلك حقيقيّ. غير أنّ ما مِن شيء عظيم ومُستديم يُعمل ضِدّ شيء. إنّ **وحدة البشر** الحقيقيّة لا تتحقّق ضِدّ أُناس آخرين، ولا ضِدّ أيِّ شيء. الحقُّ أنّ تِلك الوحدة الأصيلة لا يسعنا، نحن البشر، أن نصنعها. بوُسعنا نحن أن نكتشفها، ونتقبّلها، وندَعَها تنمو فينا وحولنا فقط. وذلك أمر عظيم.

+ فسأله الفارس الشابّ مُثارًا: لماذا تقول إنّه لا يسع البشرَ أن يصنعوا الوحدة؟

- لأنّ الوحدة حاضرة، وذلك يتجاوزنا. إنّها أعمق ما في الخليقة. وأمّا نظرتنا فهي محدودة وسطحيّة، فنُريد أن نُنظِّم الأُمور بحسب ما نراه، ولكن، في نِهاية المطاف، ما قيمة تلك المُستويات السطحيّة؟ إنّها تفشل مِن جِهة أو أُخرى.

[...]



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّي أعترف اعترافًا واضحًا بأنّ وحدة البشر لا يُمكنها أن تتحقّق تحقيقًا حقيقيًّا ضِدّ الآخرين، بإقامة حواجز. **لا تتحقّق الوحدة ضِدّ، بل مع**: مع كُلِّ ما هو موجود، ومع كُلِّ ما يُريده الله. إنّ الإنسان الذي يتقبّل هكذا كُلّ ما هو موجود، يرى عُمق حقيقة العالم ينكشف له كشفًا تدريجيًّا، ويفتح نفسه على الوحدة، ويكتشفها على ذلك المُستوى حيث **جميع الأُمور تتماسك تماسكًا أخويًّا في يد الله**. إنّه يكتشف ذلك ويدخل فيه.

+ فسأل الفارس: وما تلك الوحدة العميقة التي لا تظهر أبدًا ولا يراها أحد في أيِّ مكان؟

- كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ إنّ تلك الوحدة تراها في كُلِّ مكان وفي كُلِّ خُطوة. إنّها لعظيمة، متينة، مُشعّة.

[...]

إنّ القُدرة [الإلهيّة] العظيمة الخلّاقة حاضرة للخليقة. كُلُّ ما في الوُجود يدفعه تيّارٌ كُلِّيُّ القُدرة. إنّ عالمنا الصغير يسير على البحر الإلهيّ، وهُو يتبع مجراه واندفاعه. إنّما عُمق **وحدة العالم حُضورُ الله نفسه لخليقته**.

[...]

... هُناك الحُروب بلا شكّ. ولكن، في ذلك العالم البشريِّ الغريب القاسي، سيكون هُناك دائمًا مكان **لإيمان القِدّيسين ولصبرهم**، وهُما يُنبتان ويَنموان بِبُطء وصبر. ورُبّما سيُصبحان يومًا مِن الأيّام أعظم شيء على وجه الأرض، مِثل حبّة الخردل الصغيرة التي يصفها الإنجيل.

+ إنّه لأمل ضعيف جِدًّا.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

- **إنّه لأمل يتحقّق تحقيقًا سريعًا لو تركنا الله يعمل.**

[...]

كُلُّ ما في الوُجود مدعوٌّ إلى أن ينمو معًا: لا جنبًا إلى جنب، ولا وجهًا لوجه، بل معًا، في وحدة مُتجانسة مِثل أعضاء الجسد الواحد. ذلك هو معنى ترك الله يعمل، واكتساب إيمان القِدّيسين وصبرهم». (ص ٧٢-٨٠)

## تجربة الشِّرّير

«+ [الشِّرّير:] أنت تؤمن **بالوحدة والأُخوّة** والحُبِّ وتلك الحماقات المُعَسَّلة الثاغية. أنت لا تزال تعيش في زمن جنّة عدن، في الحُلم. نِعمَّ ما تفعل. داوِمْ على أن تتعلَّل **بالأوهام**. إنّي بحاجة إلى تلك **السذاجة** الفادحة أيضًا، وأتنعّم بها. ثمّة بعض الناس يعيشون في الرجاء، ثُمّ يقعون في **اليأس** يومًا من الأيّام. وإنّي أتكيّف مع كُلِّ واحد منهم. وعِند الحاجة، أؤجِّج أنا بنفسي شُعلة الرجاء، وأنفث الساخن ثُمّ البارد. ففي سبيل نزع الإيمان والوحدة مِن قلب الإنسان، ما مِن شيء أفضل مِن أن أدفعه إلى أن يندفع جسدًا وروحًا نحو السعي وراء تلك الوحدة، وأن أجد له فُرصة **الانهزام**. نعم، ما مِن شيء أفضل مِن ذلك لشِفاء الإنسان من السذاجة. حينذاك، تنفتح عيناه على الواقع، وقلبُه على اليأس، فيرى الحقيقة، وهي أنّ العالم **مُنقسم** إلى الأبد. ها إنّي أتفنّن في وضع **خيبة الأمل** في القُلوب. إنّي أزرع اليأس. نعم، وسيأتي يومك، أيُّها الراهب الصُّغيِّر، حيث ستصرخ وتقول، بعد العديد مِن الناس، بعد أن تغمز بعينيك: 'الآن، لقد فهمتُ. ما الحُبُّ إلّا وهم'. حينذاك سيكون لك نصيب في المعرفة وفي القُدرة».

[...]



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

- رسم فرنسيس الصليب وتمتم: 'يا ربّ، أنت وضعتَ في قلبي **رغبة جُنونيّة في الحُبّ**. اِجعلني صغيرًا جدًّا حتّى لا أيأس أبدًا مِنك، أنت الحُبّ'». (ص٨٣-٨٤)

## زمن الله في وحدة البشر

- «أيُّها الإخوة، اِسمعوا [النُّجوم]: إنّها تقول إنّ الذي يُريد أن يصنع أعمال الله، ينبغي له ألّا يتجاوز سُرعة الله، بل أن **يسير بسُرعة الله الأبديّ**: ذاك الذي خلق النُّجوم، لا يتعامل مع الأُمور بمقاييسنا، بل، في نظره، كُلّما ازداد الأمر أهمِّيّة، طال وقتُ تحقيقه، ذلك بأنّه يحتفظ به مُطوَّلًا **بقُربه وفي سِرِّه**. ثُمّ إنّه **يُعدُّه مِن بعيد**، مِن بعيد جِدًّا، بِبدايات مُتواضعة. هكذا يتسرّع الله.

[...]

إنّ الله يُحبُّ **الإعدادات البعيدة المدى**، والإنباتات البطيئة. نعم، هكذا يتسرّع الله.

وما يبدو لنا غريبًا ومُحيِّرًا، أنّ الله، في إعداداته البعيدة، **يُدخل ما يُناقض قصده**، أي نظرتنا الضيِّقة وأخطاءنا. وإذ يُريد خلق شيء عظيم ومُقدَّس، وكائن على صورته، فإنّه يأخذ جبلة، لأنّ الجبلة أضعف الأُمور مُقاومةً لعمله». (ص٩٩-١٠٠)

## ثانيًا - اللِّقاء

«إنّ جميع هؤلاء العُلماء [المُسلمين] قد جاءوا هُنا على أمل أن تُتاح لهم فُرصة إظهار مقدرتهم على المُجادلات الحاذقة. وها إنّهم يلتقون **شخصًا فتّانًا**. ولا يُمكن مُناقشة فتّان، بل التأثُّر به أو رفضه.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كانوا ينظرون جميعًا إلى السُّلطان، ويُراقبون أصغر رُدود فِعله: في البِداية، كان مالك الكامل يبدو هادئًا، ملهيًّا بعض الشيء، وهو يُصغي إلى فرنسيس إصغاءه إلى راوٍ في سهرة سمر. ولكنّه تأثّر به تدريجًا، وسُرعان ما جدّت ملامح وجهه. ولم يبدُ مُتعجِّلًا في أن ينتهي مِثل ذلك الحديث. وإذ هتف فرنسيس، خاتمًا حديثه: 'ألا يزال قلبكم غير مُبالٍ، مع أنّ الربّ يتقدّم إليكم كالأب لأبنائه؟'، بدا على وجه السُّلطان أنّه مُعجَب بالرجل الذي كان أمامه. وإذ كان المالك الكامل خبيرًا في معرفة البشر، ظهر له فرنسيس رجلًا غير عادٍ، وقد أثّر فيه أمران: شجاعته وطابعه الروحيّ العميق. وما زاده إغواء، تهذيبُ مُعاملته وإنسانيّتُها العظيمة. فما مِن سبٍّ ولا مِن استفزاز، ولا أثر لأيِّ تعصُّب لدى ذلك الرجل، بل عن طريقه صداقةٌ إلهيّة. قد سبق للسُّلطان أن سمع عن الدين المسيحيّ، ولكنّ ما سمعه الآن حمله إلى ما يتجاوز العُروض الجافّة والمُجرَّدة التي كان عُلماء الكلام يعرضونها عليه.

غير أنّ اعتراضًا ألحّ عليه، ولم يستطع أن يحتفظ به: 'لماذا المسيحيّون، الذين يؤمنون بإله المحبّة ويتفوّهون دائمًا بلفظ المحبّة، يُداومون على مُحاربتنا؟ ليست تصرُّفاتهم وديعة'.

[. . .]

اكتفى فرنسيس بأن أجابه بكُلِّ تواضع ورزانة: 'يا جلال الملك، إنّ الحُبّ غير محبوب. إنّ الحُبّ مصلوب دومًا في هذا العالم'. [. . .] مُنذ أن قرّر أن يتبع المسيحَ المُتواضع الفقير، لم يطمح إلّا في أن يكون أصغر الناس وخادم الجميع. [. . .] قد خرج مِن العالم المسيحيِّ الزمنيِّ ليخدم إخوته [البشر]. هكذا فقد توغّل في أعماق سِرِّ الكنيسة. فلا شيء كان يمنع الآن ذلك السِّرَّ مِن أن يعمل



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيه. كان فرنسيس يتأمّل في الحُبِّ المصلوب. وكان يشتاق **الاستشهاد** اشتياقًا، لا رغبة في الألم، بل لأنّه كان في صميم السِّرّ، حيث لا تحتفظ الحياة بنفسها، بل تبذل نفسها. ففي نظره، ما مِن شيء كان أكثر شبهًا بعُمق حياة ملكوت الله مِن حُبِّ الأُمِّ المُتواضع واللامحدود. وكثيرًا ما كان لسِرِّ التقوى هذا بالغ الأثر فيه.

[. . .]

وإذ دعا المالك الكامل فرنسيس إلى تمديد إقامته، أجابه: 'إن أردتَ أن **تهتدي إلى المسيح مع شعبك**، فسأُقيم بينكم بكُلِّ طيبة خاطر، حُبًّا له'.

فأجابه السُّلطان: 'للأسف، لا أستطيع أن أعِد هذا الوعد، إذ عليّ أن آخذ بالاعتبار شعبي الذي لن يفهم ذلك، بل سيعتبره خِيانة وسيثور'. [. . .] وعِندما ودّعه المالك الكامل، أسرّ إليه بقوله: 'صلِّ الله لأجلي حتّى يُعرِّفني الدين الحقيقيّ'.

[. . .]

[وفي طريق العودة، قال فرنسيس لرفيق طريقه:] 'نعود وأيادينا فارغة، مِثل فعلة لم ينجحوا في العمل، أو رُفضوا لأنّهم فاشلون. [. . .] فنحن لم **نهدِ** أحدًا، والربُّ لم يُرد **حياتنا** إذ لم نستحقّ أن نتألّم لأجل اسمه. ومِثل موسى لم ندخل أرض الميعاد'».
(ص ١٤٠-١٤٤)

## ثالثًا - خواطر فرنسيس إثر اللِّقاء

### الشُّعور بالفشل

«كان قد فشل في مشروعه **للسلام**، ذلك بأنّ سعيه إزاء



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

السُّلطان ظلّ بلا نتيجة: لم ينجح في أن **يعترف غيرُ المؤمنين بالربِّ يسوع**، ولا حتّى أن يُعطيهم **شهادة الحُبِّ العُظمى**. كما أنّه لم ينجح نجاحًا أعظم إزاء **الصليبيّين**. ولم يتوصّل إلى **مُصالحة البشر**، ولا إلى منعهم مِن أن يقتتلوا. فقد شهد **انهيار جميع أحلامه**. وفوق كُلِّ شيء شهد **الاستهزاء بسِرِّ التقوى**.

[...]

إن **إيمانه الخالص بالوحدة وبالأُخوّة**، وهِمّته لتعزيزهما، قد انكسرتا لقسوة أرض الواقع. لقد انقشعت مِن أمامه الآن **الهاويةُ التي تفصل بين البشر**. فهل ستُردَم تلك الهاوية يومًا من الأيّام؟ ألم يُصبح **العالم مُنقسمًا** بلا رجعة؟ رُبّما هكذا كان الأمر دائمًا، وهل يُرجى أن يكون الوضع مُختلفًا؟ أليست الرغبة في تغيير طبيعة الأوضاع أمرًا مُتهوِّرًا بل وعبثيًّا؟ لا يُمكن مُقاومة العاصفة». (ص١٤٨)

## من الفشل إلى الإيمان

«في صمت وسِرِّيّة، أخذ فرنسيس يتأمّل **ربّه المصلوب**: هو، أقلُّه، يؤمن **بالحُبّ**، لأنّه الحُبّ. إلّا أنّ **الحُبّ كان غير محبوب**، ولا يزال إلى اليوم غير محبوب. قد صُلب ولا يزال مصلوبًا. لم يعُد الحبُّ يُوجِّه العلاقات البشريّة، بل شريعةٌ حجريّة. هل سيُحَبُّ الحبُّ يومًا مِن الأيّام؟ ولو خُدع المسيح في حُبِّه؟ يا لها مِن فِكرة مُريعة، وقد تملّكت نفسَ فرنسيس وخنقتها بطريقة خدّاعة: 'اِعترِفْ إذًا أنّك انخدعتَ، وأنّ **العالم ما هو إلّا انقسامات وعُنف وصِراعات** في سبيل السُّلطة والمجد. ومَن انتصر بالعُنف أصبح السيِّد، ولا سيِّد في السماء والأرض غير الأقوى. والآن، أيّها الراهب الصُّغيِّر، أنت أيضًا اِغمزْ بعينيك وصفِّق بيديك وردِّد: 'لقد عبدتُ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وكرهتُ، وفهمتُ أخيرًا'. حينذاك، ستكون قويًّا مع الأقوياء، بل أقوى مِن جميع الذين لم يفهموا شيئًا البتّه'.

كلّا، لم ينخدع فرنسيس، **ولم يكن موضوع إيمانه وهمًا**. كان يعي ذلك كُلّ الوعي. أليس **الأقوى في الأرض والسماء هو الحُبُّ الذي صنع السماء والأرض؟** ما مِن شكٍّ في ذلك. وأمّا سبب فشله، فيعود إلى نفسه، وقد اعترف بكِبريائه. هكذا وضع نفسَه أمام الله، وفي داخل نفسه المُضطربة، كان السلام يتغلغل.

[...]

وفي طريق العودة إلى إيطاليا، خطر بباله أنّه يجتاز بِدايةَ **ترحُّل داخليّ**، ذلك بأنّ الاستشهاد الذي بحث عنه بلا جدوى خارجًا عنه، تعبيرًا عن أمانته القُصوى وتشَبُّهه الكامل بربِّه، عليه الآن أن يجده **في باطنه، وفي صميم إيمانه**، ذلك بأنّ الإنسان لا يجعل نفسه شهيدًا، ولا يختار هو نفسه جلّاديه، فضلًا عن أنّ عظيم شدائد الحُبِّ ليس في الشدائد الجسديّة، بل في الشدائد الإيمانيّة». (ص١٤٨-١٥١)

مُقتطفات من نفي وحنان

Eloi LECLERC, *Exil et tendresse*, Editions franciscaines, Paris, 1962.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com



# رأي مُفكِّر إسلامِيٍّ في حِوار الأديان

## الإسلام والحِوار
## - أفكار حول موضوع يشغل بال العصر -

مُحمّد الطالبيّ[١]

## أوّلًا - شُروط الحِوار

إن كان الحِوار مُمكنًا فليس هو - لا محالة- بالهيِّن، ولذلك يجب أن نضبط له شُروطه حتّى نُحقِّق له أوفر حُظوظ النجاح ويجني ثِماره كُلٌّ مِن الطرفين. ولذا يجب أن نتجنّب موقفين ينتج عنهما سوء تفاهم وخيبة ومرارة: وهُما عقليّة الجدل وعقليّة التنازل والمُصانعة.

### علينا أن نتجنّب الجدل

لقد أحدثت عقليّة الجدل في القُرون الوُسطى خُسارات لا

(١) مؤرِّخ ومُفكِّر إسلاميٌّ جزائريٌّ مُعاصر تخصّص في دِراسة تاريخ القُرون الوُسطى، وتبيّن له إلى أيِّ حدٍّ تحوّل - بين الناس - الإخلاصُ إلى الله وحبُّ الحقيقة إلى كارثة، بسبب الانغلاق وعدم التفتُّح والحِوار. وقد حرّر هذا المقال في ١٩٨٨.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تُحصى، مادِّيّة وفِكريّة وأخلاقيّة، وذلك أنّها ساعدت على التشويه الكاريكاتوريِّ وعلى التزييف وقِلّة التفاهم، وأذاعت الأباطيل على أنّها حقائق. ولقد قال مونْتْغُمري واطْ إذا بحث مُسلم ومسيحيٌّ عن حُجج يُفنِّد الواحد بها أفكار الآخر، فإنّهما يجدان الكثير وبكُلِّ سُهولة، ولكنّ هذا لا يؤدِّي بهما إلى الحِوار.

ولذا يجب أن نتخلّى نِهائيًّا عن أن نجعل غاية الحِوار - في السِّرِّ أو في العلانية - جعلَ الطرف المُقابل يعتنق ديننا. فإذا فهمنا الحِوار على أنّه منهج جديد لنشر الدِّيانات وطريقة لاستئصال عقائد الغير وجعلَه يتقهقر ويستسلم، فإنّنا - طال الزمن أو قصُر - سنجد أنفسنا في الموقف نفسه الذي وجد أسلافنا فيه أنفسهم في القُرون الوُسطى، ولم تتغيّر إلّا الخِطّة الحربيّة التي التجأنا إليها.

أن يُقال مثلًا للمُسلمين ما قاله هِنري نوسْليه في حِوار مع الإسلام:

«إنّ الغرب لقادر أن يهبكم شيئًا أحسن من ثقافته وأحسن من مُخترعاته، هو قادر على أن يهبكم ملكوت المسيح».

ليست هذه هي اللهجة المُلائمة، رغم صراحة الكاتب وعواطفه التي لا شكّ في نُبلها.

لقد ظهرت اليوم هُوّة أعمق فرّقت بين جماعة تعتزم صُنع مصير الإنسان بمعزل عن الإله، وجماعةٍ أُخرى لا تتصوّر هذا المصير إلا بالله وفي الله. جماعة تُلقي بجميع الأديان دون تمييز بينها في سُلّة الأساطير القديمة، وجماعة مازالت تؤمن بحقيقة هذه الأديان، تِلك الحقيقة المُطلقة التي لا نِهاية لها والتي لا يستطيع الإنسان سبر أعماقها.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## علينا أيضًا تجنُّب التنازل والمُصانعة

فالدين الذي لا يضع نُصب عينيه أن يعتنقه كُلُّ مَن لم يدخل بعد في نِطاقه، ألا يتخلّى عن نزعته إلى أن يكون شُموليًّا؟ ألا يُنكر نفسه؟ ألا يخون واجب التبشير برِسالته؟

ليس لأحد - مؤمنًا كان أو مُلحدًا - أن يتلاعب بعقيدته. فالعقائد إذا كانت صافية عميقة لا تُشترى بالمال. فليس لنا إذًا أن ننتقل من موقف مُتطرِّف إلى آخر، وأن نسعى بدافع من حُبِّ التوفيق، لا تحت تأثير تطوُّر نفسانيٍّ قاهر، إلى إيجاد حُلول تقوم على التنازل والتواطؤ مع مذهب الجمع، ومُحاولة التوحيد بين عقائد مُختلفة ومُتنافرة تمتزج وتلتحم في نِهاية المطاف التحامًا مُصطنعًا، فليس الحوار عملًا سياسيًّا يعتمد على فنِّ التنازل والتواطؤ، بل هو أرفع مُستوى، يفترض الصراحة التامّة ويقتضي مِن كُلِّ طرف أن يُعبِّر عن نفسه تعبيرًا كاملًا دون تهجُّم ولا تنازُل.

وهكذا تُصبح الدعوة ضرورة ولكن بمنظور التفتُّح على الغير والانتباه إليه، تُصبح بحثًا مُتواصلًا عن الحقيقة وذلك بالتعمُّق في فهم القِيم الدينيّة والإيمان بها إيمانًا راسخًا، حتّى تصير حياة الإنسان شهادة بحتة. وأُطلقَ في اللُّغة العربيّة على هذه الدعوة إلى الإيمان اسم «الجِهاد». وإنّ أصفى أنواع الجِهاد وأعسره وأخصبه في آن واحد هو الجِهاد الأكبر الذي يقع داخل النفس البشريّة.

فالدعوة بمِثل هذه الشهادة هي أخصب دعوة، وهي بالإضافة إلى ذلك الدعوة الوحيدة التي تتماشى مع عصرنا. وقد نصّ القرآن على احترام الغير احترامًا كاملًا في قوله تعالى:

«إنّك لا تهدي مَن أحببت ولكنّ الله يهدي مَن يشاء وهو أعلم بالمُهتدين» (سورة القَصَص ٢١ آية ٥٦).



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## ثانيًا - تعدُّد الطُّرق نحو الخلاص

ولكنّ موقفًا كهذا، لكي يكون مبنيًّا على أُسس متينة، يجعل لِزامًا علينا أن نقبل شرعيّة تعدُّد الطُّرق المؤدِّية إلى الخلاص، وهو موقف يُحدث اليوم مشاكل ليس من اليسير حلُّها.

إنّ عُلوم اللاهوت في جميع الأديان بُنيت على مبدإ واحد وإن تمّ التعبير عنه بطُرق مُختلفة، وقد عُبِّر عنه في اللاهوت المسيحيِّ بعِبارة: «لا خلاص خارج الكنيسة». زِد على ذلك أنّ مجموعة المؤمنين الفائزين بالخلاص في نِطاق الدِّين الواحد يقلُّ عددها باعتبار أنّ أصحاب البِدع المُختلفة محكوم عليها بالنار وبالخُسران الأبديّ.

ونجد مع ذلك الأديان كُلَّها تؤكِّد على أنّ الله عدل ورحمة ومحبّة. وفي هذا الميدان بالذات نشعر بالحاجة إلى التجديد في عُلوم اللاهوت وإلى تغيير العقليّات تغييرًا جذريًّا، إذ كيف يتسنّى الحِوار في جوٍّ من التفتُّح والثِّقة المُتبادلة إذا شدّ كُلٌّ من الطرفين صاحبه، مُسبقًا ومُنذ البِداية، إلى عمود من أعمدة جهنّم دون أن يسمح له بالخُروج مِنها. ولقد لوحظ تطوُّر محسوس في موقف الكنيسة ابتداء من المجمع المسكونيِّ الفاتيكانيّ الثاني.

[...]

أمّا الإسلام فلقد وُجدت فيه هذه الروح والاستعدادات مُنذ القُرون الوُسطى، نجدها عِند أحد عُلماء اللاهوت، يعتبره أهل السُنّة كُلُّهم حُجّة الإسلام، ونقصد به الغزالي (١٠٥٨-١١١١). ويرى هو أيضًا في كِتابه فيصل التفرقة أنّ غير المُسلمين - إذا توفّرت فيهم شُروط الصِّدق والأخلاق الفاضلة خاصّة - يُمكن أن يفوزوا



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالخلاص. ونجد كذلك عالِمًا مِن عُلماء النهضة، وهو مُحمّد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥)، يُفسِّر الآية المُوالية تفسيرًا يتماشى مع هذه الفكرة:

«إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عِند ربِّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة البقرة ٢ آية ٦٢).

ونجد نفس المعنى في آيات أخصى (سورة المائدة ٥ آية ٦٩، سورة البقرة ٢ آية ١ ج١-١١٢).

فليس إذًا مِن المُستحيل على الإسلام ولا على الدين المسيحيِّ أن يستخلصا، بالاعتماد على النُّصوص المُقدّسة وحتّى بالاعتماد على بعض السُّنن الدينيّة القديمة، عِلم لاهوت يُوفِّر المجال لإمكانيّة تعدُّد سُبل الخلاص، ولو لم يكن لهذا من داعٍ سِوى أنّنا لا يُمكن أن نمنع الرحمة الإلهيّة من أن تفيض في عدلٍ ورأفة ومحبّة فتتعدّى نِطاق الدين الواحد لتعدّ أصحاب الهِمم والأخلاق الفاضلة جميعًا. ويبقى الإله لا محالة في النِّهاية الحاكمَ الوحيد والمُطلق الحُرِّيّة، ويجب علينا أن نُفوِّض أمرنا إليه وأن نثق كُلّ الثِّقة بحِكمته... وليس لنا مهما كان الأمر أن نحلّ محلّه في إصدار أحكامه.

إنّ الحقيقة في نِهاية الأمر واحدة، ولكنّ إمكانيّاتنا في الإحاطة بها مُختلفة ومُتعدِّدة، وهي زِيادة على ذلك مُهداة إيّانا، فنحن إذًا إن لم نكن مُتقبِّلين لكُلِّ أعمالنا غير مُكتسبين لها، وكما بالعكس مسئولين عن مصيرنا الذي يجب علينا أن نبنيه بأنفسنا وذلك

«بالبحث عن طريقنا بين الصُّخور بحثًا مأساويًّا».

فإنّ الإله في نِهاية الأمر هو الذي يقود سفينتنا ويُجنِّبها التحطُّم



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والغرق، فمنزلة الإنسان كإنسان هي منزلة مُبهمة وليس من الغريب إذًا أن تختلف سُبلنا نحو الخلاص.

فإن قبلنا إذًا شرعيّة تعدُّد السُّبل نحو الخلاص، فهذا لا يعني أنّنا استسلمنا وتخلّينا عن اعتبار ما نؤمن به حقًّا، بل بالعكس يُصبح التعلُّق بالعقيدة أشدّ وأقوى لأنّه ناتج عن رؤية وتفكير أكثر عُمقًا. ويخرج الإيمان إذ ذاك عن أن يكون مُجرّد انتماء اجتماعيٍّ وخُضوع إلى جِنسيّة دينيّة، ليُصبح اتِّحادًا شُعوريًّا حقيقيًّا والتزامًا لا مناصّ مِن تحمُّل تبعاته. ونلتقي هكذا بواجب الدعوة عن طريق الشهادة الذي هو في آن واحد احترام للنفس واحترام للغير بنفس الدرجة.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# البيبْلِيوغْرافيا

لا نذكر في هذه البيبْليوغرافيا إلّا ما استعملناه شخصيًّا. وفي داخل الكِتاب مراجع أُخرى ذكرناها.

## المجمع الفاتيكانيُّ الثاني


* الدُّستور العقائديّ في الكنيسة، نور الأُمم، ٣١/ ١١/ ١٩٦٤.
* التصريح عن علاقة الكنيسة بالدّيانات غير المسيحيّة، في عصرنا، ١٩/ ٢/ ١٩٦٥.
* الدُّستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ، كلمة الله، ١٨/ ١١/ ١٩٦٥.
* الدُّستور الرعويّ في الكنيسة في العالم المُعاصر، فرح ورجاء، ٧/ ١٢/ ١٩٦٥.
* المرسوم في نشاط الكنيسة التبشيريّ، إلى الأُمم، ٧/ ١٢/ ١٩٦٥.
* البيان عن الحُرِّيّة الدينيّة، كرامة الإنسان، ٧/ ١٢/ ١٩٦٥.


## الوثائق الكنسيّة الرسميّة


* بِندكتس السادس عشر، خُطبة في الأراضي المُقدّسة، ١١/ ٥/ ٢٠٠٩.

ـــ، المحبّة في الحقيقة، ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٩

ـــ، إلى مُمثّلي المُسلمين في كولونيا، ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٥.




coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* بولس السادس، كنيسة الله، ٦/ ٨/ ١٩٦٤.
ـــ، إعلان الإنجيل، ٨/ ١٢/ ١٩٧٥.
* المجلس البابويّ للحِوار بين الأديان ومجمع تبشير الشُّعوب: حِوار وإعلان، ١٩/ ٥/ ١٩٩١.
* مجلس عقيدة الإيمان، الربّ يسوع، ٦/ ٨/ ٢٠٠٠.
* يوحنّا الثالث والعِشرون، رئيس الرُّعاة، ٢٨/ ١١/ ١٩٥٩.
* يوحنّا بولس الثاني، فادي البشر، ٤/ ٣/ ١٩٧٩.
ـــ، إلى مُمثّلي سائر الكنائس المسحيّة في مانيلّا، ٢١/ ٢/ ١٩٨١.
ـــ، لِقاء الشباب في دار البيضاء، ١٩/ ٨/ ١٩٨٥.
ـــ، الربُّ والمُحيي، ١٨/ ٥/ ١٩٨٦.
ـــ، خُطبة أسّيزي، ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦.
ـــ، رِسالة الفادي، ٧/ ١٢/ ١٩٩٠.
ـــ، بُذور الحقيقة، ١١/ ١١/ ١٩٩٣.
ـــ، روح الله وبُذور الحقيقة في الدِّيانات غير المسيحيّة، ٩/ ٩/ ١٩٩٨،
ـــ، الكنيسة في آسيا، ٦/ ١١/ ١٩٩٩.
ـــ، قُدوم الألفيّة الثالثة، ٦/ ١/ ٢٠٠٠.
ـــ، تعاليم...
ـــ، خُطب...
ـــ، رسائل...
ـــ، لِقاءات...

## الكُتب والمقالات

* أرْياراجا، ويسْلي، الكِتاب المُقدّس ومؤمنو الأديان الأُخرى،



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ترجمة (المُطران) بولس الصيّاح، سِلسلة «دِراسات في الكِتاب المُقدّس»، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٨.

* خوري، الأب عادل تيودور، مدخل إلى عُلوم الأديان، منشورات المكتبة البولسيّة، جونية، لُبنان، ٢٠٠٣.

* خوري، الأب عادل تيودور، هوزْمان وبيتر وآخرون، ما هو الخلاص وجواب الأديان الكُبرى، منشورات المكتبة البولسيّة، جونية، لُبنان، ٢٠٠٤.

* الطالبيّ، محمّد، الإسلام والحِوار - أفكار حول موضوع يشغل بال العصر، مجلّة رِفاق الكرمة، (القاهرة)، العدد ٣٣، ١٩٩٥، ص٢٠-٢٥.

* عون، الأب مُشير باسيل، مقالات لاهوتيّة في سبيل الحِوار، منشورات المكتبة البولسيّة، جونية، لُبنان، ١٩٩٩.

* ماسون، الأب جاك اليسوعيّ، بين العيش المُشترك والحِوار وإعلان الرِّسالة، مجلّة رِفاق الكرمة، (القاهرة)، شِتاء ١٩٩٦، ص١٣-٢٢.

* مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك، الحُضور المسيحيّ - شهادته ورِسالته، رِسالة رعويّة، لُبنان، ١٩٩١.

* المشرق، مؤتمر حول لاهوت الأديان، ملفّ نُشر في المجلّة، بيروت، السنة السبعون، الجزء الثاني، تمّوز/ كانون الأوّل ١٩٩٦.

* نِسْبِن، الأب كرسْتيان فان اليسوعيّ، معًا أمام الله، مجلّة رِفاق الكرمة، (القاهرة)، العدد ٣٣، ١٩٩٥، ص٢٦-٣٤.

* CHRISTUS, *Parmi nous, les musulmans*, N° 214, Avril 2007.

* Geneviève COMEAU, *L'universalité de Jésus-Christ à*



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

*l'épreuve*, in *Etudes*, Mars 2012, pp. 355-365.

* Michel FEDOU, SJ., *La Théologie Chrétienne et les Religions du Monde*, in *Recherches de Science Religieuse*, Juillet-Septembre 2008, Tome 96/3, pp. 381-400.
* Michel FEDOU, SJ., *L'Eglise et les autres croyants*, in *Etudes,* Novembre 2009, pp. 497-507.
* Vincent GUIBERT, *L'Esprit-Saint et les religions dans le magistère du pape Jean-Paul II, in Nouvelle Revue de Théologie*, Bruxelles, 132, 2010, pp. 45-66.
* Agnès KIM MI-JEUNG, RSA., *L'impact de la crise écologique et du dialogue interreligieux sur la théologie chrétienne*, in *Recherches de Science Religieuse* 100/1, 2012, pp. 85-104.
* Jacques MASSON, SJ., *Mission et Evangélisation dans le contexte du dialogue entre les religions*, manuscrit, Le Caire, 2005.
* Christian van NISPEN, SJ., *Statut théologique de l'Islam du point de vue chrétien*, in *Journées Romaines 1987.*
* Michel SANTIER, *Les fondements et les objectifs du dialogue interreligieux*, in *La Documentation catholique*, 21 Décembre 2008, N° 2414, pp. 1105-1111.
* Jacques SCHEUER, SJ., *Vingt ans de 'Théologie comparative'*, in *Nouvelle Revue de Théologie*, Bruxelles 133, 2011.
* Christophe THEOBALD, SJ., *La différence chrétienne – A propos du geste théologique de Vatican II, in ETUDES,* Janvier 2010, pp. 65-76.
* Laurent VILLEMIN et Georges CHEVALLIER, *La distinction «incorporé à» / «ordonné à» dans* Lumen Gentium : *Quelles conséquences pour la compréhension du rapport Eglise / Royaume ?*, in *Recherches de Science Religieuse*, 99/3, 2011, pp. 371-393.



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

# فهرس المحتويات


**المُقدِّمة العامّة** ..... ٥

الفصل الأوّل: **مرجعيّة الكِتاب المُقدّس** ..... ١١

المُقدِّمة ..... ١١

أوّلًا - الإشكاليّة ..... ١١

ثانيًا - علاقة إسرائيل بالأُمم ..... ١٢

ثالثًا - نُصوص عن علاقة الكنيسة بالخارج غير المسيحيّ ١٦

رابعًا - نُصوص عن مصير غير المؤمنين بيسوع المسيح ٢١

الخُلاصة ..... ٣١

الفصل الثاني: **كنيسة القُرون الأُولى** ..... ٣٣

المُقدِّمة ..... ٣٣

أوّلًا - الإشكاليّة ..... ٣٣

ثانيًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الدِّفاعيّ ..... ٣٤

ثالثًا - الخِطاب اللاهوتيُّ العقائديّ ..... ٣٦

رابعًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الروحيّ ..... ٣٧

خامسًا - الخِطاب اللاهوتيُّ الأساسيّ ..... ٣٨

الخُلاصة ..... ٣٩

الفصل الثالث: **كنيسة المجمع الفاتيكانيِّ الثاني** ..... ٤١

المُقدِّمة ..... ٤١




coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أوّلًا - قضيّتا دور الأديان ووضعِها اللاهوتيّ في الخلاص ٤٢
ثانيًا - قضيّة خلاص غير المؤمنين بيسوع المسيح ..... ٤٣
ثالثًا - إشكاليّة حِوار الأديان ..... ٤٥
الخُلاصة ..... ٥٧

**الفصل الرابع: ما بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني** ..... ٥٩
المُقدِّمة ..... ٥٩
أوّلًا - رُدود فِعل المسيحيّين في خلاص غير المسيحيّين ٥٩
ثانيًا - رُدود فِعل المسيحيّين في حِوار الأديان ..... ٦٢
ثالثًا - مُقاربات لاهوتيّة ..... ٦٤
رابعًا - تفاعل الكنيسة مع مُختلف الأديان والمُعتقدات والتقاليد ..... ٦٩
الخُلاصة ..... ٦٩

**الفصل الخامس: المُقاربة اللاهوتيّة الكريستولوجيّة** ..... ٧١
المُقدِّمة ..... ٧١
أوّلًا - إشكاليّة الاعتراف الإيمانيّ بفرادة/ شُموليّة يسوع المسيح ..... ٧١
ثانيًا - فرادة / شُموليّة حياة يسوع الأرضيّة ..... ٧٤
ثالثًا - فرادة/ شُموليّة سِرِّ فِصح يسوع المسيح ..... ٧٥
رابعًا - بين فرادة/ شُموليّة وساطة يسوع المسيح، وإمكانيّة وَساطات أُخرى ..... ٧٦
الخُلاصة ..... ٨٤

**الفصل السادس: المُقاربة اللاهوتيّة الإبْنِفْماتولوجيّة** ..... ٨٧
المُقدِّمة ..... ٨٧
أوّلًا - مضمون الخِطاب الإبْنِفْماتولوجيّ ..... ٨٧



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانيًا - دور الروح القُدس في الأشخاص والأديان غير المسيحيّة ..... ٨٩
ثالثًا - طُرق تعامُل الروح القُدس مع الأشخاص والأديان غير المسيحيّة ..... ٩٨
الخُلاصة ..... ١٠٠

**الفصل السابع: المُقاربة اللاهوتيّة الإكْليزيولوجيّة** ..... ١٠٣
المُقدِّمة ..... ١٠٣
أوّلًا - هل "لا خلاص خارج الكنيسة"؟ ..... ١٠٣
ثانيًا - علاقة الكنيسة بالبشر ..... ١١٠
ثالثًا - الكنيسة «آية» خلاص البشر أجمعين ..... ١١٢
رابعًا - رِسالة الكنيسة ..... ١١٦
الخُلاصة ..... ١٢٤

**الفصل الثامن: تفاعُل الكنيسة مع سائر الأديان والمُعتقدات والتقاليد** ..... ١٢٥
المُقدِّمة ..... ١٢٥
أوّلًا - الإشكاليّة ..... ١٢٥
ثانيًا - الدين اليهوديّ ..... ١٢٨
ثالثًا - الثقافة الإغريقيّة الرومانيّة ..... ١٢٩
رابعًا - الدين الإسلاميّ ..... ١٣٠
خامسًا - دِيانات الشرق الأقصى ..... ١٣٦
سادسًا - المُعتقدات التقليديّة ..... ١٣٨
سابعًا - الفلسفات والإيديولوجيّات المُعاصرة ..... ١٤٠
الخُلاصة ..... ١٤١

**الخاتمة العامّة** ..... ١٤٣



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

**المُلحق ١: رأي بعض اللاهوتيّين الأُرثوذكس غير الخلقيدونيّين في خلاص غير المسيحيّين** ..... ١٤٧
المُقدِّمة ..... ١٤٧
أوّلًا – طرح سؤال «خلاص غير المسيحيّين» ..... ١٤٨
ثانيًا – حُجّة «خلاص المسيحيّين» فقط ..... ١٤٨
ثالثًا – دور شريعة غير المسيحيّين وضميرهم ..... ١٥٠
رابعًا – قيمة قِيام غير المسيحيّين بأعمال الرحمة ..... ١٥١
خامسًا – ما مصير أربعة مِليارات من البشر غير مسيحيّين؟ ١٥٢
سادسًا – نظرة نقديّة ..... ١٥٤

**المُلحق ٢: بعض النُّصوص الروحيّة في خلاص جميع البشر** ١٥٩
المُقدِّمة ..... ١٥٩
أوّلًا – ليس جهنّم لأجل الآخرين إطلاقًا ..... ١٥٩
ثانيًا – جهنّم بين الخوف والأمل ..... ١٦١
ثالثًا – مُتفرِّقات ..... ١٦٣

**مُلحق ٣: لِقاء فرنسيس الأسّيزيّ والسُّلطان مالك** ..... ١٦٥
أوّلًا – دوافع اللِّقاء ..... ١٦٥
ثانيًا – اللِّقاء ..... ١٧٠
ثالثًا – خواطر فرنسيس إثر اللِّقاء ..... ١٧٢

**المُلحق ٤: رأي مُفكِّر إسلامِيٍّ في حِوار الأديان** ..... ١٧٥
الإسلام والحِوار – أفكار حول موضوع يشغل بال العصر – ١٧٥
أوّلًا – شُروط الحِوار ..... ١٧٥
ثانيًا – تعدُّد الطُّرق نحو الخلاص ..... ١٧٨

**البيبْليوغْرافيا** ..... ١٨١



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

## صدر في سلسلة «**دراسات لاهوتيّة**»

١ - **مريم أمّ الربّ ورمز الكنيسة**، ماكس توريان
٢ - **الإنجيل الحيّ في الكنيسة**، الأب برنار سيسبويه
٣ - **الأسبوع العظيم، في آلام المسيح وموته**، رومانو كوارديني
٤ - **قيامة المسيح**، رومانو كوارديني
٥ - **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٦ - **خلاصة اللاهوت المريميّ**، الأب أوغسطين دوپره لاتور اليسوعيّ
٧ - **بين وحي الله وإيمان الإنسان**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٨ - **مَن أنتِ أيّتها الكنيسة؟** الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٩ - **سرّ الله الثالوث - الأحد**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٠ - **لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينيّة**، الأب وِلْيَم سِيدْهُم اليسوعيّ
١١ - **دراسة في الإسكاتولوجيا، الموت والقيامة، السماء والمطهر وجهنَّم**، الأب أوغسطين دوپره لاتور اليسوعيّ
١٢ - **دواعي الإيمان في عصرنا**، الأب جيوڤانّي مارتنتّي اليسوعيّ
١٣ - **لاهوت التحرير في أفريقيا**، الأب وِلْيَم سيدْهُم اليسوعيّ
١٤ - **لاهوت التاريخ البشريّ**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٥ - **مسألة الله في التاريخ - من الكتاب المقدَّس إلى الظاهرة الدينيَّة المعاصرة**، الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ
١٦ - **مدعوّون إلى الحرّيَّة - دراسة في أُسُس الأخلاق المسيحيَّة**، الأب نادر ميشيل اليسوعيّ
١٧ - **لاهوت التحرير الآسيويّ**، ألُويزيوس بِييرِيس
١٨ - **الإنسان، ذلك السرّ العظيم**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٩ - **الأسقف بين الأمسِ واليوم**، المطران أنطوان طَرَبيه
٢٠ - **إيماننا بين العقيدة والعمل، تعليم مسيحيّ للبالغين**، الأب روبير كليمان اليسوعيّ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢١ - **محنة الإيمان، اجتهادات ومساءلات في الفكر الدينيّ المسيحيّ**، الأب مشير باسيل عون

٢٢ - **القدّيس أوْغسطينُس والأوغسطينيَّة**، هنري - إيرينيه مارّو

٢٣ - **أوراق بيئيّة - قراءة في لاهوت البيئة**، الأب سامي حلّاق اليسوعيّ

٢٤ - **تفسير الإنجيل الفصحيّ - القيامة**، الأسقف روان وليامْس

٢٥ - **الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة - (١) الإنسان على صورة الله كمِثالِه**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

٢٦ - **علم لاهوت الأديان**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ



coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تصميم الغلاف : صفاء الفطايري

الطباعة : CONTACT

٢٠١٣/١٠/١٥-١-٢٣٤٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

منشورات:
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفيّة، بيروت ١١٠٠ ٢١٥٠ لبنان

التوزيع:
المكتبة الشرقيّة ش.م.ل.
ص. ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

ISBN 2-7214-5446-3
9782721454461
Réf: RELDOGETL026A

coptic-books.blogspot.com